المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

رواية

بانديراس الطاغية

تأليف: باى إنكلان

ترجمة: ثريا شلبى

تقديم: محمود على مكى

427

المشروع القومى للترجمة

من الأدب الإسبانى المعاصر

بانديراس الطاغية

(رواية)

تأليــف : باى إنكلان

ترجمة ودراسة : ثريا شلبى

تقـديم : محمود على مكى



٢٠٠٢

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٢٧
- باندیراس الطاغية
- باى إنكلان
- ثريا شلبى
- محمود على مكى

Tirano Banderas.
Novela de tierra caliente -
Introduccion de Antonio
Valencia.

Sexta - Edicion

تأليف : **Ramon del Valle - Inclan**

الناشر : **Selección - Austral**

Espasa - Calpe, S.A.
Madrid
1987

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel 7352396 **Fax** : 7358084 **E. Mail** . asfour @ onebox. com

مقدمة

-١-

باى إنكلان وروايته تيرانو بانديراس

امتدت حياة "باى إنكلان" طوال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر والثلث الأول من القرن العشرين؛ فقد ولد رامون ماريا دل باى إنكلان إى مونتنجرو Ramón María del valle-Inclán y Montenegro ، وهذا هو اسمه الكامل - فى سنة ١٨٦٦ فى قرية تدعى بيّانويبا Villanueva فى إقليم جليقية Galicia (فى أقصى شمال غربى إسبانيا)، وكانت وفاته فى مدينة سانتياجودى كومبوستيلا Santiago de Compostela فى نفس الإقليم فى سنة ١٩٣٥ وهو يناهز السبعين من عمره.

القرن التاسع عشر هو أكثر حقب التاريخ الإسبانى مأساوية وأحفلها بالأحداث التى سارت بالبلاد من سيئ إلى أسوأ حتى انتهت بها فى نهاية هذا القرن إلى كارثة ١٨٩٨، وهى التى امتدت ظلالها السود إلى شطر كبير من النصف الأول من القرن العشرين فقد بدأ القرن بغزو نابليون بونابرت للبلاد فى سنة ١٨٠٨ بعد خروج الحملة الفرنسية

من مصر بخمس سنوات، وأصبحت الإمبراطورية التى كانت لاتغيب عنها الشمس خلال القرون الثلاثة الماضية ولاية تابعة لسيد أوروبا الجديد، بل بلغ من إذلال إسبانيا أن بونابرت فرض أخاه عليها ملكًا، ولم تمض سنوات على هذا الحدث حتى انهارت الامبراطورية الإسبانية السابقة فى القارة الأمريكية، وظفرت شعوب مستعمراتها باستقلالها بعد أن هزمت فلول الجيوش الإسبانية في كل مكان، وإذا كانت البلاد قد تحررت من الحكم الفرنسى بعد سنوات قليلة، وعاد ملكها الهارب إلى حكم البلاد، فإن ذلك لم يبشر بخير بل زاد تفاقم الأحوال بسبب الصراع الناشب بين الحزب الرجعى المنادى بالحكم الملكى المطلق وأحزاب المتحررين المتأثرين بمبادئ الثورة الفرنسية، والمنادين بدستور ديمقراطي يحد من سلطة الملوك. وبدأت أصوات تنادى بإلغاء النظام الملكى جملة وإعلان الجمهورية، وزاد الطين بلة أن الحزب الملكى نفسه انشق إلى فريقين بسبب الخلاف على وراثة العرش: فريق الألفونسيين، وفريق الكارليين الذين اعتصموا بالمقاطعات الشمالية فى قطلونية ونبارّة وبلاد الباسك وجليقية، واستمرت بينهما الحرب المعروفة باسم الحرب الكارلية Guerra Carlista ، ومازالت الصراعات الحزبية والفوضى المترتبة عليها تسود البلاد حتى انتهى الأمر إلى سقوط الملكية وإعلان الجمهورية الأولى بين سنتى ١٨٧٣ و ١٨٧٦، ولم تفلح عودة الملكية فى هذه السنة الأخيرة فى إعادة الهدوء إلى البلاد، بل استمرت صراعات الأحزاب والانقلابات العسكرية المتوالية حتى عمت الفوضى ونضبت موارد الدولة؛ ومع ذلك فقد ظلت أحلام الإمبراطورية الذاهبة تراود أخيلة

السياسيين الإسبان حتى اندفعوا فى غياب وعيهم إلى الحرب مع الولايات المتحدة، وانتهى ذلك الصدام غير المتكافئ إلى هزيمة ساحقة للأسطول الإسبانى فى مياه البحر الكاريبى وبحر الفيلبين فى سنة ١٨٩٨، وفقدت إسبانيا فى هذه الحرب آخر ما بقى لها من مستعمرات فى كوبا وبورتوريكو والفلبين.

-٢-

كان لهذه الأحداث الهائلة التى تعرض لها المجتمع الإسبانى خلال القرن التاسع عشر انعكاسها وتأثيرها على الحياة الفكرية والأدبية، ونود أن نلاحظ هنا ظاهرة كثيراً ما تتكرر فى التاريخ الأدبى للأمم؛ وهى أن تدهور الأحوال السياسية والاجتماعية لا يقضى دائمًا إلى تراجع حياة الأدب والفكر، بل كثيراً ما يؤدى إلى عكس ذلك من ازدهار ورقى ملحوظين.

رأينا مثل ذلك فى أدبنا العربى، حينما صاحب ضعف الخلافة العباسية منذ منتصف القرن الثالث الهجرى نهضة عظيمة بلغت أوجها فى القرن الرابع، وكذلك فى الأندلس بعد انهيار الخلافة الأموية فى نهاية القرن الرابع، إذ تزامنت مع تمزق البلاد وقيام دول الطوائف نهضة فكرية وأدبية بالغة الرقى، وقد حدث ذلك فى إسبانيا، فقد أدى تدهور الأحوال فيها إلى ظهور جيلين من الأدباء والمفكرين استيقظ وعيهم على مدى تخلف بلادهم عن ركب الحضارة الأوروبية وإلى حاجة الثقافة الإسبانية إلى التجدد بعد فترة طويلة من العقم والجمود.

أما الجيل الأول فهو الذى تمثله حركة أدبية حمل لواءها شاعر كان من المفارقة الغريبة أنه من إحدى المستعمرات السابقة فى أمريكا اللاتينيــة، هـو روبن داريو Ruben Darío من نيكاراجـوا (فـى أمـريكا الوسطى)، واصطلح مؤرخو الأدب على أن يطلقوا على هذه الحركة اسم "الحـــداثة" (El Modernismo) ، وتعد سنة ١٨٨٨ فـاتحـة هذه الاتجـاه الجديد؛ إذ فيـها يصـدر داريو ديوانه "أزرق Azul " الذى عده شـعـراء إسبانيا ثورة تجديدية للشعر استمدت من الرومانسية التى كان الشاعر الإشبيلى بيكر Bécquer آخر ممثليها العظام (١٨٣٦–١٨٧٠)، على أن داريو استعان فى اتجاهه الحديث بتشبعه بالثقافة الفرنسية وتمثله للمذاهب الشعرية التى أتت بعد الرومانسية منذ بودلير، مثل البرناسية والرمـزية، غـيـر أن روبن داريو لم يكن مـقلداً بل عـرف كـيف يتـمـثل الاتجاهات الأوروبية الحديثة ويخرج منها مذهبا أصيلاً معتداً بتراثه الإسبانى، وأهم ما يميز هذا الاتجاه الجديد هو الاهتمام بالأسلوب أو المظهر الشكلى للقصيدة، وعنايته بموسيقية اللفظ وإيحاءاته بالجرس واللون، واستحيائه لبحور شعرية قديمة مهمَلة أو ابتكاره لبحور جديدة، والاهتمام بلغة الشعر؛ إذ عرف كيف يستنبط طاقات جديدة سحرية للألفاظ استعان فيها بالاستخدام لدلالات التعابير الإسبانية الجارية فى بلاد أمريكا اللاتينيـة، مع توظيف التراث الأسطورى القديم سـواء منه الإغريقى واللاتينى أو المستعار من الثقافات الشرقية.

وأما الجيل الثانى فهو الذى ينسب إلى نكبة ١٨٩٨، وكان أوسع دائرة من الأول؛ إذ لم يقتصر على الشعر، بل شمل كل جوانب الإبداع الفكري والأدبي، وكان معظم رجال هذا الجيل ممن تنوعت ثقافتهم تنوعاً كبيراً، وما أكثر من كان بينهم من جمعوا بين فنون الشعر والرواية والقصة القصيرة والأدب المسرحي والمقالة والنقد. والطابع الذى يميز هؤلاء هو إكبابهم على تأمل مأساة بلادهم ومحاولتهم النفوذ إلى أسبابها ومدى ارتباطها بطبيعة الشعب الإسبانى وجذورة التاريخية، وساقهم ذلك إلى نقد أوضاع مجتمعهم فى حدة لاذعة على أن إلحاههم على بيان سلبيات شعبهم لم يكن من قبيل "جلد الذات"وإنما كانوا يرون أن طريق إصلاح أوضاع بلادهم إنما يبدأ بتشخيص أمراض مجتمعهم في صراحة خشنة بعيدة عن ديماجوجية الشعارات الوطنية الجوفاء.

-٣-

وتعود إلى رامون دل باى إنكلان الذى يعد - مع ميجيل دى أونامونو Miguel de Unamuno (١٨٦٤-١٩٣٦) - أبرز رجال هذا الجيل، وهو من أكثر شخصيات الأدب الإسبانى الحديث طرافة وأصالة وإثارة للاهتمام، وكان أول مظاهر الغرابة فيه شكله وهيئته ولحيته الكثة الطويلة التي كانت تفترش صدره كله، حتى ليبدو وكأنه أحد أنبياء العهد القديم، تضاف إلى ذلك غرابة أطواره وبوهيميته وغرامه بكل ما يخرج على المألوف المعتاد، وكان مولعاً باعتبار نفسه مختلفاً عن أبناء جيله،

فـقـد شـارك مـثـلاً فى الحـرب التى نـشـبت بين الفـريقـين الملكيـين. الألفونسيين والكارليين، وكان انتماؤه إلى الفريق الثانى منهما، إلا أن تصريحاته المأثورة حول ذلك قوله: "في صفوف الكارليين هناك حزبان كبيران: أولهما أنا، والثانى هم الآخرون الباقون"، وعلى الرغم من انتمائه إلى جيل ٩٨ فإنه كان يردد دائمًا أنه مختلف عن رفاقه متميز عنهم.

وكان باى إنكلان قد التحق بجامعة سانتياجو فى جليقية، ولكنه لم يكمل دراسته فيها وعكف على القراءة معلمًا نفسه بنفسه. أما بدايته الأدبية فكانت بإصداره بين سنتى ١٩٠٢ و ١٩٠٥ "السوناتات الأربع Las 4 Sonatas" الموزعة على فصول السنة الأربعة، وبطل هذه الروايات شخصية غريبة دعاها المؤلف "المركيز دى برادومين El Marqués de Bradomin" وهو يصفه بأنه "دميم الطلعة، كاثوليكى، عاطفى" وهو فى الحقيقة صورة محورة لباى إنكلان نفسه الذى كان مثله مزيجًا متناقضًا من التدين والحسية الشهوانية، من الرقة والقسوة ، من الحساسية الشعرية والابتذال السوقى وتدور هذه الرباعية حول مغامرات هذا البطل الغرامية ؛ إذ كان زير نساء كما لو كان صورة لـ "دون خوان" جديد.

ولباى إنكلان مجموعتان شعريتان يقرب أسلوبهما من أسلوب السوناتات، هما "نفحات الأسطورة Aromas de leyenda "، و "الراحل El pasajero "، كما شارك فى الكتابة للمسرح. ولعل أهم ما ألفه

فـي هــذا الميدان، " أصـوات ملـحميـة Voces de gesta " (١٩١٢) و "المركيزة روساليندا La Marquesa Rosalinda" (١٩١٣)، وهى مسرحية كوميدية ساخرة.

هذه الأعمال الأدبية من شعر ونثر، من نتاج قصصى، ومسرحى تمثل المرحلة الأولى من فن باى إنكلان، وهى التى كان فـيـهـا مـتـأثرًا بمذهب الحداثة الذى رفع لواءه روبن داريو، من العناية الفائقة بأناقة الأسلوب والحرص على انتقاء الألفاظ ذات الجرس الموسيقى والصور ذات الألوان الصارخة.

-٤-

على أنه فى محاولته السيمفونية كان لايفتأ باحثًا عن ألوان جديدة من الأصالة، سواء فى شعره أو نثره، ولهذا فإننا نجده يتجه إلى أسلوب جديد تخفف فيه من تكلف مذهب الحداثة وافتنانها فى الصياغة والصقل، وعمل فيه على أن يكون تعبيره أكثر تلقائية وحيوية، هذا من ناحية الشكل، وأما من ناحية المضمون فإنه أصبح معنيًا بموضوعات النقد السياسى والاجتماعى سواء فى بلده أو خارج نطاق وطنه، ومن هنا التحم باى إنكلان برجال جيل ٩٨ الذى كان همهم الأول هو قضية وطنهم وتسليط الضوء على مفاسد مجتمعهم، وتبدأ هذه المرحلة من تطور فن أديبنا فى سنة ١٩١٨، وهنا يتحول من تلك السخرية الرقيقة التى شهدناها فى المرحلة الأولى من أدبه إلى نقد لاذع وتصوير أشبه

بـرسـوم الكاريكاتيـر التى تبـالغ فـى تجسـيم العـيـوب، وهذا الأسلوب الجديـد هـو الذى اصطنـع بـاى إنكـلان لـه تعبيـراً مـن صياغتـه هـو الـــ esperpento، وهو يعنى التشويه المتعمد لصور الواقع، وقد اقتضى ذلك منه تطوير لغـة النص الأدبى، فلم يعـد يرى بأسًـا باستـخـدام لغـة العامة بكل مـا فيها من ابتذال وخشـونة والتعابير السـائدة فى اللهجات المحلية.

استـخـدم باى إنكلان هذا الأسلوب الجديد سـواء فى أعـمـاله المسرحية أو الروائية ، ونرى ذلك فى مسـرحيتـه "قرون السيد فريوليرا Las Cuernos de Don Friolera" (١٩٢١) التى أودعـها سـخـرية مُرة من بريمـو دى ريبيـرا Primo de Rivera الذى فـرض على إسبـانيا حكمًا دكتـاتوريًا استمر على مدى سبع سنوات (١٩٢٣-١٩٢٩) وأدى سقوطه إلى سقوط النظام الملكى بأسره وإعلان الجمهورية الثانية، وكـان تصوير باى إنكلان لشـخـصـيـات هذه المسـرحـية أشـبـه بما يتـراءى للنـاظر فى المرايا المحـدبة وبطل الرواية دون فـريوليـرا قـائد عـسكرى (يرمـز إلى الدكتـاتور الإسـبـانى) ومـوضـوعـها خـيـانة زوجية يعبر عنـها المؤلف فى صراحـة وحشـيـة، ولا تكاد نجد فى شـخـصـيـاتهـا من هو جـدير بأدنى احترام.

وتنتـمـى إلى هذا الأسلوب أيضًـا مـجـمـوعـتـه التى تحـمل عنوان "الحلبة الإيبيرية El ruedo ibérico" وهـى تضم روايتـين "بلاط الأعـاجيب La corte de los milagros" (١٩٢٧) "وليـحيـى سيـدى Viva mi dueño"

(١٩٢٨) والبـلاط المقـصـود فى الرواية الأولى هو بلاط الملكة إيزابيل الثانية ؛ فالروايتان تصوير لحياة إسبانيا فى ظل تلك الملكة بما فيه من فساد وانحلال فى موكب من اللوحات الكاريكاتيرية الساخـرة، وحيث تصبح الشخصيات بين يدى المؤلف أشبه بدُمى فى مسرح للعرائس.

-٥-

ربما كان أبرز ما يمثل هذا الأسلوب الجديد الذى طور به باى إنكلان فنه الأدبى والذى يمكن أن نطلق عليه "التهويل المفزع" هو روايته التى تقدم لهـا بهـذه الصـفـحـات وهى "تيـرانو بانديراس Tirano Banderas". ولـفـظ "Tirano" المستخدم فى العنوان يعنى الطاغيـة أو الحاكم المستبد؛ فالرواية تصوير لحكم أحد الحكام العسكريين الذين كثيراً ما نراهم فى أمريكا اللاتينية يتوثبون على حكم بلادهم فى أثر انقلاب عسكرى ثم يفرضون على شعوبهم حكمًا دمويًا يقوم على الإرهاب وانتهاك حقوق رعيتهم . وقد ظلت هذه الانقلابات العسكرية تخضب بالدماء معظم بلاد أمريكا اللاتينية على مدى القرن التاسع عشر والشطر الأكبر من القرن العشرين.

ولكن لماذا اختار باى إنكلان عالم أمريكا اللاتينية لكى يجعله مسرحًا لروايته؟ علينا أن نذكر أن أديبنا الجليقى هو الوحيد بين رفاقه من جيل ٩٨ الذى اتصل بهذا العالم الأمريكى وعرفه بشكل مباشر، فقد

قام بأول زيارة له فى سنة ١٨٩٢، وفيها قضى سنة فى المكسيك حيث عمل محرراً فى صحيفة يملكها مواطن إسبانى . ثم تكررت زيارته بعد ذلك فى سنة ١٩١٠ حيث جاب عدداً من بلاد أمريكا الجنوبية فى رفقة زوجته التى كانت ممثلة على قدر من الشهرة . وكانت زيارته الثالثة فى سنة ١٩٢٢ للمكسيك أيضاً، وفى هذه المرة كان موضع تكريم من جانب رئيس الجمهورية ألبارو دى أوبريجون Alvaro de Obregón، وهو القائد العسكرى الذى قضى نهائيًا على تمرد الثائر ذى الشهرة الأسطورية بانتشوبيًا Pancho Villa بعد معارك ضارية، وهكذا توافرت لدى باى إنكلان معرفة واسعة بأحوال أمريكا اللاتينية التى كانت تجتاحها الثورات والانقلابات العسكرية.

-٦-

أما روايته التى هى موضع حديثنا "تيرانو بانديراس" فقد نشرها باى إنكلان سنة ١٩٢٦ بعد عودته من رحلته المسكيكية، وأحداثها تدور فى جمهورية خيالية كانت إحدى المستعمرات الإسبانية التى لم تكد تظفر باستقلالها حتى وثب على الحكم فيها عدد من القادة العسكريين تعاوروا السلطة فى أثر انقلابات عسكرية متوالية، وكان معظم هؤلاء من المولدين الذى تجمع عروقهم بين الدماء الإسبانية والهندية، وكثير منهم كانوا يستندون فى حكمهم إلى الجاليات الإسبانية التى ظلت تسيطر على اقتصاد البلاد، على أنهم كانوا أكثر فظاظة وقسوة من المستعمرين

الإسبـان، وقـد ظن بعض ناقـدى الرواية و دارسـيـهـا أن باى إنكلان استوحى صورة هذا الحاكم الطاغية بطل الرواية من بانتشوبيًا بطل الثورة المكسيكية ما بين سنتى ١٩١١، ١٩٢٣، غير أننا نعتقد أن باى إنكلان رسم صورة نمطية لدكتاتور أمريكى لاتينى جمع خطوطها من سير كثير من هؤلاء الحكام دون أن يقصد شخصية بعينها، بل إننا نرى فيها أيضا ملامح من بعض الزعماء الانقلابيين الإسبان. والذى يستحق التسجيل هو أن مؤلفنا هو أول من قدم تصويرًا حيًا لحاكم مستبد من هذا الطراز قبل أن يخوض هذا الميدان من الكتابة أدباء أمريكا اللاتينية أنفسهم، ومن هنا لا نبالغ إذا قلنا إن باى إنكلان هو رائد الكتابة فى هذا الموضوع، وأقرب ما يكون إليه فى ذلك هو الأديب الجواتيمالى ميجيل إنخل أستورياس Miguel Angel Asturias (الحاصل على جائزة نوبل فى ١٩٦٨) فى روايته "السيد الرئيس El señor presidente" التى قدم لنا فيها صورة رهيبة للدكتاتور الجواتيمالى إسترادا كابريرا (١٨٩٨-١٩٢٢)، وهى رواية لم يستطع أستورياس نشرها إلا فى سنة ١٩٤٦

وشخصية الطاغية فى رواية باى إنكلان مرسومة فى خطوط بسيطة موجزة: هو ذو سحنة هندية، متقشف فى حياته، يصطنع الثقافة فيتحدث بلغة أشبه بلغة رجال الكنيسة، ويتظاهر بالوداعة على حين تكمن وراء هذا الظاهر طاقة هائلة من القسوة تكفى فى الدلالة عليها مشاهد سجن "سانتا مونيكا" حيث يودع السجناء السياسيين من

معارضيه . والأحداث أيضاً مروية في بساطة واختصار، فالثورة على الدكتاتور الرهيب تختمر في مزرعة قريبة من العاصمة التي تحتفل بأحد المهرجانات، ومدبر الثورة مزارع إقطاعى وضابط فى الجيش كان مقرباً للطاغية ثم صار طريداً له بعد أن سخط عليه، ويجند هذين عدة مئات من المسلحين يحاصرون الطاغية في قلعته، ويأمر هذا حراسه بأن يطلقوا النار على الثوار، ولكنهم يعصون أوامره، وينضمون إلى صفوف الثوار.

ويبلغ تصوير وحشية الطاغية مداه حينما يرى نهايته المحتومة قريبة، فيخرج ابنته الوحيدة من غرفتها، ويجرها من شعرها، ثم يغمض عينيه ويطعنها بخنجره خمس عشرة طعنة قبل أن ينتحر قائلا إنه يؤثر ذلك قبل أن يتركها لكى يعبث بها خصومه.

-٧-

ويلفت النظر فى الرواية تصوير باى إنكلان للجالية الإسبانية من مواطنيه، فقد وصف زعماءها وأفرادها بأبشع الأوصاف، حتى لا نكاد نجد بينهم من يستحق الاحترام، وهو يستخدم فى التعبير عن هؤلاء الإسبان لفظ "الجاتشوبينس Los Gachupines"، ويستخدمه المكسيكيون على سبيل التحقير والسخرية، ويعنى "المتفرنسين"، وقد جرت عادتهم على الهتاف بسقوطهم فى عيد استقلال المكسيك فى الخامس عشر من سبتمبر فى كل عام، ونستعرض فى الرواية شخصيات هؤلاء الإسبان الذين لا يقلون فى قسوتهم وسفالتهم عن

الطاغية بانديراس نفسه: البارون ماريانو إيزابيل كريستينو Maríano Isabel Cristino سفير إسبانيا أو قنصلها ورئيس جالية بلاده: مخنث يقاسم شذوذه الجنسي مصارع ثيران إشبيليا، وممثل الجالية والناطق بلسانها ثليستينو جاليندو Celestino Galindo: رجل أعمال وثيق الصلة بالدكتور لايكف عن تملقه والتمدح بحكمه وإعلان تأييد الجالية له وكيل المديح له، ونيكولاس دياث دل ريبرو Nicolás Diaz del Rivero صاحب جريدة "الرأى الإسبانى" ومدير تحريرها، وهو لا يقل عن سابقه نفاقًا وتمجيداً للطاغية، وأخيراً Quintin Pereda المرابى الذى يخدع أهل البلاد من الهنود ويستغلهم أبشع استغلال. هل يدفعنا هذا التصوير إلى اتهام باى إنكلان بالتجرد من قوميته الإسبانية أو التنكر لوطنه؟ الحقيقة أن الرجل كان أمينًا فى تصوير واقع لا يسع أحد إنكاره، وهو فى ذلك كان مثل رفاقه من جيل ٩٨ الذين كانوا مثله ملحين على إبراز نقائص شعبهم وعيوبه فى صراحة وقسوة، إذ كانوا يرون أن تشخيص المرض هو السبيل الوحيد لعلاجه والشفاء منه.

وبعد، فهذه هى رواية "تيرانو بانديراس" التى تعد قمة أعمال باى إنكلان الروائية وأكثرها تمثيلاً لفنه القصصى ولا سيما فى المرحلة الثانية من تطور حياته الأدبية، وهى فى الوقت نفسه أول رواية تصور حكم هؤلاء الطغاه المستبدين من حكام بلاد أمريكا اللاتينية، تصويراً يمكن أن ينسحب أيضًا على أمثالهم من الحكام فى سائر البلاد المتخلفة، فالنموذج الذى يقدمه لنا باى إنكلان يتجاوز أمريكا اللاتينية

ليصبح نموذجًا إنسانيًا يثير فى نفس القارئ مشاعر من السخط والرفض.

ونحن لا نملك إلا الترحيب بنقل هذه الرواية إلى العربية، وقد نادينا دائمًا بأن يهتم المتخصصون بالأدب المكتوب بالإسبانية سواء منه ماصدر عن أقلام أدباء إسبانيا أو رفاقهم من بلاد أمريكا اللاتينية، وهو أدب ظل على مدى سنوات طويلة بعيدًا عن اهتمامنا فى العالم العربى، مع أنه أقرب الآداب الأجنبية القريبة إلينا وأوثقها صلة بنا بحكم التعايش الطويل بين أدبنا العربى والإسبانى على أرض الأندلس.

وقد اضطلعت بنقل هذه التُحفة الرائعة للأديب الإسبانى الكبير أستاذة متخصصة فى اللغة الإسبانية وآدابها هى الدكتورة ***ثريا سعد الدين شلبى*** الأستاذة فى كلية الألسن بجامعة عين شمس، وهى تستحق من أجل ذلك عظيم الثناء والتقدير.

محمود على مكى

باندیراس الطاغية فى سطور

-١-

يعد باى إنكلان من ألمع كتاب جيل ٩٨ البارزين فى الأدب الإسبانى المعاصر، هذا الجيل الذى تصدى للنظام السياسى الفاسد فى إسبانيا، وكان باى إنكلان أحد روّاده الغيورين على وطنهم والمهمومين بمشاكله؛ بالرغم من تأثره بالحداثة فى بادئ حياته الأدبية؛ وكان أكبر داع لها فى الأدب الإسبانى المنشور فى فترة تدفق فيها التجديد على مستوى كل المجالات الأدبية فى صورة انفجار أدبى غير متوقع.

ولد باى إنكلان فى فيًا نوفا دى أروزا (Villa Nova de Arosa) عام ١٨٦٦ من أسرة تجمع بين الثقافة وعراقة الأصل، بدأ دراساته الأولى فى بونتا ڤيدرا (Ponta Vedra) ثم التحق بكلية الحقوق بجامعة كومبستيلا (Compostela)، لكن دراسته الجامعية لم تكن ذات أثر بالنسبة له، ولم يستفد منها – ثقف بعد ذلك نفسه بنفسه مستعينا بالقراءات المتنوعة وبقدرته على تأمل العالم المحيط به، ومن هنا بدأ تكوينه الأدبى المتميز والعميق.

-٢-

الترجمة التى بين أيدينا لهذه الرواية تعد أول تجربة لها باللغة العربية، لقد ترجمت من قبل لعدة لغات أجنبية قليلة، على عكس باقى أعمال باى إنكلان وذلك لصعوبة ترجمتها، لأنها مملوءة بلهجات مختلفة من دول أمريكا اللاتينية.

وهذا العمل يبرز جرأة باى إنكلان على مزج عناصر اللغة وأدواتها بتمكن من المصطلحات، والأسلوب الذى تتحدث به شعوب أمريكا اللاتينية، كما يبرز أيضاً تشويها مُنظماً لمواقف مبالغ فيها حيث يتحول كل شىء إلى مادة حيوانية بأسماء الشخصيات والأشياء التى تشوه الواقع اليومى الذى تعكسه الرواية فى صورة مضطربة.

إلى جانب المصطلحات الخاصة باللغة الإسبانية القديمة، واللغة العامية الدارجة الخاصة بقطاعات مختلفة من دول أمريكا اللاتينية، لذلك نجد لغتها معقدة وتراكيبها متداخلة.

وقد وفقنى الله فى اجتياز حواجز كثيرة كادت تعوق هذه الترجمة بالبحث الدؤوب فى مراجع شتّى حول لهجات أمريكا اللاتينية منذ اكتشاف القارة، حتى تاريخ صدور هذه الرواية، كاستخدام الكاتب مثلاً لأسماء عملات نقدية اندثرت منذ زمن بعيد، ولم يعد لها وجود وليست واردة فى مختلف المعاجم، وقد أزال هذه الصعوبات كلها تقريباً الدراسة النقدية للأرجنتينية أما سوزانا المستفيضة حول هذا الموضوع تحت عنوان: "الإتقان الفنى فى رواية بانديرس الطاغية"، والتى تناولت فيها

دراسة شاملة من حيث المفردات، الشخصيات ، تقنية السرد، أسلوب الرواية .... إلخ.

من ناحية أخرى، هناك طرق كثيرة لتصنيف هذه الرواية، فمن الممكن اعتبارها رواية تاريخية، لأنها تحكى تاريخ إسبانيا فى أمريكا اللاتينية (أى بمعنى أصح تتحدث عن حقبة معينّة من تاريخ إسبانيا فى أمريكا اللاتينية).

وتعد أيضًا ضمن الرواية الواقعية لأن شخصياتها تتصارع مع الواقع المحيط بها، ومع شخصيات أخرى، ونستطيع أن نسميها رواية خاصة، لأنها تقدم لنا قطاعات خاصة من واقع الحياة، فى هذه الحالة الوضع السياسى والاجتماعى لأمريكا اللاتينية.

إن الرواية لا تحدثنا عن بطلها سانتوس بانديراس فقط، الذى نعرفه بالكاد، لكنها تقدم لنا موجزًا عن مشاكل أمريكا اللاتينية، فهى بانوراما جمعت بين التاريخ والسياسة.

إنها تصنف كذلك داخل مجموعة أعمال باى إنكلان من روايات أدب القبح الذى برع باى إنكلان في ريادته بالمبالغة فى تصوير ما هو قبيح الشكل على نحو مضحك، والذى أدّى بمهارة إلى تقديم الأخطاء التى أنزلت المصائب والبلاء على دول أمريكا اللاتينية، وهذه التقنية هى التى تجعل المتلقى يحار فى المقصدبه التى يريدها المبدع من عمله الإبداعى ؛ إذ لا يمكن الوقوف على هذه المقصديه إلا بعد التشبع من القراءة حول أدب أمريكا اللاتينية، والوقوف على الاتجاهات الأدبية التى سادت وانتشرت فيها.

-٣-

رؤية باي إنكلان لإسبانيا من داخل أمريكا اللاتينية

مما لا شك فيه أن رواية "بانديراس الطاغية" تعد رائعة من روائع باى إنكلان، التى وضعته فى القمة، ويرجع ذلك للأسباب السالفة الذكر، ومنذ ظهورها عام ١٩٢٦، جذبت انتباه النقاد والباحثين بصفة مستمرة، حتى قام أحد الدارسين بعمل دراسة مستفيضة لهذه الرواية تحت عنوان "الإتقان الفنى فى بانديراس الطاغية" (*) كما ذكرت فى الصفحات السابقة

.(La elaboración artística en Tirano Banderas)

ومن ناحية أخرى تعد هذه الرواية أفضل ميراث لإسبانيا فى أمريكا اللاتينية إنها رواية مملوءة بالنقد التاريخى والاجتماعى، وتتمتع بأسلوب زاخر بالهجاء الهزلى المرير مما يجعلها على درجة كبيرة من التشاؤم. "**إن مظاهر ميراث إسبانيا فى أمريكا والذى يُحكى فى هذا العمل يعد الأسوأ دائما، لأنه يحكى حقيقتنا. العنف والثورة هما من صفات إسبانيا بالسليقة**".

(*) Emma Susana Speratti-Piñera: "La elaboración artística en "Tirano Banderas". El Colegio de Mexico 1957, Tamesis Books Limited, London, 1968.

إن كُتّاب جيل ٩٨ قد تحدثوا كثيراً فى أعمالهم عن غياب الضمير الوطنى (أى الضمير القومى) وعن روح التعاون بين الإسبان. باى إنكلان مثل أبناء جيله يرى نفس الأخطاء بين الإسبان المهاجرين لأمريكا اللاتينية الذين يهمهم بالدرجة الأولى جمع الأموال والعودة إلى إسبانيا بسرقاتهم راضين قانعين ، والمستعمرات الإسبانية كذلك مكونة أساساً من تجار غير مُحنكين، يتشابهون جميعًا بالظلم والطغيان الذى يحمى مصالحهم فقط، بالطريقة نفسها التى كان يحمى بها التجار البرجوازيون الأسبان مصالحهم، وكانوا يمثلون الساعد الأيمن للدكتاتوريات العسكرية فى شبه الجزيرة (أى إسبانيا) .

المهازل السياسية للرئاسات العسكرية التى كانت تُصر على تسمية نفسها ديمقراطية، ماهى إلا استمرار للنظام السياسى الذى كان موجوداً فى إسبانيا، فإذا كان ابن البلد الامريكى اللاتينى (الهندى) يعانى، فإن هذه المعاناة يشعر بها الفلاح والعامل الإسبانى أيضًا. لقد حاول باى إنكلان خلق بلد خيالى من وحى تصوره، سانتا فيه دى تييرا فيرميه،(Santa Fe de Tierra Firme) وعلى رأس هذه الجمهورية يوجد الجنرال الأسود البشرة سانتوس بانديراس المولود فى أمريكا اللاتينية، لكنه إسبانى الطبع والتكوين العقلى.

يبدو أن الوحشية الإسبانية قد ظهرت فى صورة جديدة وأعمال وحشية كبيرة، عندما استوطن الإسبان الأراضى الأمريكية، لكن بالرغم

من هذه الرؤية التشاؤمية التى يعطينا إيّاها باى إنكلان فى هذه الرواية، يظهر لنا بريق من الأمل، يتجسّد فى شخصية المزارع "فيلومينو كويفس" (Filomeno Cuevas)، رجل الأفعال والمواقف الذى حمل على عاتقه إشعال الثورة والقضاء على سانتوس بانديراس، فإنها فى النهاية لم تقض على الاستبداد والظلم، لأن "فيلومينو" بمجرد القضاء على الطاغية، عاد إلى مزرعته وإلى أسرته، ووقعت "سانتا فيه" بعد ذلك تحت حكم سياسيين نظريين، أعدّوا فى النهاية الميدان لدكتاتورية عسكرية جديدة .... هكذا مثلما حدث فى إسبانيا نجد الناقد خوان باوتستا آفاى – أرث (Juan Bautista Avalle-Arce) يُحدثنا عن الحروب الأهلية فى بلدان المهجر، ويذكر أنها مرض سيئ ومستوطن مثلما كان فى شبه الجزيرة. إن نتائج الحروب هى القمع الوحشى التى كانت تستخدمه محاكم التفتيش فى السجون، فمنذ اللحظة الأولى أنشأت إسبانيا نظاماً استعمارياً مُطلقًا فى بلدان ماوراء البحار. "**الاستبداد والطغيان هو ضرورة للتحكم فى الشعب**" (*) .

باى إنكلان أوضح لنا فى رؤيته عن أمريكا اللاتينية أنه يرى بالإضافة إلى إسبانيا، أن أمريكا اللاتينية لها أعداء آخرين: فذكر لنا على لسان بطل الرواية "سانتوس بانديراس" الذى يرى بوضوح الموقف قائلا :

(*) "La España de valle-Inclán", ed. Germen - Bleibera Iman Fox, pensamientos y letras españolas en el siglo XX. Nashville, 1966- pág.53.

"شاك، شاك:

"لم يُخطئ العلماء عندما ذكروا أن المنظمات الأهلية الهندية الأصل كانت عنيدة ومتعبة من وجهة النظر الفردية الإسبانية، فهم يبدون الاستكانة والخضوع، بالرغم من عدم التحكم فيهم. إن جذور زعامتنا، زعامة ابن أوروبا المهاجر، وعدم مبالاة الهندى، ومجون المهجن، وحكم رجال الدين الاستعمارى، هى الموضوعات المطروقة التى تُشوه سمعة المجتمع وتقلل من قيمة السياسة الصناعية الأمريكية، بالإضافة إلى بهلوانات الدبلوماسية الأوروبية الذين ترسلهم بلادهم لاستغلال ثرواتنا، فتجارتنا تمثل عمل غطاء لقراصنة الثورة، لكى تهدم قيمنا، وترفع امتيازات السكك الحديدية والجمارك"....." (*) .

فى هذا التعقيب، الذى ورد على لسان هذه الشخصية فى الرواية، يبدأ باى إنكلان بما هو إسبانى وينتهى إلى ماهو دولى، وبهذه الطريقة تصبح رؤيته لمشاكل أمريكا تتسع وتشمل قوة أخرى تحاول استغلال الموقف. ومع ذلك فاللوم أو الانتقاد موجه أساسًا لإسبانيا التى تستطيع أن تكسب أكثر، لكن النماذج التى ترسلها إلى أمريكا اللاتينية فاشلة.....

وفى مناسبة أخرى نجد أن ابنة "فيلونيس" الضرير قد تصبح فى وجه دون كينتين المُرابى:

(*) رواية بانديراس الطاغية ص١١١ .

" **إنك لست من أبناء هذه الأرض يا سيدبريديتا** " (*)

وبهذا تعطينا رواية بانديراس الطاغية رؤية لإسبانيا من داخل أمريكا. إن وجه القبح هنا هو أن إسبانيا أنجبت ما هو فظيع فى أمريكا اللاتينية

(*) رواية بانديراس الطاغية ص ١١٠

باى إنكلان وعالمه الأدبى

أطلق باى إنكلان على هذه الرواية رواية الأرض الثابتة (Novela de Tierra Firme) إنهـا المثل الأعلى داخل أعـمـال باى إنكلان بلا منازع من حـيث الشكل والمضـمـون، وهى على رأس الموضوعات المهمة التى تضم بلاشك كل ماله اعتبار، بالإضافة إلى أنها تُعد الأرض التى فجرت مشاكل الدكتاتورية والفساد بأمريكا اللاتينية، وكانت نواة لموضوعات شتى بين كتّاب هذه البلاد، حيث أشعلت الحماس بينهم، فنجد فى جواتيمالا الروائى العظيم" ميخائيل أنخل أستورياس" (Miguel Angel Asturias) يكتب روايته الخالدة، والتى حصل بها على جائزة نوبل عام ١٩٦٨ "السيد الرئيس" (El Señor Presidente) عام ١٩٤٦، وفى كولومبيا كتب "جابرييل جارثيا ماركيث" (Gabriel Garcia Marquez) "خريف البطريك" (El Otoño del Patriarca) عام ١٩٧٥، وأليخو كاربينتير" (Alejo carpentier)، الكوبى يكتب "رواية الطعن فى النظم" (El Recurso del Método) عام ١٩٧٤، ومن باراجواى يكتب "أوجوستو روى باستوس" (Augusto Roa Bastos) رواية "أنا الأعلى" (Yo el Supremo) عام ١٩١٧.

هكذا نجد باى إنكلان قد فتح آفاقًا جديدة لموضوع الدكتاتور، وتربع على قمته من الناحية الأدبية.

من ناحية أخرى، يعد "باى إنكلان" من أروع وأبرز كتاب الحداثة فى النثر، مثلما كان "خوان رامون خيمينس" (Juan Ramón Jiménez) فى الشعر، ولقد أظهر تأثره الملحمى بجماليات "دانتى" لكى يبتعد عن أمواج السياسة، لكنه تحول على مر السنين من أديب عاشق للحداثة إلى كاتب مهموم بمشاكل مجتمعه، فلقد فجّر كل ذلك فى بداية العشرينيات والثلاثينات بروايات "السوناتات الأربع" (Las Cuatro Sonatas) ومرورا "بالكوميديات الوحشية (Las Comedias Bárbaras) ، فصاعداً "بكلمات إلهية" (Divinas Palabras) وفى تقاطع مصدر إلهامه مع مسرح العرائس العظيم وأدب القبح الذى وصل ذروته مع أضواء بوهيمية، ليتربع بعدها باى إنكلان على قمة جيل ٩٨، كما وصفه الشاعر المعاصر بيدرو سالينس (Pedro Salinas) بأنه الابن الفاضل لجيل ٩٨، وقد لقبه سالينس بهذه الكلمات لأنه من الآن فصاعداً، ستصير موضوعاته هى موضوعات جيل الكوارث، وخيبة الأمل، الكروب والمأساة ومشاكل إسبانيا.

لقد ذكر لنا فرناندو ألماجرو (Fernando Almagro) وهو كاتب سيرة وناقد لأعمال باى إنكلان، إن أدب القبح قد حوّل إلى صيغة أدبية وعناصر تعبيريّة، تتمثل فى وضع شخصيات ومواقف تحت جهاز بصرى يُحط من قدرهم، مثل أحد شخصيات "أضواء بوهيمية" الذى يقف أمام

مرآة مقعرة توجد في أحد شوارع العاصمة مدريد ويصرخ قائلاً :
(الأبطال الكلاسيكيون قد ذهبوا للتنزه في شارع القط.... وهو الشارع الذي توجد به هذه المرآة المقعرة، الأبطال الكلاسيكيون عندما تنعكس وجوههم في هذه المرآة يجسدّون القبح).

ويقول أيضاً: (الصور الأكثر جمالاً نجدها سخيفة وغير معقولة في مرآة مقعرة).

وهكذا تمثل هذه المرآة الحقيقية - المُثبّتة على أحد الحوائط في هذا الشارع - مصدراً للتشويه ولتجسيد العيوب، هذه المرآة الشهيرة التي شاهدت نظرات بريئة ساخرة عند المرور أمامها، لكن كيف حوّل باى إنكلان هذه المرآة إلى رمز لتشويه هذا المجتمع؟ الذي يهمنا بالضرورة أن نعرف أن "باى إنكلان" اتخذ المرآة مصدراً لرؤيته التشويهية، وقد أوضح لنا أن ما يهمه حقيقة هو تلك الرؤية، التي تعكس تلك المرآة التي وظفها توظيفا تقنيا انعكست من خلاله رؤيته الأدبية لواقع المجتمع الإسباني في أمريكا:

"إن الشعور المأسوى للحياة الإسبانية، يمكن إبرازه من خلال تشويه منظم، ويظهر ذلك في تشوه التعبير في نفس المرآة التي تشوه الوجوه، وكل حياة إسبانيا البائسة".

وتجاه هذا العمق من أدب القبح، لابد من تقييم انعطاف أدب باى إنكلان من الحداثه إلى أدب القبح، ليس فقط في الشكل والمضمون، بل في النمط النقدى للمؤلف أيضاً.

إن مشكلة إسبانيا استقرت روائيًا لدى إنكلان في اتجاهين:

أولاً: فى خلق ما هو إسبانى أمريكى.

ثانيًا: فى التاريخ الإسبانى المعاصر، الذى يرجع إلى النظم السياسية التى كانت فى عهد الدكتاتورية تلفظ أنفاسها الأخيرة، إعادة الملكية الخاصة بعائلة "بوربون" الملكية .... لقد وضع باى إنكلان مُخططًا كما هو معروف فى جدول عناوينه، وضع زمنًا روائيًا كان قد بدأ مع قدوم ثورة سبتمبر عام ١٨٦٨، وانتهى بإعادة الملكية البوربونية، سبعة أعوام بعد ذلك.

ومن ناحية أخرى، قد يتساءل القارئ، لماذا جذب عالم أمريكا اللاتينية "باى إنكلان" بالذات من بين أبناء جيله؟ لقد عرف الكاتب أمريكا منذ أول رحلة له إلى المكسيك عام ١٨٩٢، والتى دامت عامًا كاملاً بما فى ذلك إقامته فى هافانا عند عودته إلى إسبانيا، ثم سافر بعد ذلك فى رحلة أخرى لأمريكا الجنوبية مع شركة "جرّيرو ميندوسا" (Guerrero Mendosa) من مايو حتى نوفمبر ١٩١٠، عندما كانت زوجته ممثله المسرح المشهورة "خوسيفينا بلانكو" (Josefina Blanco) تعمل لدى هذه الشركة، وكانت فى جولة معها فى الأرجنتين، شيلى، أوروجواى، باراجواى و بوليفيا.

كان باى إنكلان هو الوحيد الذى عرف أمريكا من بين جيل ٩٨، حتى "ذهب إليها الكاتب الأسبانى" بناڤينتى" (Benavente) بعد ذلك فى جولة مسرحية. ونفس الشىء قد قام به الكاتب الأسبانى المعاصر "مايثتو" (Maeztu) والذى عينته الدكتاتورية الإسبانية سفيراً لها فى "بوينس أيرس" (Buenos Aires) .

نجد أن رحلات باى إنكلان إلى بلاد ما وراء البحار، قد هيأت له فى الواقع كتابة هذه الرواية، وبالأخص بعد الرحلة الثالثة، التى كانت أكثر أهمية، لأنها بدعوة من حكومة المكسيك الى "باى إنكلان" لحضور احتفالات الاستقلال عام ١٩٢١، وقد وصل إلى هناك على نفقة الكاتب المكسيكى والدبلوماسى "ألفونسو ريى" (Alfonso Rey) الذى كانت تربطه علاقة صداقه بباى إنكلان، وقد قوبلت تلك الدعوة بترحيب كبير من إنكلان، لأنها وصلت فى لحظة من لحظات راديكاليته (أى تطرفه).

ولقد كان إعجاب إنكلان بالثورة المكسيكية معروفًا لدى الجميع، وكان الرئيس المكسيكى "أوبريجون" (Obregón) قد خصّه بصداقته، التى كان لها بالغ الأثر فى نفس إنكلان - فقد كانت أوجه التشابه بينهما كبيرة، فهما الاثنان مبتورا الذراع، لأن أوبريجون كان قد فقد ذراعه فى معركة ثيليًا (Celeya) التى هزم فيها نهائيًا بانتشوبيًا (Pancho Villa) محارب وحاكم وثورى مُتسلط، مما زاد من إعجاب باى إنكلان به.

-٤-

نشرت رواية "بانديراس الطاغية" عام ١٩٢٦ مباشرة بواسطة باى إنكلان قبل أن يتعاقد مثل باقى جيله، مع دار نشر (C.i.a.p.) ومثلما كان يحدث فى أعماله الأخيرة، وبعض أجزاء الرواية الجديدة "بانديراس الطاغية" نشر فى ركن الأدب والفن فى إحدى مجلات "سلمانكا" (Salamanca) الجامعية.

كانت مفاجأة بانديراس الطاغية مذهلة للقارئ وللأوساط الأدبية بالذات، حيث فجرت ثورة أدب القبح التى أبرزت نمطًا من أنماط الدكتاتورية، فى هذه المرة دكتاتور أمريكى لاتينى : "سانتوس بانديراس".

إن المفاجأة كانت مضاعفة؛ لأن أدب القبح لم يكن قد أنتج إلا مخططًا داميًا أوليًا، وهناك ظهرت رواية منتصبة وشامخة لنمط عن دكتاتور أمريكى لاتينى "سانتوس بانديراس"، من أجل الذين استطاعوا إفساد كاريكاتوره الواضح حول الدكتاتور الإسبانى لذلك الزمان "بريمودى ريفيرا" (Primo de Rivera) والذى كان باى إنكلان من أشد أعداء نظامه.

والمفاجأة كانت وجود رمز لشخصية الدكتاتور دون مواريه: **"صلعة ... بنظارة سوداء ورباط عنق لرجل من رجال الدين" الذى كان فى النافذة دائمًا كسارق أحد البغال...."(*)**

لقد رتّب باى إنكلان روايته على النحو التالى:

مقدمة ، سبعة أجزاء ، خاتمة.

كل جزء بدوره مقسم إلى أقسام تتغير فى أرقام . الصعوبة البالغة تكمُن هنا فى نقص الترتيب الزمنى للأحداث.

الكاتب يريد أن يعطى الانطباع بأن كل شىء يمر فى آن واحد، يمر فى وقت واحد.

(*) رواية بانديراس الطاغية ص ٤٠.

إن رواية "بانديراس الطاغـيـة" ذات بناء دائرى من حـيث الشكل والمضـمـون فإذا كانت المقدمـة تطرح أمـامنا تدبير الثورة مع بدأ تحـرك الثـوار إلى "تييرا فرمـيـه" (Tierra Firme) فـفى الخـتـام نرى الثـورة قـد اندلعت ومات الطاغية.

ومن الرسم النظرى للشـخصـية الرئيسـة: سانتوس بانديراس، نرى أنه ظـهـر فـى الكتـاب الأول، يُطل من نافـذته لكى يرى تعـذيب الهندى المتمرد، وفى النهاية يُطل أيضًا من نفس النافذة ليرى الثورة ويعود ليرى الهندى الذى أمر بقتله مدفون، ثم بعد ذلك تأتى وفـاته الحـقـيقـيـة، بأن انهالت عليه طلقات نارية كثيفة.

ترى أيضًا أن البناء الدرامى الدائرى بعد ذلك قد اكتمل فى عدة فـــرص؛ لأن "باى إنكلان" هو كـــاتب شـــديد الحـــرص، صـنف باقـى الشـخصـيات التى تقـوم بدور مـهم داخل حبكة الرواية، فـقـد ظهروا فى البداية والنهاية عند اشتراكهم فى الأحداث.

إن تقنيـــة البـنـاء الدرامـى الدائرى الموظف فى الرواية "بـانديراس الطاغـيـة" يعكس المضـمـون الدلالى للرواية، فـالصـراع سـمـة الأحـداث التـاريخـية، والحـوادث التـاريخـيـة مـتـعـددة ذات أزمنة مـختلفة وأمـاكن متـفـرقة، لذلك فـالبنـاء الدائرى لشكل الرواية جـاء مُتسقًا مع المضـمـون الدلالى لهـا، وفى الوقت نفـسـه مـتـرابطًا، وهذه التـقـنيـة تجـعل المتلقى يمارس دوره فى تتبعه لأحداث الرواية وتشابك عناصرها، والوقوف على حبكتها الفنية.

بانديراس الطاغية

رواية مسرحية سينمائية

يرى النقاد أن رواية بانديراس الطاغية رواية مسرحية سينمائية، ففي مقاله حول مسرح باى إنكلان ذكر "بيريث دى أيّالا" (Perez de Ayala) أن باى إنكلان هو فى الواقع كاتب مسرحى قبل كل شيء .

فإذا لاحظنا البناء واللغة في بانديراس، نصل فى النهاية إلى أنه عن طريق تركيب المُخطط الزمني الذى وصفه الكاتب، لغة الهوامش، الحوار السريع، الأفعال المتحركة والصور المليئة بالألوان الزاهية، نجد أنه يعطينا الانطباع بأننا مشاهدون أكثر منا قُراءً، فنحن نعيش أحد المشاهد. وعقدة الرواية وحبكتها تنمو بواسطة مجموعة الحاضرين المتزامنين أمام عيون القارئ – المشاهد . وحتى نتحقق من ذلك ونؤكده نرى أنه من جملة النقد أن نقوم بتحليل سريع للكتاب الأول المُسمى بـ "مقصورة الطاغية" والذى يعد من الكتب الثلاثة التى يتكون منها الجزء الأول من الرواية "السيمفونية الاستوائية".

إن "مقصورة الطاغية" بدورها مجزأه إلى ثمانية أقسام قصيرة جداً حتى يمكن *أن* تسمى جزئيات وهى *كالتالى*:-

١- تقسم لثلاثة سطور هى عبارة عن مجموعة من الأسماء، دون استخدام الفعل، بهذا يعطى باى إنكلان هـوامش مسرحية لأرض المعـركة "سانتا فيه دى تييرا فرميه (Santa Fe de Tierra Firme) وبونتادى سيرپينتس (Ponta de Serpientes) .

٢- التقسيم الثانى هو استمرار للغة الهوامش السابقة، لكن **"للمدينة أو مروراً بالشعب إلى محل إقامة "دون سانتوس" فى الدير الذى كان يتبع لقساوسة مونتنسس (San Martín de los Montenses)** " : فى هذا المقطع القصير، يُدرج المؤلف أفعالاً هامة مثل: كانت قد أقبلت ثورة من بلاد بعيدة طردت قساوسة الدير.

٣- والتقسيم الثالث وصف لا يُنسى للطاغية، فالأجزاء الثلاثة، مكان الأحداث، مسكن سانتوس بانديراس، وصورة الطاغية يكوّنان جميعاً فى جملتهما وصفاً لخشبة المسرح، حيث تُقدم فيه حفلة مسرحية، وقد يظن أن هذا إنما جاء عمله مع كاميرا سينمائية.

إن القارئ يرى سانتوس بانديراس، عديم الحركة مكفهر، يرى المنظر الجانبى (أى البروفيل) فى نافذة بعيدة ... إنه يبدو كالجمجمة بنظارة سوداء ورباط عنق رجل دين ... وكان دائماً مثل لص البغال، ثم يضع باى إنكلان أمام أعيننا الذى يراه الطاغية من نافذته: **"فصائل من**

الهنود ... خـادمـات وجنود .... بالونات من ألوان تحـتـرق فى زرقـة *السماء*.... "*الآن هى اللحظة التى يعطينا فيها المبدع الروائى باى إنكلان* تاريخ العمل الذى يتصادف مع مهرجانات القديسين والوفيات، ويمكن تجسيد ذلك ووصفه من خلال هذه اللوحات.

٤- تبـدأ الأحـداث حـيـث يـدخـل "المـايـور أبيليـودل بـايـا" (El Mayor Abilio del Valle)، (أحـد الشـخـصيـات الهـامـة) بموكب من الجنود، ينظر تجاه نافـذة الدير، ويبـدأ فى العـقـاب الذى يـعطيـه لأحـد الهنود المتمردين:

المهرجانات والتعذيب يظهران متزامنان أمام أعين الطاغية والقارئ المشاهد فى آن واحد.

٥- موكب، مشهد جديد، الطاغية ينسحب من النافذة لكى يستقبل أعضاء هيئة نواب الجالية الإسبانية، القادمين بثيابهم الجديدة لأيام الآحاد (أى الذين اعتادوا ارتدائها فى أيام الآحاد) ثم يدخل بعد ذلك فى المشهد دون "ثيليستينو جاليندو" (Don Celestino Galindo) أمـام هيئة النواب، يهنئ الطاغية بحرارة مبالغ فيها على انتصاره على متمردى ثمالبوه (Zamalpoa)، كان ممتازاً لتقديم فلاش باك الثورة. ويلاحظ أن حوار هذا التقسيم هو حوار عمل مسرحى.

٦- حوار حول الوضع الراهن بين "دون ثيليس" و "نينوسانتوس" أسبانيا وأمريكا اللاتينية - هو حوار كاريكاتورى جاد يوضح اتجاهات

الزعيمين، الإسباني والأمريكي المتفاهمين تمامًا - في نهاية المشهد الطاغية يودع دون ثيليس، متكلفا، مهزومًا.

٧- يعود الطاغية إلى النافذة. ويُقفل ستار البناء الدائرى لهذا الكتاب الأول، ينظر نحو المدينة المشتعلة فوق بريق البحرية الزُمرّدية، ونحو عربة "دون ثيليس" التي تبتعد.

٨- يُطل الطاغية من النافذة ويستمع لغناء ضرير.

كان دييجو بديرنالس

من نسل شريف

ولكن التزامات فصيلته،

لم تستمر.

إن توظيف هذا الغناء في الرواية هو توظيف مسرحي حيث تمثل الأغنية هُنا فاصلاً من فصول الأحداث حتى يجد المتلقى راحته في استقبال الحدث الجديد، هذا بالكاد هو توظيف مسرحي.

نجد هنا أن التقنية المسرحية التي استخدمها باى إنكلان في روايته تعطينا أصالة كبيرة، وإبداعًا مفرطًا، لذلك نجد أن الرواية من الممكن تقديمها على خشبة المسرح، ومن الممكن أن تكون أيضًا فيلمًا سينمائيًا مدهشًا، بعض الكتب المقسمة في الرواية ومن المحتمل إعدادها مسرحيًا أو سينمائيًا أكثر من غيرها، لأن البناء الدرامي

والأسلوبى يشكلان مسرحًا وعند الوصول إلى آخر مشهد، أو تقسيم الكتاب الذى عنوانه "معدن الصخر الأبيرى" لا نستطيع إلا أن تضع فى الاعتبار أننا نتعامل مع رؤية تكعيبية لما فيها من أحداث وظلال وألوان ووصف مجُسد متداخل فى اتساق، وصراع وأصوات تعطى للصورة الكلية مصداقية للحدث الروائى، كما نجد خطوطًا متقاطعة لرسم الصورة الفنية، وكأن هذه الرواية - فى هذا التقسيم - كتبت للتصوير السينمائى، أو من أجل رسّام تكعيبى يجسد المشهد الأخير فى تشكيل فنى تكعيبى بكل ما فيه من تقنيات فنية:

"صياح الباعة الجائلين يدوى فوق الأرصفة ... خطوط متُعرجة من ماسحى الأحذية السود ... صوانى رنّانة يحملها إلى أعلى غلمان البارات الأمريكية.... عدد كبير من الفتيات المولّدات حسنات المنظر يحزمن خصورهن بأغطية الرأس ذات الطراز القديم ... صور .... مظلات. أضواء منعطفة تنبنب وتُهيّج المكان المملوء بسهرات الأفيون والحشيش، الذى يتعاطاه السوقة "(*)

الجدير بالذكر أن رواية بانديراس الطاغية أعدت للمسرح وقدمت على أحد مسارح مدريد بواسطة فرقة "لوبيث دى فيجا" (Lopez de Vega) التمثيلية عام ١٩٧٤م وكانت قد أُعدت من قبل ومثلت على مسرح إستديو جامعة كولومبيا القومية عام ١٩٦٨.

(*) بانديراس الطاغية ص ٧١.

البناء الزمنى فى الرواية

إن الطبيعة المسرحية والسينمائية لتقنية بانديراس الطاغية ترتبط بالطريقة التى يتحكم بها الكاتب فى الزمن، بمعنى أن الأفعال (أى الأحداث) التى تقع فى اليومين ونصف من مكان أحداث الرواية يجب أن تُقدم للقارئ كأفعال متعاقبة، كأنها تحدث فى الوقت نفسه.

الرواية تطرح مشاكل سياسية – اجتماعية جادة إلى حد ما، فمن المنطقى أن يريد المؤلف إعطاءها دفعة نحو حاجز مستمر. إذا أخذنا هذين اليومين ونصف اليوم من وجهه نظر "ناتشيتو فيّجياس" (Nachito Viguiltas)، من الممكن أن نرى كيف استطاع هذا المهّرج المأسوى فقدان الاتصال بالزمن، نفس الشىء حدث فى حالة "تكاريس الكروثادو" (Zacarías El Cruzado) أو الكورونيل دى لاجاندرا (El Coronel de la Gándara).

نجد أشياء كثيرة فى "بانديراس الطاغية" فى وقت قليل جداً، فى لحظة مثلما ذكر باى إنكلان فى المقدمة، أن *الاستعداد للثورة* (أى الاستعداد للقيام بالثورة)، يحدث ذلك فى اليوم الثانى وتتصل بالكتاب السابع، أو الكتاب الأخير للجزء الرابع الذى هو نواة الرواية.

من ناحية أخرى، عندما يتعلق الأمر بمفهوم باى إنكلان، نجد أن كل شىء له دلالة خاصة، (أى أنَّ كل شىء يكون له مدلول خاص) فكاتبنا مُبتكر، مُبدع ومُعقد أيضًا فى مظاهر مُتعددة من أعماله، وله رؤيته فى توظيف الزمن يعبر عنه على النحو التالى:

"ألف عام تمضى فى لحظة واحدة"

"إن باى إنكلان" يتجاوز حدود الزمن الواقعى ليجعله زمنا روائيا ، ويفعل ذلك لكى يعطى الإحساس بأن كل شىء يمضى فى لحظة واحدة. بالنسبة لحبكة الرواية، اليومان ونصف اليوم هى لحظة واحدة، من وجهة النظر التاريخية، الآن بوسع القارئ أن يطلع على كل ما يحدث فى سياق هذا الحاضر المتزامن، الذى يقدمه لنا الروائى.

باى إنكلان لا يريد بلاشك بلبلة القارئ، لكن يريد إعطاءه حيوية أكثر، وقوة للأفعال التى تحدث فى الرواية.

مما لا شك فيه أنه توجد حيرة، وأن هذا يأتى من الأحداث الهامة (أى التى ذات مغزى) التى تحدث فى المساء، ويكون من الصعب تحديد الخطوة من يوم لآخر.

جدول للبناء الزمنى فى علاقته مع ماهو أساسى

مقدمة: اليوم الثانى للأفعال:

بدأت الثورة عند منتصف الليل، سوف يستأنف اليوم الثالث.

أجزاء:

أولا | تروى أحداث اليوم الأول فى الرواية

ثانيًا

جزء : | "مساء اللهو الصاخب" هذا المساء يقوم بعمل جسر بين اليوم الأول والثانى.

ثالثًا | الكتاب الثانى عنوانه "مساء التذكير بأرواح الموتى"،

عارضه | لقد وصل يوم الوفيات.

أجزاء: رابعًا خامسًا سادسًا سابعًا | وقع أثناء اليوم الثانى من الحدث على طريقة الحاضر المتزامن. المقدمة مرتبطة مع الكتاب السابع من الجزء الرابع: لقد وصلنا لمنتصف الليل مرة ثانية . فى تقسيم السادس من الكتاب الثالث للجزء السابع، تدق الساعة الثانية عشر، للمرة الثالثة.

اليوم الثالث يبدأ ثلاث مرات.

الخـتـام : اليـوم الثـالث (منتـصف الليل قـد بدأ فى نهـاية الجـزء السابع، أحداث الختام تنتهى فى منتصف الليل.

عادة يحـتفل بذكرى أيام القديسـين والوفيـات، كما لو كـان يومًا طويلاً بمعنى أنه مُتصل الواحد بالآخر.

لقد اختار باى إنكلان هذين اليومين لعدة أسباب:

أولاً: إن هذه الاحتفالات المستمرة، سوف تعطى للتقديم حاضراً متزامنًا دون أن يدرك القـارئ الخطوة من يوم لآخر. كتب باى إنكلان المقدمة، لكى يلفت النظر إلى ما يدور، عما وقع أثناء اليوم الثانى للأحداث نحو منتصف الليل. لم يُخبر القـارئ أنه عندما يبدأ الكتاب الأول من الجـزء الأول للرواية، نكون قد بدأنا اليوم الأول، وبالتالى قـد تحـركت السـاعة للخلف. يدخل اليـوم الثـانى أثناء مسـاء طويل من الصـخب، واليـوم الثـالث يبـدأ بالطريقـة نفسها، بينما يكون الطاغية يلهو بجانب دكتور بولاكو (Polaco) والآنسـة الوسـيطة (La Señorita Medium)، أثناء القـيام بعـمل التنويم المغناطيسى، تندلع الثورة.

الختام، قد اكتملت الثورة، يحدث ذلك فى النصف الأخير من اليوم.

إن تقـسـيم البناء الزمنى فى الرواية يعكس لنا فى الوقت نفسـه الزمن الواقـعى لقـيـام الثـورة، فـالزمن الروائى عند "باى إنكلان" زمن متداخل متراكب، تبدو فيه الأحداث وكأنها سيمفونية مُتداخلة النغمات، كل فتـرة زمنية تحمل فى نهايتها بداية لزمن آخر جديد، لذلك تنعكس الأحـداث الدرامـيـة للعـمل الأدبى من خـلال تداخل الزمن وتقـسـيـماته المتعددة المتداخلة.

تقنية السرد فى " بانديراس الطاغية "

التقنية فى هذه الرواية التابعة لأدب القبح داخل أعمال باى إنكلان تعد عملاً متكاملاً، رواية متقنة فنيًا بأحداثها وأسلوبها السردى. إنها المثل الجيد لاستطاعة كاتبها على التلاعب الساحر بالضوء واللون:

" المدينة مُشتعلة بانعكاسات فوق البحرية الزمردّية، كانت النسمة عطرة، مملوءة بأزهار البرتقال والتمر هندى. ترتفع بالونات المهرجان الشعبى فى السماء البعيدة والمهجورة، بأضواء كثيرة. تحتفل "سانتا فيه" بمهرجاتها الشعبية الخريفية ... المدينة، مزخرفة بمربعات ملونة مثل رقعات الشطرنج البيضاء، والأسطح الوردية، لديها اختلاج لامع، تبدو على هيئة قلعة فوق مُنحنى الميناء".

"كانت البحرية مملوءة بأمواج صغيرة مُزبّدة بهياج البحر، بزرقة السماء، يشعل لهيبها الأحمر أبواق نويتجى العنابر"(*)

لكن صبغة الحداثة الكامنة فى الإحساس بالمناظر الطبيعية تنعقد، تبدو خارقة وتتحول بعنف (أى تتحول عنيفة).

(*) بانديراس الطاغية ص ٣٩

يوجد تشابه تام بين صورة بانديراس الطاغية المستبدة، وبين الشخصيات الأخرى، والشعور بالحياة الشعبية، صياح، دوى، حركات، ألوان.

الكاتب هنا يُحرز لحظة حاسمة فى عمله، مُتنوعة، فى الوقت الذى يتحرك فى عالم غير متجانس.

الضرير القبيح والفتاة الذابلة (أى الكئيبة) حزينة، تمر بصوانى جمع التبرعات وهى مُستسلمة لقدرها، الهنود يعبرون الأرصفة، ويحيون الطاغية منحنيي الركبة احتراماً وإجلالاً، بيوت الدعارة يتردد عليها السكارى، دونيا لوبيتا الرومانية، خادمة ومولّدة الأصل.... ومن بين هذا العالم المتحرك الظلال، يبرز بأهمية بالغة، كم كبير من الشخصيات، التى أتقن "باى" رسمها بريشة فنان روائى ماهر.

"اليسنسيادو فيّجياس"، الذى كان يلهو فى منزل دونيا لوبيتا، يعمل بهلوان أمام الطاغية لإرضائه، وينتهى بحبسه فى سكن "سانتا مونيكا (Santa Mónica) .

الجنرال دو ميثيانو دى لاجاندرا المتهم بالخيانة، يُثير الاضطراب فى بيت دعارة الكوكارتشا، يهرب بعد ذلك من النافذة بمساعدة الخزّاف ثكاريس الكروثادو، يستطيع الذهاب لمزرعة فيلومينو كويفس (Filomino Cuevas) فيلومينوكويفس يجسد شخصية المزارع ابن البلد المهاجر، ثائر يمد الهنود والفلاحين بالسلاح، ويُعد لإنزالهم فى "سانتا فيه" (Santa Fe) .

نرى فى الجزء الثالث من الرواية مثلاً نموذجًا لهذا العالم بدقة بعنوان "مساء اللهو الصاخب".

"السوقة يتجولون فى مجموعات نحاسية اللون، بشعرهم المجعّد، وأقدامهم الحافية، حفلات للعب الورق، مشروب العرقى، كعك من العجين المغلى، نساء مسترخيات .... إلخ" .

نجد هنا فى تقنية السرد تقدم غير عادى، معالجة الزمن فى الرواية شىء مهم، انقطاع التسلسل الزمنى: مقدمة الاستعدادات الأولية للانقلاب الثورى مرتبطة بالخاتمة. الكاميرا تتراجع فى الجزء الأول، لتقدم لنا الجنرال سانتوس بانديراس، بعد ما أمر بإعدام المتمردين رميًا بالرصاص فى ثمالبوه (Zamalpoa) .

يوجد بالإضافة إلى ذلك تبادل الطباق بين العوامل الثلاثة الفنية للرواية:

١- الطاغية وموكبه، ٢- الجالية الإسبانية، ٣- المجموعة الثورية .

صور تقنية السرد التابعة لأدب القبح تتكرر بوضوح من خلال الرواية: "فظاعة، نفور، اختراق، صياح، إمرأة ضخمة، حليقة الرأس، مُستفزة العيون مثل حيوان جبلى، إنها الصورة المميزة لروزيتا بنتادو (Rosita Pintado) كما وصفها المؤلف: **"إمرأة ضخمة، حافية القدم، بجونلة ومنديل مثلث، ذات شعر مجعّد، أشقر ضارب للسواد، عيون وحواجب قاتمة السواد، إنها شخصية جبّارة لعجوز مُتدينة ..... الخ".**

المعـروف أن باى إنكلان كـان فى عـداء مـسـتـمـر مع الجـاليـة الإسـبـانيـة منذ عـام ١٩٢١، وبالغ فـى رسم صـورة اللجنة التى زارت بانديراس الطاغية، فى نسج شخصية الجاشوبين كينتين بريدا (Quintin Pereda) القـاسـيـة: **"المرابى عديم الضمير، وفى الملامح القبيحة لبارون بنى كارلس، سفير إسبانيا. الوزير المفوض، الإسبانى، وفضيحة الجالية والمفوضيات الأجنبية وعلاقاته مع كوريتومى ألما (Currito Mi Amla)، هذا الوزير لديه صوت شيخ متظاهر بالشباب، وخطوة راقص، ضخم، ذى وجه مفرطح، أبله، مستعد دائما للهمس والقيل والقال، يرتشح عنوبة زائفة ... الخ".**

ومن نـاحـيــة أخـرى نرى أن رواية بانديرس الطـاغـيـة زاخـرة بالمشـاهد الواقـعـيـة الحـقـيـقـية: فظاعـة الثـورة، سـجن سـانتـا مونيكا، بأسطورة الماء السـامـة، السلوك العنيف للمـرابى بريدا، الذى نتج عنه القبض على زوجه تكاريس الكروثادو، وبكاء طفلها المنفزع والمتروك على حافة الكوخ، حيث التهمته الخنازير، بعد ذلك انتقام تكاريس الكروثادو، بشكل بشع لموت نجله بهذه الطريقة المقزّزة: **"يلتـقط جـوالاً ويضـع به رفـات نجله، ويفكر بإصـرار وهو مـتـألم، يذهب للقـاء المرابى ، يرمى السوط ويسحقه مُقيداً يديه ورجليه فى مؤخرة الحصان، وبذلك يشفى غلّه، ويُهدأ حزنه الهندى الصبور"** .

ويأتى بعد ذلك المشهد المأسوى الأخير عندما قرر الطاغية قتل ابنته بخنجر، رشقه فى صدرها لكى لا تقع فى أيدى الأعداء، غير مبالٍ بتوسلات الخدم.

خرج الطاغية بعد ذلك إلى النافذة وخنجره فى يده، ثم سقط نتيجه إطلاق أعيرة نارية كثيفة عليه، فصلت رأسه عن جسده الذى ظل ثلاثة أيام فوق المقصلة فى ميدان الأسلحة .

جاء فى محضر الإعدام ضرورة تقطيع جسده أربعة أجزاء توزع على كل الحدود.

لغة النص في بانديراس الطاغية

لقد تأثر النقاد بمرحلة الحداثة التى اعتنقها باى إنكلان فى السنوات الأولى من حياته الأدبية، ورأوا أن الذى يهم الكاتب بالدرجة الأولى (أى بالضرورة) هو الأسلوب، مما لاشك فيه أن باى إنكلان فنان له لغته الفنية، يهتم بالجماليات، أى جماليات الأسلوب) والشكل، التركيب الأسلوبى، ولكن بالإضافة إلى ذلك فهو مهتم بإسبانيا، مهموم بمشاكل وطنه.

رواية بانديراس الطاغية هى تمرين مُتقن من الأسلوب الخاص الذى صهر فيه أساليبه وأعاد صياغتها، ويتضح ذلك فى أن الكاتب قد صاغ أسلوبًا مركبًا ومعقدًا للغاية بشجاعة ومهارة فائقة ونادرة المقارنة فى الأدب الإسبانى المعاصر. كما إنه أسلوب غزير، رائع، يستطرد من قول لقول بفكاهة سوداء، ناتجة عن رؤيته التشاؤمية. نجد أسلوبه أيضًا زاخرًا بالاستعارات والتشبيهات المدهشة، بمصطلحات حديثة، ألوان بديعة مثل: الجناس والطباق والتلاعب بالألفاظ. كما يظهر بوضوح تفضيله للكلمات التى تضم اللثغ بالسين، مرات أخرى يسترشد

بالصوت والألوان. إن هذا المعجم اللغوى الذى قدمه الكاتب فى الرواية للقارئ يصل إلى القمة، حيث يستخدم الكاتب هنا قوتّه التعبيرية، وتظهر بعض الملامح التأثيرية بتكرار أقل وطأة نظرًا لرواسب مرحلة الحداثة لديه .

الناقد أو الباحث الذى يتخصص فى دراسة أعمال باى إنكلان الأدبية، يندهش كثيراً لأن الكاتب كلما طال به الزمان، وتقدم به العمر، نجد نظرته للأمور تتغير وأسلوبه يتجدّد، ونجده يكتب لنا فى النهاية بطريقة سابقة جداً لعصره الذى لم ينصفه.

إن تفرّد باى إنكلان بهذه الجسارة والأناقة التى تضم أسلوبه مع الثروة اللغوية التى يمتلكها، ونراها راسخة بوضوح فى هذا العمل الذى لا يقارن ويستخدمه فى بانديراس الطاغية، يستحق حقيقة منا كل تقدير.

إننى بوصفى باحثة متخصصة فى أدب هذا الكاتب العظيم وقارئه قبل كل شىء، أرى أن لغة النص فى هذه الرواية بمثابة النهر المتدفق علينا بأساليب مُتنوعة، فيها عذوبة وشاعرية، مثلما هو مثير للاستغراب، تنقصه انفعالات عاطفية وحنان، مملوء بالألوان الزاهية التى تتناسب مع الألوان الاستوائية، فيه أيضًا إيقاعات موسيقية نتيجة للأسلوب الذى صورّه الكاتب معتنيًا فيه بالملامح البارزة، والمبالغة فى الأشياء لكى تعطى حيوية للأحداث.

إنها تصوير شخصى ورؤية خاصة، مع صياغة لعدد كبير من لهجات دول أمريكا اللاتينة، كل ذلك يُشكل أهمية كبيرة للرواية، ويعد من أكبر مهارات الكاتب الذى قدمها لنا فى أواخر إنتاجه الأدبى.

نجد هذه الأساليب يغلب عليها المصطلحات المكسيكية - لأن المكسيك كانت هى البلد الذى ارتبط بها المؤلف أكثر من غيرها - الأرجنتين، عبارات اصطلاحية من بيرو، بوليفيا، شيلى، كوبا ، أمريكا الوسطى....إلخ. الكاتب يستخدم اللغة الاصطلاحية (Jerga) التى كان يسد [illegible] أثناء رحلاته المختلفة للقارة الأمريكية، كل ذلك يضيف لحسه الشاعرى وسخريته اللمّاحة نتيجه مذهلة.

لقد وجدت أنه من الأفضل أن أقدم بعض الأمثلة الفريدة التى تملأ الرواية والتى ليس لها حدود، أمثلة من الأساليب المتنوعة لقطاعات مختلفة من المجتمع فى أمريكا اللاتينية ، ولو أنه من الصعب اختيار من أين نبدأ، لكن نأخذ مثلاً من الأساليب المختلفة المقلّدة والمؤلفة بواسطة باى إنكلان، نتخير الأسلوب البلاغى للخطيب السياسى الثائر ليسنسيادو سانشس أو كانيا (Licenciado Sanches Ocaña):

"يجب على المستعمرات الإسبانية أن تنصت لصوت الحضارات الأصيلة بأمريكا، لكى يعود لها تاريخها العريق، ويمكن أن يحتفظ فى يوم ما - بمستعمرة واحدة على سبيل الرابطة الروحية.

إن الكاثوليكية والتشريعات الفاسدة ، هى أغلال تقودنا نحو حضارة لا قيمة لها.... حضارة أنانية وكاذبة، لكن لو ارتددنا عن هذا

الزى الرسمى الدنىء ، سيكون ذلك من أجل فتح الباب أمام رابطة جديدة تحيا معها تقاليدنا الشيوعية الألفية فى مستقبل كامل للتضامن الإنساني .... مستقبل يشبه الزلزال المرعب فى تأثيره على العالم.(*)

لكن يبدو أن باى إنكلان لا يستطيع أخذ بلاغة السياسى بجديه وناقض بلاغة الخُطبة بصوت يأتى بعد ذلك بصياح ويسبه بملء فيه: أمن عند أمك؟

باى إنكلان هو شاعر بالنثر (أى نثره شعر)، يستخدم الجناس كثيراً، وأحياناً يعلن ذلك بنفسه عندما يقول لنا أن لغة الجندى الهندى الأصل مملوءة باسم حرف (eses y eles)، أى أن لغة الجندى مملوءة بذلك وتلك:

"خرجنا بعد ذلك من المستنقع بفضل العناية الإلهية، وعند خروجنا أمطرونا بوابل من النيران لفترة قصيرة بكل شراسة من فوق تلك السهول التى لا نهاية لها تحت ضوء الشمس اللافح الذى يحرق الرمال، وهناك انسحبنا سريعاً من خلال حقل أمريكى موحل، والفيدراليون يتبعوننا وأكثر من ذلك لم ينقطع أزير الرصاص ونحن نسرع فى الجرى".(**)

(*) باندیراس الطاغية ص٧٢ ، ص٧٣
(**) باندیراس الطاغية ص١٨٠

نجد نموذجًا آخر في الوصف الذي يستخدمه الكاتب لعميد الجالية الإسبانية "دون ثيليستينو جاليندو (Don Celestino Galindo) "مكّور، مدوّر، متحذلق".(*) (Orundo, rotundo, Pedante)

وفي جزء آخر من الرواية لا يمكن تجاهل طريقة كوريتو مي ألما (Currito Mi Alma) التي تحدث فيها بلغة الغجر، (Caló). الوصف الذي سبق كلمات كوريّتو الأولى في الرواية يُسجل إيقاعًا للغته: "جاء (أي حضر) إلى الغرفة كوريّتو مساعد الوزير دون موعد سابق، دخل مسرع الخُطى، ثم وقف الطفل الأندلسي (المساعد) عند الباب، وبينما هو يقرع باب الجناح القرطبي الكبير، كان يرفع السيجار على طريقة كأس كنيسة إشبيلية، ثم دخل الغرفة واستهل حديثه على الطريقة الإشبيلية الأرستقراطية وهو يلثغ في حرف الثاء:

– يا ظريف، هل تزينت من أجل احتفالات أسبوع آلام المسيح؟ مالك يامرلين تزم فمك مثل ناسك متعبد؟

التفت صاحب السعادة الوزير المفوض مُعطيًا ظهره للشاب.

– إنك لاتصلح، لقد اختفيت بالأمس.

– قدّم احتجاجًا دبلوماسيًا، وسأخرج من المأزق حالا كما نقول نحن الكلاسيكيون .... سوف ترى إيزابيلتيا".(**)

(*) بانديراس الطاغية ص٤١

(**) بانديراس الطاغية ص١٩٣

لغة كوريتو هنا لها تأثير كبير لأنها تتناقض مع اللغة السليمة التى يستخدمها الوزير المفوض.

نجد من ناحية أخرى، الدكتاتور "سانتوس بانديراس" العبوس، لا يتكلم كثيراً (أى لا يتحدث كثيراً) فى الرواية؛ بالرغم من أن شخصيته تشكل المحور الرئيسى فى الرواية.

نرى في حديثه تلميحات تاريخية لرجل مُثقف مختلطة بمصطلحات إسبانية أمريكية.

الأمثلة كثيرة ومتعددة في الواقع لأساليب الرواية ولغتها وتحتاج لدراسة خاصة، جديرة بأن تنفرد بها فى مجال آخر، إنها موسوعة من أساليب مختلفة نسجها باى إنكلان في الرواية بدقة وعناية فائقة. هذا النهر اللغوى المتدفق وهذه العذوبة التى لا حصر لها تكمن فى التلاعب بالألفاظ، وفي بعض الشخصيات المُقدمة بواسطة صوت محاك لصوت من أصوات الحيوانات، بانديراس مثلاً يُفاجئنا بكلمات مثل "شاك ، شاك" وناتشيتو فيجياس "يكواكوا" وكثير من الشخصيات تتصرف بطريقة لا رحمة فيها ولا شفقة، لدرجة أن باى إنكلان يحولها (أى يحول هذه الشخصيات) إلى دميات متحركة، ينتزع منها صفتها الإنسانية، ويجرّدها منها، بالإضافة إلى استخدامه لألفاظ رنانة لكى يقدم الأصوات التى يرغب فى تكرارها.

لقد قدم لنا باى إنكلان فى هذه الرواية "سيمفونية استوائية" ، هى فى الواقع "سيمفونية دموية" من التعذيب الجسدى والنفسى، حيث كانت الضحية دائمًا هى أهالى البلد الأصليين. إنها أمريكا قبيحة الشكل - كما صورّها لنا الكاتب - المُخيفة والمثيرة للشفقة والحسرة.

رواية بانديراس الطاغية

مقدمة

- ١ -

كان فيلومينو كويفس Filomeno Cuevas مزارعًا من أبناء أوروبا المهاجرين، وكان يستعد تلك الليلة لتسليح عمّاله بالبنادق، والتى كان يخفيها فى أحد الأدغال، وكان العبيد من الهنود يزحفون بواسطة جداول تيكومـايبـو Ticomaipu فى صفوف طويلة، وكان القمر فى تلك الليلة ساطعًا، ويسمع همس، وخرير ماء وصدى الصوت.

- ٢ -

توجهوا نحو خاروت كيمادو Jarote Quemado بقطيع من الرعاة، استأجر الحارس دابته، وعلى ضوء مصباح يدوىّ مرّر قائمة:

- مانويل روميرو (Manuel Romero)

- نعم

- اقترب، فقط من أجل أن أوصيك بألاّ تصير مخموراً، اليوم ستكون الإشارة مع أول دقة جرس فى الثانية عشرة تمامًا ستحمل على

عاتقك مسئولية أرواح كثيرة، ولن أقول لك أكثر من ذلك، ويمد يده إليه مصافحًا.

– قائدى: نحن مدربون على هذا الشعب

وهنا يمرر القائد كشف الأسماء مرة أخرى

– بنيتو سان خوان Benito San Juan

– نعم

– أيها الهندى العجوز، هل تجاوزت كلمة السر؟

أيها الهندى العجوز، إن ذلك لا يعنى بالنسبة لى إلا التدخل ببعض القطعان من الخيول فى اتجاهات متفرقة من المهرجان، وإطلاق النيران فى الهواء، أطلق بعض الأعيرة النارية، ولا تترك صعلوكًا واحداً سليمًا .. إن كلمة السر لا تصنع صعوبات كبيرة.

– الساعة الثانية عشر تمامًا، ومع أول دقة جرس، سأنزل الجنود عند ساحة الكاتدرائية.

– لابد من التصرف فى البضاعة المهربة، حتى آخر بائع مسالم فى السوق.

– هكذا سوف نفعل.

– يجب أن تقوم بواجبك على أكمل وجه، ويمد يده إليه مصافحًا ثم وضع الورق بالقرب من المصباح المضيئ وقرأ

– أتيليو بالميرى

– نعم

وكان آتيليو بالميبرى ابن عم زوجة صاحب المزرعة، شاباً أشقرَ متعجرفًا ، وأسدل صاحب المزرعة ذقنه الماعزية، واستطرد قائلاً.

– آتيليو، لك عندى مهمة خطيرة جداً

– أشكرك ياصهرى العزيز.

– ادرس أفضل خطة لإشعال النيران فى دير الراهبات، وجميع الجالية، وعلى الحوائط، حتى تبث الذعر فى الشارع، وتثير الشغب، وهذه هى مهمتك، وإذا أعجبتك أية راهبة، أغمض عينيك، فلابد أن تتعامل بعنف مع الناس الذين لا يتعاطون مشروبات، وكن حذراً وتعامل معهم بذكاء شديد يا آتيليو .. حظ سعيد .. حاول أن تفعل ذلك حوالى منتصف الليل تقريباً .

– اتفقنا يافيلومينو، أعدك بأننى سأنفذ ذلك بنجاح

– هذا ما أتمناه.

– ساكاريس سان خوسيه

– نعم

– بالنسبة لك لا توجد مهمة خاصة، سأترك ما يحدث لفطنتك وحسن تصرفك.

ما اللعبة التي ستقوم بها هذه الليلة حين تتوغل ببعض رجالك عند سانتا فيه؟ ماذا ستكون خطتك؟

– سأحدث شغبًا في المولد، سأقلب العنابر وأفتح الأقفاص في المهرجان مستعينًا في ذلك بخمسة رجال شجعان.

مارأيك أيها القائد؟ أليس ذلك عملاً جيداً؟ سوف أضرم النيران في جميع محلات الإسبان الذين يعيشون هنا، مع خمسة وعشرين حارساً في لوس مونتنسس (Los Montenses)

– ألا تتعهد بأكثر من ذلك؟

– وبكل ثقة سأعطي بانديراس الطاغية قدحًا من النبيذ: (يقول ذلك ساخرا) سيدي الرئيس في هذا الجوال الذي أحمله توجد بقايا من رفات نجلي، لقد افترسته الخنازير في المستنقع، ولمجرد حملي هذه البقايا، ربحت من لعب الورق لكي أعرض في المهرجان بضاعتي من الفخار، وسحبت أحد الإسبان بالسلبة (*)، وهربت سالمًا وسط نيران الشرطة، سوف أخرج من كل هذه الأشياء سالمًا هذا المساء.

– كروثاتو، خذ من هؤلاء الناس الذين سيعاونوك، ونفّذ هذا البرنامج الجميل، سوف نلتقي .. أعطني يدك

(*) سلبة : هي عنان سرج الفرس وهي شريط من الجلد لسحب الحصان أو الثور منه .

وبمرور هذا المساء، ادفن هذه البقايا، إن الحماس والعزيمة فى الحروب هى أفضل ما نحققه أعطنى يدك .

– سيدى الرئيس، إن هذه المهرجانات سوف تكون علامة بارزة.

– أتمنى ذلك .. كريسانيو روا (Crisano Roa)

– نعم

وكان هو آخر مَنْ بالقائمة، نفخ القائد نوبة السير، وبدأ العمال البسطاء يتحركون من جديد تحت ضوء القمر.

-٣-

كان الكورنيل دى لاجاندرا قد ترك الحرس الوطنى الفيدرالى يباحث بخدع وسخرية على التجهيزات العسكرية لصاحب المزرعة:

– فيلومينو لا تكن عابثًا، وتتسبب فى جروح عندما تنقصك الساق الطويلة، إنها مسئولية خطيرة أن تزج بعمالك البسطاء فى المعركة، يجب أن تعرف عمومًا، أنك لا تستطيع وضع خطة لمعركة، إننى رجل علم، وحاصل على دبلوم المدرسة العسكرية.

ألم يرشدك عقلك إلى من يجب أن يتولى القيادة؟ أمن الممكن أن يكون كبرياؤك قد أعماك لهذه الدرجة؟ ألهذه الجرأة يكون جهلك؟

– دو ميثيانو: إن الحرب لا تدرس فى الكتب، كل ذلك يتوقف على الذى يولد من أجلها.

– وهل تُجزم بأن نابليون اختير للمجد السماوى؟

– ربما

– فيلومينو، لا تقل تفاهات.

– دوميثيانو، صدقنى، لو أعددنا خطة للقيام بحملة أقودها أنا سأتنازل لك عن القيادة، فماذا تفعل أنت بمائتى بندقية؟

– أزيدهم حتى أكوّن جيشاً.

– كيف تستطيع ذلك؟

– نرفع شعار التجنيد الإجبارى لكل مدن المنطقة ، فى تييرا كالليينتى Tierra caliente يوجد أصدقاء قليلون للثورة.

– أهذه هى خطتك المقبلة؟

– فى السلاسل الجبلية يوجد مقر للحملة، يجب أن يكون ذلك فى الجبال، إن السهول تكون من أجل القطاعات العسكرية الكبيرة، لكن الميليشيات العسكرية، والقوافل الأخرى المتحركة، تجد أفضل حليف لها فى التضاريس الجبلية هذا هو الشق العلمى المدروس، ومنذ وجدت الحروب فبناء الميدان يفرض المناورة، مائتان من البنادق فى السهول تكون دائماً مُحاصرة .

– هل نصيحتك هى الصعود للجبال؟

– لقد قلت من قبل ... البحث عن حصن طبيعى ، ليعوض بالخداع قلة المقاتلين.

– حسن جداً، هذا هو الشيء العلمي، مذهب العلماء، تعليم المدارس ... هذا مطابق جداً، لكنني لست عالمًا، ولا مؤلفًا، ولن أعترف بتلاميذ الأكاديمية الحربية، فخطتك للحملة لا تناسبني يادوميثيانو أنا كما ترى، أفكر في انقلاب مفاجئ في هذا المساء في سانتا فيه، منذ زمن بعيد وأنا أفكر في ذلك، وبخاصة عند الرصيف المكتظ لدى النهر، يوجد هناك حفل راقص تطلق فيه النيران، سأنقل أتباعي وأنزلهم في شاطئ بونتا سربينتي (Punta Serpiente) سأفاجئ حراس الحصن، سأسلح المسجونين، سأثير الفتن بين صفوف الجيش في المعسكر، وهكذا ينتصر الرقباء. هذه هي خطتي يا دوميثيانو.

– وسوف ألعبها لك كلها، بيد رابحة في اللعبة. لا تكن منافسًا لفابيو ماكسيمو (Fabio Maximo) (*).

ما خطة الجلاء التي درستها؟ إنك تنسى أن العسكريّ المحنك لا يضحي أبداً بتهور، ويهاجم بمعرفة مسبقة، لخطوطه من طابور المساء، هذا هو التكتيك الجماعي والأساسي في السهول المترامية الأطراف في بلادنا، الذي يصارع في أرض المعركة يجب أن يعرف كيف ينسحب بعتاده من الميدان، إذا كان سريعًا في المناورة، ينتصر على أتباع

(*) فابيو ماكسيمو: دكتاتور وسياسي روماني، هزم سكان قرطاج في أحد المعارك

أنيـبـال ونابليـون Anibal y Napoleon (*) إن حـرب العـصـابـات التى تصنع الثورات، لا تسـتطيع اتبـاع تكتيك آخـر غيـر الذى فعله الرومان أمام القرطاجيين، لقد قلت ذلك.

– بليغ جداً

– أنت إنسـان غير مـسئول إذا اقـتدت مجـموعة من الرجـال إلى التهلكة.

– بشـجاعة وحظ تكسب الحـملات، وليس برياضيـات الأكاديميات، ماذا فعل الأبطال ليحصلوا على استقلالنا؟

– تصرفوا مـثل الرسل، لقد كانوا أسـاطير شـعبية، إسـتراتيـجيات عظيمة، لقد كان سيمون بوليفار أولهم، كان جنرالاً متشائماً، الحرب هـى تقنية علمية، وأنت تحولها لمقامرة بالكرة فى ملعب الروليت.

– هكذا تكون.

– إذن امض مثل الأحمق.

– لســت رجل علــم، مـحتمل، فأنا ملتزم بألا أنقاد لنظام آخر غير معتقداتى وما يختلج فى نفسى، سـأذهب إلى سانتا فيـه من أجل رأس الجنرال بانديراس .

(*) أنيـبـال : جنرال مـشــهـور من قـرطـاج، هزم الرومـان فى مـعـركـة تسـينو (Tesino) .

– متأكد أكثر أنك ستفقد رأسك أنت.

– هناك سوف نرى، وسيشهد الزمن بيننا.

– فكر في عملية دون تكتيك معتمد، إن مشاجرة واحدة فقط من هؤلاء الثوار، تهدم كل النظريات العسكرية، واجبك هو طاعة الرئاسة العامة لقيادة الجيش الثورى ، كُن مثل مقدار قليل من الرماد فى الجبل وتظاهر بعدم الخضوع للنظام عندما تقوم بعملية مستقلة، إنك طموح ومتعجرف، لا تنصت لى، افعل ما يتراءى لك، ضحِّ من أجل عمالك .. بعد الكفاح، اطلب منهم الدم، هذا حسن جداً.

– من كل ذلك عندى مواهب النفس، وبكل هذه المسئوليات، وكل المهام، لن أتخلى عن فكرتى، إن الاقتناع الداخلى قوى جداً

– الطموح لتنصيبك

– دو ميثيانو، أنت لا تستطيع أن تفهمنى، إننى أريد إطفاء الحرب بنفخة واحدة، كالذى يطفئ شمعة.

– وإذا فشلت، تنتشر الإحباط فى صفوف أصدقائك، وتصير مثلاً سيئًا.

– أو أكون الأفضل.

– بعد مائة عام، من أجل أطفال المدارس القومية، مازال الحاضر، ليس هو التاريخ، ولك طرق أكثر واقعية، وفى النهاية الكلام الكثير يغلق الفم، أعطنى قدر الماء البارد .

وبعد أن شرب جرعة، هز الولاعة، وأشعل السيجارة المنطفئة، مبعثراً الرماد على بطن التبيانو المستديرة.

-٤-

خرج القائد فى خمسين من رجاله فقط، مارين بالمستنقعات والغابات المليئة بالنباتات المائية، حتى رأى مركباً صغيراً يقترب لتفريغ حمولته على الرصيف أمام ورشة خشب.

أمر فيلومينو القائد بالهبوط مع الريح ليتوقف فى بونتا سربينتس (Punta Serpientes) الريحان المضيء لأحد المنارات الدوارة فى الأفق. بعد صعود الناس، أقلعت السفينة بمناورة صامتة ، أبحر القمر فوق العملية الميتة من يسار السفينة، لقد كان البحر جميلاً، وترفع مقدمة السفينة البحرية نوافير من الفضة، وتحت ظل شراع المقدمة المثلث يوجد أحد الزنوج، يتحلق حوله جماعة من المستمعين : ينشد قصائدة بحماس وعاطفة، وزّعت الوجبات على رجال الحملة، كانوا يقذفون بالأوراق:

شعلات زيتية تراقب اتجاهات الألاعيب بين أبواب مسحورة وعنابر أسفل السفينة، وفي ظل شراع المقدمة يبرز الأستاذ العاطفي الأسود زينته:

أبحرى نزوتى

دون خوف

لا يوجد مركب أعداء

لا عاصفة ولا هدوء للبحر

هناك أصل، مفتخراً

ولا تخضع بسالتك.

الجزء الأول
السيمفونية الاستوائية

الكتاب الأول

مقصورة الطاغية

١- أرض سانتا فيه الراسخة (Santa Fe de la Tierra) رمال، نبات الصبار ... أشجار المانجو، تلك الأرض التى كانت تعرف قديماً بـ رأس الأفاعي (punta de las serp..).

٢- فوق إحدى الهضاب، وبين أشجار الرمان والنخيل يقع دير سان مارتين (San Martin) المطل على البحر الفسيح، بينما تعكس الشمس ضوءها على القباب الاستعمارية المستديرة .. تحت برج الأجراس الخالى من أى جرس يقف أحد الحراس متأهبًا مشهراً بندقيته.

كان ذلك الدير قد تحطم تماماً - منذ زمن بعيد- أثناء اندلاع ثورة طردت جميع القساوسة المقيمين به، وعلى مر السنين تحول إلى معسكر للرئيس دون سانتوس بانديراس.

٣- أثناء تغيير الحراس كان بانديراس يقف ثابتا فى مكانه ... مكفهرا .. ينظر بإمعان من خلف إحدى النوافذ إلى الچنرال الذى وصل مع بعض المحاربين الهنود بعد ما قضوا على المتمردين فى مدينة زمالبواه (Zamalpoa) رمياً بالرصاص ، وتبدو رأسه من بعيد كالجمجمة فيما يشبه البومة المقدّسة .. يضع نظارة سوداء فوق عينيه، ويرتدى رباط عنق يشبه رباط عنق الكاهن .. كان يتأمل جنوده العائدين يكسوهم عدم المبالاة من فرط الألم ومع ذلك تجلجل أصوات أقدامهم مع موسيقى الآلات النحاسية مختلطة بصوت احتكاك ميدالياتهم ونياشينهم وهم يمشون بين نبات الصبار وليس فى جيوبهم غير فتات الخبز، ومع ذلك فهم يحاربون من أجل بانديراس المقامر.

تصادف رجوع الجنود مع احتفالات سانتا فيه (Santa Fe) بمهرجاناتها الشعبية التى تقام سنويا للقديسين والأموات، والطاغية بانديراس يطل من خلف النافذة بوجهه الذى يشبه منقار البومة.

٤- بدأت جموع الجنود المسلحين بالبنادق السوداء فى الوصول إلى المدخل المقدس الفسيح، وبينهم يبدو أحد الغوغاء رثّ الهيئة ... أشعث الشعر ... ينزف وجهه دماءً غزيرة.

وعلى الجانب الأيمن نجد القائد الشرير أبيليو د البادى (Abilio dalValle) ذلك القائد الذى يهوى معاقبة الجميع. يعطيه شنبه الداكن مظهرا وحشيًا يجعله أشبه بالذئب سارق الخراف. صاح أبيليو

بصوت عال: (كتفا سلاح). اصطفت الكتيبة فى الحال وهو ينظر إلى نوافذ الدير، وبعد ذلك برز فى الحال جنديان برتبة عريف يحملان فوق صدورهما أحزمة بحلقات وأمسكا المتهم بالخيانة فخلعا عنه ثيابه، وألقياه فى حفرة عميقة طولها ثلاثة أقدام - ذليلا .. خاضعا منقادا ... مديرا ظهره للشمس الحارقة - بناء على العقوبات العسكرية التى فرضت عليه آنذاك.

قام الجنديان بردم الحفرة بأقدامهما بالتراب وظل المتهم مدفونا بجسده العارى حتى جانبيه المرتعدين. أما رأسه - بالشعر المجعد - ويداه المكبلتان بالقيود فقد ظلوا خارج الحفرة، وذقنه ملقى على صدره فى منظر درامى قاتم، بينما جهز الجنود الصوت فى لمح البصر. ثم دقت الطبول إيذانًا ببدء عقاب الفتى المذنب. صاح الجنديان: واحد، اثنان، ثلاثة.

انحنى الأشعث ووضع يديه المتشابكتين تحت رأسه مخبئًا قيوده فى صدره، وأخذت الدماء تنزف من جانبيه بغزارة، على أنغام الطبول التى يدقها الجنديان ممتزجة بصياحهما سبعة، ثمانية، تسعة، والمتهم لايحرك ساكنا ولايذرف دمعة واحدة.

٥- ترك سانتوس النافذة ليستقبل أعضاء مجلس نواب الإقليم الجُدد للمستعمرة الإسبانية وهم (حسب تصنيف المؤلف الساخر): الحاجب، المحصل، مساعد زوج الغانية، الوطنى المدعى، الدكتور المزيف،

الصحفى الصعلوك، الغنى سىء السمعة. اصطف كل هؤلاء وأدوا التحية للمومياء المكفهّر ذى اللعاب الأخضر المسموم.

أخذ الكلمة من بينهم دون سلستينو جالندو (Don Celestino Galindo) وهو: معتد بنفسه، مغرور، مرح، مدّع، مبالغ فى تملقه. حيا المسالم الخالد نائب ذمالبواه :

تقدم الجالية الإسبانية جزيل الشكر لصاحب الفضل العميم .. المثل الأعلى للفضيلة والهمة .. الذى تمكن من إعادة سيادة النظام فارضًا العقوبات – مثلاً أعلى – للقضاء على الفوضى الثورية.

كم هى نبيلة وكريمة الجالية الإسبانية فهى دائما تصلى من أجل هداية الخارجين على القانون والنظام ... ضحايا الوهم المشئوم.

أجل فإن الجالية لايسعها إلا الاعتراف بأن القوانين المفروضة هى السند الوحيد لحماية النظام وازدهار الجمهورية.

أما باقى الرعايا الإسبان كانوا يتهامسون، بعضهم فظ الوجه .. متحمس .. قوى، آخرون كانت تعبيراتهم توحى بالتأمل والخمول مثل أصحاب الدكاكين القديمة، مجموعة أخرى متحذلقون .. منتفخو البطون .. يضعون أيديهم داخل قفازات بمثابة علامة طائفية واحدة، وهم ينضحون كذبًا ونفاقًا. بعد ذلك تمتم الطاغية بكلمات أنهى بها اللقاء فقال – وهو يتظاهر بالعلم والمعرفة – :

"إنه لمن دواعي سروري أن أرى إخواني متحدين .. مجددين بيعتهم لي دليلاً على ثقتهم الزائدة في مثالية النظام، واستجابة منهم لتقاليد الوطن الأم، إنه لمن دواعي سروري أيضا أن أرى هذه المساندة المعنوية الكبيرة من الجالية الإسبانية.

ويستطرد قائلاً: باندیراس لا يطمع في الحكم كما يروج عنه أعداؤه، باندیراس يعاهدكم أن أسعد يوم في حياته ذلك اليوم الذي يستطيع فيه التنحي والانسحاب في هدوء ليحرث أرضه.

أصدقائي: ثقوا تمامًا أن عجوزًا مثله يثقل كاهله أعباء الرياسة ومسؤولياتها.

وفي كثير من الأحيان يضطر الحاكم أن ينحي أحاسيسه جانبا لأن الالتزام بالواجب، وسيادة القانون فوق كل اعتبار، وهو ما يضمن للمواطن الشريف كل حقوقه.

ربما يكون من المحتمل أن يذرف الحاكم دمعة أثناء الحكم بالعقوبة على أحد الأشخاص، ولكن ليس مسموحًا له أن ترتجف يده.

هذه هي المسؤولية التي تقع على كاهل الحاكم كما حدثتكم عنها الآن، وهي تفوق احتمال رجل عجوز مثلي.

أستطيع إعلان ضعفي بين أصدقاء مخلصين مثلكم وأؤكد لكم أن قلبي كان يتمزق عند تنفيذ حكم الإعدام في المتهمين في ذمالبواه (Zamalpoa) .. لقد انتابني الأرق ثلاث ليال متتالية.

- عجباً!

وتحرك أعضاء الجالية الإسبانية بعد ذلك متفرقين، وتحركت أحذيتهم اللامعة التى يبدو عليها أثر عظام أقدامهم، وبدا الارتباك، وعدم الثقة على حركة أيديهم داخل القفازات.

تجمع رجال الجالية الإسبانية المنافقون مرة أخرى فى اتفاق غير معلن فتحدث المومياء (الرئيس) من جديد:

- لقد مكثت ثلاثة أيام بلياليها بلا نوم بلا طعام .. صياح شديد من رجال الجالية الإسبانية.

كان أكثرهم فصاحة يدون ملحوظاته على الهامش، وهو خمّار جبلى .. قصير القامة .. داكن اللون .. ذو شعر أشعث ورقبة تشبه إلى حد كبير رقبة الثور الأجوف بغضاريفها وثناياها المتدلية فوق ياقة قميصه. الصوت الأجش فى وحشية غير متوقعة كما لو كان (لطيبانى) المسرح. أخرج بانديراس الطاغية علبة سجائره الفاخرة وقدمها للجميع وهو يقول:

- إذن كما ذكرت لكم فإن القلب يعتصر ألمًا، ومسؤولية الرئاسة - حقيقة - عبء ثقيل فابحثوا عن الرجل المناسب، الذى يستطيع دعم الشؤون المالية، ويستطيع حقيقة دفع البلاد إلى الأمام.

- دون شك إن الجمهورية لها مسؤوليات تناسب حاكمًا صلبًا أكثر من عجوز ضعيف.

– لا تنسوا كل هذه الاعتبارات التى أوضحتها – محلية كانت أو خارجية –. قالها ورأسه الصغير يهتز. ونظراته زائغة وغامضة خلف نظارته الخضراء.

فى تلك الأثناء تهامس طابور الجالية الإسبانية ثم أعلن قراره المتملق عندما تحدث دون سلستينو بافتخار مفرط:

– الرجال المحاطون بالعناية الإلهية لا يمكن استبدالهم إلا برجال مثلهم. صفق طابور الجالية مهللاً وهو يتحرك كالخراف المنزعجة من كثرة الذباب. شدّ بانديراس الطاغية – بقوة – على يد الرجل ذى الجاه وخاطبه متصنعًا الزهد والتهكم.

– ابق معى دون سيليس وسوف نكّون حزبًا للأطفال.

رد عليه قائلاً:

– بكل سرور.

وصل بانديراس الطاغية إلى نهاية كلمته وصافح الجميع مرة أخرى بسخافة وبرود:

– أصدقائى لا أريد أن أعطلكم عن أعمالكم، اتركونى الآن لكى أقوم بعملى.

أتت عجوز شمطاء، سمراء اللون، حافية القدمين، مرتجفة الصدر بمشروب الليمونادة المثلج والشيكولاته أثناء انعقاد مجلس نواب الإقليم، لنخبة من القساوسة والمحافظين الأجلاء.

نظرت الخادمة – خائفة – إلى سيد المنزل، وسألته وهي تمسك بأكواب الفضة والكريستال – بحذر–:

– أين أضعها ياسيدى؟

وبإيماءة من رأسه أشار إليها بالتوجه إلى المائدة الرئيسة فى فجوة العامود الدائرى.

أطاعت الخادمة أوامر سيدها – فى خضوع – ومشت تتصبب عرقًا وكأن ثوبها يرتجف من الرعب والفزع، وانحنت عند تقديم المشروب.

بلل نينو سانتوس شفتيه (بالليمونادة) ثم قال:

– منذ خمسين عامًا وأنا أتعاطى هذا المشروب وأعده صحيًا جدًا كالدواء الشافى، إننى أنصحك به يادون ثيليس .

انتفخ دون ثيليس ورد فى زهو وخيلاء:

– مثلجًا، تمامًا كما أفعل أنا، إنه مشروبى المفضل، أشعر بالفخر والاعتزاز لتوافق ذوقينا، ولم لا!

لم يلتفت بانديراس إلى نفاق دون ثيليس، ونظر إليه وأعرض عنه بإيماءة فظة حادة، وبدت جوانب فمه ملطخة باللون الأخضر من أثر شراب (الليمونادة)، وفجأة قال:

– دون ثيليس، إن الثورات لكى يقضى عليها من جذورها لا بد لنا من الذخيرة الفضية.

تحمس دون ثيليس (الإسباني الأصل) ورد بصوت رنان:

- رصاص لا يتشظى ولا صوت له.

أومأ المومياء (بانديراس) بما يعني تشجيع هذا الرأى وقال:

- تمامًا يا صديقى كما تقول، يقصف دون صوت، إنه أحسن الأنواع. فى كل ثورة - دائمًا - توجد لحظتان حرجتان: الأولى تتطلب إجراءات سريعة وتنفيذًا صاعقًا للخطة، والأخرى: عندما يستدعى الأمر استخدام هذا الرصاص الفضى.

والآن ياصديقى دون ثيليس ستحقق أعظم الانتصارات باستخدام هذا الرصاص الفضى. إن السياسة الآن تجذب الثوار، إننى أحترم أعدائى، وأعلم جيدًا أنهم على دراية كبيرة بما يحدث فى الجمهوريات المجاورة. ومن بين أعدائى هؤلاء يوجد علماء يستطيعون - ببراعتهم - الإسهام فى تقدم الوطن، إن الذكاء يستحق الاحترام. أليس كذلك يادون ثيليس؟

أجاب دون ثيليس بابتسامة ملوثة بلعابه الشحمى:

- متفق معكم تمامًا.

واستأنف بانديراس حديثه قائلاً: من أجل هؤلاء العلماء أريد هذه القذائف الفضية، هؤلاء الرجال يمكن أن يمثلونا خير تمثيل فى أوروبا، ويشاركوا فى المؤتمرات العلمية، والندوات التى تعقد فى الخارج. إنهم يستطيعون توجيه دفة الدبلوماسية لصالحنا.

أثنى دون ثيليس على هذا الاقتراح معقباً:

– هذا عمل سياسي محنك يعكس رؤية كبيرة وخبرة فائقة .

همس بانديراس بثقة:

– إن تحقيق هذه السياسة يتطلب تلك الذخيرة، ما رأى الصديق؟

أصارحك القول، ويجب ألا يعرف أحد غيرنا ما سأقول: اعترافًا مني بقيمتك ستكون مستشاراً لي يادون ثيليس.

نفخ دون ثيليس شاربه الملطخ بالبرينتين (أى المدهون بالبرينتين)، وتنفس فى زهوه المرفّه، وبدا فى مكانه سعيداً من هذا الإطراء، وأشرقت صلعته، وظلّل تفكيره حلم يقظة شرقى، واستطرد قائلاً:

– يجب إبرام عقد لتموين جيش التحرير بالغذاء الضرورى...

قطع بانديراس الطاغية سحر الحديث وقال:

لقد فكرتُ فى ذلك مرار، وخيراً فعلت بهذا الرأى، لأنه أمر بالغ الأهمية.

وبعد ذلك قال دون ثيليس – على الملأ وهو يضع يديه على سرواله الغريب – :

– إن حظى دائمًا قليل جداً، وهذه الأيام أكثر من أى وقت مضى، وعلى أية حال إننى تحت أمر الحكومة. أحيانًا تكون مساعدتى

متواضعة لكنها ثمرة العمل الشريف المخلص فى هذه الأرض الكريمة التى أحبها مثل الوطن الذى أختاره...

قاطعة بانديراس بحركة عصبية كمَن يهش حشرة ما :

هل الجالية الإسبانية لن تغطى تكاليف المشروعات؟ ! إن الجالية تدرك مدى الخطورة التى تقع عليها وعلى ممتلكاتها من جراء فكر الثورة، إذا كنت تفهم ذلك نفذ ما اتفقنا عليه بالطريقة التى أقررناها، إن الحكومة تعتمد على ذلك من أجل الحفاظ على النظام وهيبته، الفوضى تعم البلاد بسبب الدعاية السيِّئة.

انتفخ دون ثيليس وقال:

- الهندى صاحب هذه الأرض ما هو إلا بوق لأى نظام دعائى غير واقعى من الجامعيين.

- متفقون ، من أجل هذا يجب إعطاء العلماء مناصب خارج البلاد يمارسون فيها مواهبهم بما لا يسىء للجمهورية.

لابد من تزويد الجيش بالذخيرة يا دون ثيليس، وستكون أنت المسؤول عن هذه المهمة وكل ما يتعلق بها، تشاور مع وزير المالية ولا تتأخر.

عقب دون ثيليس قائلا :

- المحامى أخذ فى اعتباره دراسة هذا الأمر وسيكون محل التنفيذ.

– ابحثوا الضمانات، وتخلصوا من أعمال العنف، لأنه من الضرورى جداً سرعة الاشتباك بالذخيرة مع الثوار. إن الدول الخارجية لا ترفض الافتراءات التى تنشرها الصحافة. لقد قدمنا احتجاجات دبلوماسية لكنها لا تكفى. صديقى دون ثيليس مطلوب من ريشة قلمك تحرير وثيقة عليها إمضاءات جميع الإسبان رفيعى الشأن والمكانة لتفسر بها ما يجرى من أمور للحكومة فى الوطن الأم إسبانيا. يجب أن تحمل توقيعات الجالية هذا المضمون، كما يجب عليك أن تنبه رجال الدول الغافلين إلى أن الفكر الثورى هو الخطر الأصفر فى أمريكا.

إن الثورة تمثل خطراً حقيقياً سيقضى على ممتلكات الإسبان هنا، فليعلموا هناك أن الثوار مؤهلون لذلك. إنها لحظة خطيرة جداً يا دون ثيليس . لقد وصلتنى تكهنات، وعندى أخبار بأن الجهات الدبلوماسية ستصدر قراراً فى هذه الأيام، التكهنات تقول إنهم سيقدمون احتجاجاً على أحكام الإعدام فى ذمالبوا (Zamalpoa). تصور سيادتك لو أن الوزير فكر فى كتابة هذا الاحتجاج ماذا سيحدث؟

احمرت صلعة الغنى الإسبانى دون ثيليس وأجاب.

– ستكون صفعة للجالية ، هل تعتقد أن الوزير يفكر فى ذلك؟

– إنه رجل سخيف وغامض .. يفعل مالا يكلفه جهداً .. ليس رجل أعمال يطلب قرضاً ولايرده .. انظر كيف يتجاهلون إرادته فى البلاد. إذن مم تخاف سيادتك؟

جبن؟

نعم أخاف من ذلك.

إذن يجب تجنب هذا.

تظاهر الإسباني الأصل بحالة إلهام مفاجئ، وضرب بكفه على جبينه المتقطب قائلا:

- الجالية الإسبانية باستطاعتها التأثير على الوزير.

تدخل دون سانتوس - بقناعه الهندى - فى الحديث وقال مبتسماً:

- هذا ما يسمى بوضع الجرح فى فم الضفدع كما يقال.

من المناسب جداً القيام بأعمال العنف . الإسبان المقيمون هنا لهم اهتمامات مغايرة للمشروعات والخطط الدبلوماسية. كل دراسات البروتوكول توحى بعدم معرفة الحقائق الأمريكية.

البشرى بالنسبة لسياسة هذه البلاد كائن يقوم على ثلاثة أركان:

الأول : أحد أبناء الأوروبيين فى المهجر.

الثانى : الهندى ساكن أمريكا الأصلى.

الأخير : (النجرو) أى الأسود.

ثلاث طبقات من البشر وأى سياسة خارج هذا النطاق أكذوبة .

رد دون ثيليس الطنّان الثرثار - ومدّ يده مصافحًا:-

- إعجابى يزيد كلما أنصت إلى سيادتك.

لا تتـأخـر دون ثيليس، هـل بإمكانى أن أقـول إننـى سـوف أرسل الوثيقة التى أعددتها فى الغد.

ألا تعجبك لعبة الضـفدع، إنها دواء أجدد به نشـاطى، وهى لعبتى المفضلة منذ صباى، وأمارسها كل عصر حتى الآن، إنها صحية لا ترهق مثل الألعاب الأخرى.

احمر وجه دون ثيليس وردد بانبهار: كم نحن متشابهان فى الذوق.

ثم ودعه دون سانتوس: إلى اللقاء يادون ثيليس

رد الإسبانى متسائلاً: اللقاء سيكون غداً؟

حرك دون سانتوس رأسه وقال: وقبل ذلك إن أمكن، إننى لا أنام . امتدح دون ثيليس ذلك وقال: إنك أستاذ فى الحماس كما يقولون فى جريدتنا .

وبعد ذلك ودّعه الطاغية مهللا بصوت حائر محشرج كأنه يخرج من حلق ديك.

نسيم الهواء معطر بزهر البرتقال والتمر هندى، وفى السماء البعيدة المنعزلة ترتفع كرات اللهب بذيولها النارية فى المهرجان الشعبى، وبانديراس الطاغية محشور فى فتحة النافذة التى يطل منها ليلا حيث

يتجسس من هذا الارتفاع على معسكر تدريب فصائل الجنود الهنود المسلحين بالبنادق القديمة.

فى ذلك الوقت تحتفل سانتا فيه Santa Fe بمهرجاناتها الشعبية الخريفية، وهو تقليد راسخ منذ زمن نواب الملوك. فى الدير يرقص الشباب الطائش بأزيائه غير العادية على أنغام رقصة لاكونجا La Conga بينما ينعكس ضوء الساحل الزمردى على وجه المدينة ... دون ثيليس يطوف حول المهرجان بعربته ذات الأحصنة.

لو نظرنا من زاوية الميناء وجدنا المدينة على هيئة قلعة شابة مزركشة ويبدو سطحها أشبه بمربعات الشطرنج المغطاة باللونين الأبيض والوردى. وفى وحشة زرقة المساء الداكن تندلع فجأة نيران فرق الخيالة الحمراء على ثكنات المعسكر.

فى تلك الأثناء تقفز عربة الإسبانى كالعنكبوت فى نهاية أرض كويستا مونتينسس (Cuesta Montenses) فى نهاية أرض ضاحية .

وفى النافذة من بعيد يطل بانديراس دون حركة .. كان لديه دائما نفوذ طائر الليل، وبينما يسيطر على المدينة بريق الساحل لحظة الغروب نلمح كفيفًا بوجه مجدور يعزف على جيتاره أمام أشجار التين الشوكى الذى تسقطه ذراعاه مثل شمعدانات القدس .. يخترق صوته السكون الضبابى .. كان دييجو بديرناليس (Diego Pedernales) من عصر النبلاء، لكن التزامات فصيلته لم تستمر.

الكتاب الثانى

الوزير الإسبانى

منذ زمن بعيد والمفوضية الإسبانية تقطن منزلاً كبيراً له بوابة من القيشانى وشرفات تشبه الحوت، ويجاور المنزل بركة فرنسية يطلق عليها من سالف الدهر (مرآة سيدة النصر) Virreina (*)

الوزير المفوض لصاحبة الجلالة الكاثوليكية (**) (التابع لحزب كارلوس السياسى) يجسد هذا التقليد الغرامى (مرآة سيدة النصر) – بغموضة والتوائه مثل تلك السيدة التى تنظر فى مرآة حديقتها وعلى جنبها تبدو مظاهر أحلام غير بريئة .

صاحب السعادة السيد ماريانو إيزابيل كريستينو كيرالت وروماري توجوريس(***) بارون تابع لحزب كارلوس .. مايسترو الدورية .. يمتلك

(*) تقليد غرامى قديم.
(**) المقصود هنا الملكة إيزابيلا ملكة إسبانيا فى ذلك الحين.
(***) هذا هو اسم الوزير المفوض الإسبانى بالكامل.

صوتًا ثرثارًا.. يمشي بخطوات راقصة .. ذو وجه مُفرطح .. عريض المنكبين .. أبله متخصص في الهمس والنميمة .. عند الحديث ينضح عنوية مصطنعة وتتكور يداه أسفل ذقنه ويتحدث من أنفه .. وتحت جفونه المنتفخة تهتز أحلام أدب رخيص، إنه إنسان مختال متعجرف أدبيا .. يعشق الندوات السياسية رديئة المستوى، وشعائر الثقافة الفرنسية.

خيال سيدة النصر الوالهة المنزوية في قاع الحديقة ناظرة حفلة الحب الخالية من النساء، وهي تبكي دون وعي وتبدو غيورة مغطاة الوجه ... تبكي مولد القديسين والأموات في ذلك الحين.

طريق سيدة النصر العمومي مُضاء .. مليء بالعاطلين وأصحاب الأكشاك الذين يصدرون ضوضاء شديدة، وسط هذا كله تصل عربة دون ثيليس (الجاشوبين) (*) تجوب المكان في تأنق وغندرة، وتقف أمام المفوضية الإسبانية .. حيث يوجد شاب صيني أحدب - يتوسط ظهره ضفيرة صغيرة - يروي المدخل.

صعد دون ثيليس السلم العريض وعبر الممر المزين بصور ذات ظلال ونقوش مذهبه وحريرية.

وبين مزيج من الاستياء المبالغ فيه وإحساس بالكبرياء والوقار ينبض في صدره بصوت يشبه اصطكاك السلاسل - أخذ دون ثيليس

(*) جاشوبين تعني الإسباني الأصل المهاجر الذي يعيش في أمريكا اللاتينية.

يردد أسماء الأعلام الوطنيين بصوت مسموع وهو يترنح كما لو كان فى إحدى مقطورات المدافع والأعلام. وفاضت نغمة تفاخره الوطنى المغرور فى إيقاع منقطع لموسيقى غليظة ومبتذلة.

وقف دون ثيليس وسط الصالة فوجد الباب مفتوحًا على قاعة الاستقبال الخالية، هدأ الجاشوبين بغرابة، وشرد فكره بعيداً (كما لو كانت أحصنة متوحشة تقفز بأردافها).

– فجأة! قفزت الأحصنة بأردافها الجبلية، أطفئت جميع الصواريخ النارية، ويُظهر دون ثيليس الندم على ما فعله، ويبدو متأثرًا كما لو كان لا يملك نقوداً، دخل القاعة الخالية معكرا بهيئته (سميترية) المرايا و (الكونسولات) .. لا يوجد فى القاعة غير ممثل الملك كارلوس (الوزير المفوض) يرتدى الكيمونو الصينى، ويجلس مسترخيًا فوق الأريكة، يمعن النظر فى كلبه بحذر.

وصل دون ثيليس متقمصًا الغرور الذى يبدو بين صلعته المكرمشة ولحيته المكسوة بلون القرفة ... بدا مظهره كالمهرج الذى يضطرب فى ملابسه غير المهندمة.

– السيد الوزير : لو أزعجتك أنصرف.

– تفضل يادون ثيليس الفاضل.

فى هذه اللحظة بدأ الكلب فى النباح والدبلوماسى العجوز (*) وقد اخترق صوته المكان:

(*) يقصد الوزير المفوض الإسبانى

– اخرس يامرلين Merlin (*) وشدّه من أذنه، كم من المرات حضر دون ثيليس لزيارتنا، هل وصل بك الأمر لعدم معرفة السكرتير الأول.

تبعثرت على شفة الدبلوماسى العجوز ابتسامة بطيئة ... خبيثة .. بلهاء ومهذبة، لكن دون ثيليس كان ينظر إلى الكلب، وكأن الكلب يخرج له لسانه.

وزير جلالة الملكة يبدو شارد الذهن .. غامضًا .. أطال ابتسامته بمرونة لا تصدق تمامًا مثل الدبلوماسية الألمانية التى تستخدم سنوات الحرب.

شعر دون ثيليس بضيق صبيانى فيما بين تكشيرة الدبلوماسى العجوز ووجه الكلب مرهف الحس .. توجه دون ثيليس إلى الكلب متزلفا متصنعا وانحنى نحوه وقال:

– ألا تريد أن نصبح أصدقاء؟!

استقر الكلب بين ركبتى صاحبه وهو ينبح، وأغمض عينيه اللوزيتين اللتين يتلاشى منهما اللون الأزرق فتبدوان أشبه بكرتين من الكريستال ساكنتين بدون حركة مع ابتسامة ممتدة واحترام بروتوكولى مصطنع.

تحسس دون ثيليس الشعر الحريرى للكلب بيده المجدورة كيد جارية الحريم وقال:

(*) اسم الكلب.

– مرلين Merlin، كن مهذباً ، لقد أعلنت عليّ الحرب.

– الوزير المفوض يقبّل كلبه عدة مرات ليكسر حدة الإجهاد الذى يعلو وجهه.

– دون ثيليس بدا متورد الخدين بشعر لحيته التي بلون القرفة، وأخذ يتضاءل فى سرواله شيئًا فشيئًا حتى اتسع عليه، وصار يشبه البلياتشو فى السيرك.

وبعد قليل تكلم الدبلوماسى متظاهراً بالعزة والشموخ. وبينما كان يداعب كلبه فى ارتباك قال:

إلى أين تسافر يا دون ثيليس؟ وما هو الرأى الثاقب الذى جئتنى به؟ هل ستصبح سيادتك سفيراً لإسبانيا بدلاً منى ؟ ... إذن لقد سلكت الطريق الفَطِن يا سيدى.

– قطب دون ثيليس جبينه بإيماءة تعنى موافقته على الكلام، وبدا ممتعضا غير مقتنع بما يسمع، وسرواله يشبه إلى حد كبير بدلة المهرج.

يخفى الجاشوبين (دون ثيليس) ارتباكه بصعوبة، ويضحك بتصنع قائلاً:

إن الفطنة الدبلوماسية المعهودة فى سيادتكم تحققت مرة أخرى عزيزى البارون.

- بدأ الكلب مرلين ينبح، فأشار له سيده المختال بإصبعه مهدداً:

لا تقاطعنا مرلين، آسف جداً يا دون ثيليس العظيم.

- دون ثيليس يستعيد حماسه، ويسترجع ذاكرته، ويستغل الإذن الذى أعطاه إياه البارون من قبل. وبعد ما شعر بالتلعثم وعدم الرغبة فى الكلام أغمض عينيه وتوجه إلى البارون قائلاً:

إن الجالية لا تستطيع أن تقف بعيدة عن سياسة البلاد، ومن هنا تظهر مساندتها وثمرة جهودها، إننى بكل مشاعر السلام والاقتناع بالحرية تحت إدارة حكام جادين، أجد نفسى فى موقف حرج بين المثالية الثورية، والإجراءات القانونية المتعجلة جداً للجنرال بانديراس . إن انتصار الثورة سيجلب الفوضى.

- علق البارون قائلاً:

إن الثورات عندما تنتصر تكون فى منتهى الشفقة .

- رد عليه دون ثيليس :

ولكن الاقتصاد يصبح فى أزمة. الأعمال الحرة تضعف، رؤوس الأموال تجبن، اللصوص وقطّاع الطرق يولدون من جديد فى كل المجالات.

أردف الوزير:

وليس أكثر من ذلك الآن مع الحرب الأهلية.

- قال دون ثيليس باستغراب: الحرب الأهلية ! إن الذين يقيمون فى البلاد منذ فترة طويلة لا يرضون عنها ويرونها كالمرض الخبيث، ولكن الفكر الثورى أكثر خطورة لأنه يفسد القاعدة الأساسية للملكية الفردية، الهندى ساكن الأرض الأصلى ذو تطرف عقائدى، ولا يمكن أن نتركه يفسد العقول المستنيرة. إن الجالية جميعها تتوجس من ذلك. أنا شخصياً، ربما أتلقى ذلك بشىء من التحفظ، ولكن بصفتى رجلاً واقعياً أدرك أن سلطة رأس المال الإسبانى تتناقص مع الروح الثورية.

اضطجع وزير جلالة الملكة الكاثوليكية (*) فى أريكته. واحتضن كلبه وقال:

دون ثيليس، هل هذا إنذار رسمى من الجالية؟

- لا ياسيدى، إنه ليس إنذارا، ولكن الجالية - فقط - تطلب بعض التوجيهات .

- تريد أن تفرض رأيها؟

- لا أدرى كيف أوضح الأمر لسيادتكم، إننى رجل أعمال ولست صاحب موهبة خطابية، وربما لا أستطيع التعبير جيداً. وإذا كنت قد نقلت بعض المفاهيم على قدر إدراكى لها وفهمتم من كلامى أن هذا هو التصور الرسمى للجالية فذلك يعود إلى اهتمامى الشديد بتجنب سوء ظن السيد الوزير ولكنى وقعت فيما حاولت الهروب منه.

(*) يقصد الملكة إيزابيلا ملكة إسبانيا فى ذلك الحين.

– لطّف البارون البينى كارلس (*) حركة الجفاء التى ظهرت فوق الشفاه السفلى الغليظة المرهقة بشىء من التهكم الواضح فى زرقة عينيه الباهتتين، ويديه اللتين تتخلل شعر الكلب الحريرى:

دون ثيليس الفاضل ، سيادتك من الشخصيات المالية الثقافية والاجتماعية البارزة بين أفراد الجالية، آراؤك محل تقدير، ولكن سياتك هنا لست الوزير المفوض لإسبانيا، خسارة كبيرة. ولكن هناك وسيلة تجعلك تجلس مكانى، قدّم طلبًا لنقلى إلى أوروبا، وسوف أساند هذا الطلب، وسأبيعك أثاث منزلى فى مزاد علنى.

– انتفخ الثرى ثيليس متكبرا فى زهو وغرور وقال:

وهل مرلين (الكلب) سيكون أيضًا بين أثاث منزلك. أريده مستشاراً لى؟

– رد عليه الدبلوماسى المختال متصنعًا شيئًا من الفطنة، وكسا وجهه تعبير فاتر: دون ثيليس من فضلك انصح إخواننا الإسبان بأن يكفوا عن التدخل فى سياسة البلاد ، ويقفوا على الحياد تمامًا. معذرة يا صديقى النبيل لا يتبقى لدى وقت أكثر من ذلك إننى مضطر لتغيير ملابسى لأنى ذاهب إلى المفوضية الإنجليزية لتبادل بعض الآراء بخصوص الموقف السياسى الراهن.

(*) بينى كارلس: التابع لحزب الملك كارلوس.

وفى الضوء الخافت للغرفة ندّت عن الشيخ الهَرِم(*) إيماءة ساخرة مصحوبة بشيء من الغطرسة.

– شعر دون ثيليس بإحباط شديد أكثر من أى وقت آخر، وعند عبوره الممر المؤدى إلى الخارج وجد الصبى لا يزال يرش بلاط المدخل. فى هذه اللحظة شعر دون ثيليس باستعلاء شديد من الجنس الأبيض تجاه الجنس الأصفر، وتوجه إلى الصبى آمرا:

أفسح الطريق أيها المزعج الكبير، احذر ولا تلطخ حذائى اللامع، ومشى على أطراف قدميه يتراقص فى سرواله الواسع. وصل إلى الباب الرئيس ونادى سائق عربته الزنجى الذى كان يتسامر مع زنوج آخرين وبعض السوقة حيث كانوا متجمعين حول البيانو الأوتوماتيكى ولعبة الكرة الخشبية: هيا بنا أيها الجبان.

شارع سيدة النصر ملىء بالشغب، والأضواء، والضوضاء ... باعة جائلين .. عازفى الجيتار بالإضافة إلى الفوانيس المعلقة والرايات المستطيلة.

– سانتا فيه (Santa Fe) مبتهجة بنشاط مثير يشتعل مع حرارة الضوء والظلام، المكان مكتظ بعدة أشياء: مشروب العرقى، مطواة الهندى الكبيرة، ألعاب الورق، الرقص الجنسى الفاحش. كل ذلك يتناقض مع النبض الحزين والنظرة القاتمة للحياة التى تشعر بها سانتا فيه فوق الخندق المغطى بأوراق الأشجار.

(*) يقصد بالشيخ الهرم الدبلوماسى المحنّك

سانتا فيه (Santa Fe) – مع كل هذا الغضب التراچيدى الشديد – تهرب من الإرهاب اليومى المروّع فى ضوضاء المهرجانات وشغبها الذى يشبه صياح الحرب.

على نيران غروب الشمس العالية فوق الربوة المليئة بأشجار الرمان والنخيل تبدو سان مارتين دى لوس مونتنسس (san Martin de los Montenses) وهى تنير قيشانى أبراجها الاستعمارية.

الكتاب الثالث

لعبة الضفدعة الصغيرة

بعد انتهاء التصريح الدبلوماسى خرج بانديراس سراً عن طريق أقواس قاعة الاحتفالات إلى حديقة القساوسة يتبعه رفقاؤه ومساعدوه وصرّح: لقد انتهى الالتزام، والآن أيها الأصدقاء هيا بنا نستمتع بالجزء الأخير من المساء فى لعبة الضفدعة إذا رأيتم ذلك مناسباً هيا بنا يا أصدقائى نستمتع، ثم دعاهم إلى شرب الخمر دون أن يفقد تقطيبة وجهه.

كان يبدو مفرطاً فى المجاملة .. دعا أصدقاءه وهو يمسح صلعته بمنديل من الحشائش يُلائم شخصاً متحذلقاً.

تطل حديقة القساوسة ذات أشجار الصبار المتهالكة على البحر الملىء بسمك السلامون الأصفر .. فى هذه الحديقة يمارس الطاغية لعبته المفضلة (لعبة الضفدعة) كل مساء وقت الشفق حيث يشغل فراغه بجوار سور الحديقة ذى اللون الأخضر.

يبدأ اللعب بطيئًا متكاسلاً ... متمتمًا بكلام غير مفهوم، وعندما يخطئ تظهر تكشيرته. ويبدو فمه مخضرّ اللون. وأثناء ممارسة اللعبة يتجسد جشعه، ولاينصرف عن مراقبة الجنود المسلحين بالبنادق ويشبهون كسفًا من السحاب المنطبق على حافة الساحل فى موضع تنفيذ أحكام الإعدام كل مساء عندما تغرب الشمس.

فى كل مساء يشن بانديراس هجومًا مفاجئًا على مجموعة من الثوار المتمردين، وبعيداً عن الحرب والقتال يبدو قاسيًا.. مجنونًا، يظهر ذلك أثناء اللعب عندما يقضم ريشة اللعبة ويضغط على شفتيه.

وفى الوقت الذى تغرق فيه كثف السحاب الثقيل فى مياه البحر يتعالى صوت اللاعبين مهللين: ضفدعة! وبانديراس عبوس الوجه وسط الأصدقاء، يجفف صلعته بمنديل ثم يصيح:

تعلموا ، لاتنشغلوا عن اللعب بخنجر الهنود

يأتى - من بعيد - بخار كثيف ملىء برائحة كريهة لبعض الحيوانات ليعلن اقتراب الأدغال، حيث يشتعل الشفق بالنجوم وبأعين نمور أمريكا الجنوبية.

تلك العجوز الهندية تبدو متكورة تحت سقف المظلة ... مختالة بنفسها ... مفرطة فى التأنق بين ضجيج أكواب (الليموناتة) ومشروب العرقى، وعندما أشار إليها الطاغية أجابت فى الحال:

- رهن إشارتك يا سيدى.

إنها دنيا لوبيتا (Doña Lupita) بيديها الصغيرتين المضمومتين إلى صدرها، وأطراف ثوبها المتطايرة فوق شعرها الملبّد .. في ابتسامتها مكر العبيد، ومن بين عيونها الشيطانية تطل أفعى متمرسة، بقدميها الحافيتين اللامعتين مثل يديها، ويختبئ خداعها خلف شهد حديثها:

- تحت أمرك چنرالى.

يطوى بانديراس المنديل متردداً ومتظاهراً بالوقار:

- كيف تحصلين على المال يا لوبيتا؟

- أحصل عليه بالصبر يا سيدى، بالصبر والعمل نصل أيضاً إلى المجد المخلّد.. الجمعة الماضية اشتريت حبلاً لأعلق عليه ملابسى، فتعرض لى شخص ظريف وانتزعه منى.

هز بانديراس رأسه وارتعشت لحيته وقال:

- حدثينى أيتها العجوز ماذا حدث للحبل؟

- كان مربوطاً فى سانتا ليما يا سيدى.

- وماذا تطلبين الآن؟

- أن تتمتع سيادتك تينوسانتوس بألف عام من العزة والكرامة ، وفى سخرية غيّر الحديث قائلاً:

– لا تستغفليني دنيا لوبيتا، متى تكون فطائر الذرة المحشوة بالفلفل جاهزة؟

– لقد خمرت ووجب طهيها يا سيدى .

– وماذا تقدمين لنا أيضًا؟

– جوز الهند بالماء، مع مشروب العرقي الفاخر يا سيدى، وعندى أيضًا مشروب العرقى الشعبى.

– سَلِي الموجودين ماذا يفضلون، وقدّمى لهم العشاء.

تثنى دنيا لوبيتا طرف ثوبها – فى تملق وجبن – وتسأل الجمع الجالس حول طاولة الضفدعة أمام المومياء الطاغية:

– ماذا تفضلون يا سادة ليس عندى غير ثلاثة كؤوس فقط سأضعها أمام حضراتكم لقد مر علىّ كولونيل (عقيد) مخمور، ودمّر كل شيء دون أن يدفع الحساب.

الطاغية يعلق باقتضاب:

– بلّغى عنه، قدّمى بلاغًا رسميًا، وسوف يقدم للمحاكمة حركت دنيا لوبيتا ثوبها بشكل مسرحى وقالت:

– يا سيدى، لن يغمس (العرضحالجى) ريشته فى المحبرة دون أن يأخذ أجره مقدمًا.

قال الطاغية وذقنه ترتعش:

- إن هذا لا يليق، لن أسمح بذلك فى دائرة اختصاص محاكمى التى يأتى إليها آخر هندى فى الجمهورية وبعد ذلك نادى أحد المحامين ويدعى ليسنسيادو سوستنس كاريو Licenciado Sostenes Carillo أنت من الآن مكلف بالتحقيق فى هذه القضية.

دنيا لوبيتا يبدو عليها الشرود .. تمشى مسرعة فيرفرف ثوبها وقد ذهبت لتحضر جوز الهند المغطى بأوراق النخيل في الأرض المبلّلة.

يجلس الطاغية على المصطبة، متجهًا نحو القساوسة، فاتر الحماس، مليئًا بالحذر، واضعًا كفيه فوق العصا ذات الشراريب القديمة والطرف الذهبى، فى ذقنه رعشة. وعلى فمه الأخضر تعبير غامض ... مزيج من السخرية والضحك والاستهزاء وسوء الخلق وقال :

- إن دنيا لوبيتا على درجة عالية من الذكاء يا سنيور ليسنسيادو.

- سيدى، إنها امرأة سيئة السمعة وهى من وسط حقير، لقد كانت أمها داعرة وأعرفها منذ نصف قرن منذ أن كنت أعمل حاملاً للراية فى الميناء السابع (Elséptimo Ligero) لقد كانت مرافقة للجيش.

طأطأت دنيا لوبيتا رأسها واتجهت نحو الكوخ الصغير.

عاد المحامى للحديث معها مازحًا فى أمر الإنذار بالدفع الذى كلفه به الطاغية:

– لا تبالغى أيتها العجوز فى تصوير ضيق الحال.

– الفم المغلق لايدخله الذباب أيها المحامى الكريم .

– لم يعُد هناك ما يبيح التعذيب الذى كان يؤلم ألما مبرحا.

– أيها القاضى المبجل.

– اذكرى لى ذلك القائد العسكرى الذى انقض على كشك البيع الذى تملكينه أيتها العجوز.

– ضغط علىّ يا بنى، وتخلّى عنى بقصد الانتقام.

– لاتخفى بعض السلع، وأطلقى سراحها.

– سيد ليسنسيادو، لن أكون بغلة رديئة كما تظن.

كان السيد ليسنسيادو سعيداً وهو يطعن العجوز إرضاء للطاغية .. أحضرت دنيا لوبيتا الفاكهة الطازجة الملفوفة بورق النخيل، كما أحضرت سكينا لتقطع الفاكهة شرائح .. طلب السيد المايور أبيليود دل فـاى Elmayor Abilio del valle تقطيعها بنفسه إذ كان قد تمرس فى قطع رؤوس كثيرة فطلب منحه الشرف لوضع السكين فى جوز الهند ... فعلها بمهارة كما لو كان ثائراً كوبيًا ضد السلطة الإسبانية قديمًا. مقاتل ... منتصر، قدمه تشبه قربانًا على رأس أحد حكام الأعداء ... قدّم أول قطعة للطاغية كما لو كانت رأس أحد حكام الأعداء ... بسط المومياء الصفراء (الطاغية) يده ،أخذ نصف قطعة نظيفة.

أضاف أبيليو دل ڤاى:

– سيدى الرئيس، فلتشرب هذه العجوز الماكرة ما تبقى من الوليم حتى تموت معنا لو كان الطعام مسموماً.

علّقت دنيا لوبيتا وهى واعية لما قاله دون أبيليو:

– سيدى الجنرال لم يتبق فى هذا الجسد النحيل إلا الخضوع الشديد والولاء والاحترام. السيد سان بيدرو والكوكبة الحاضرة من الإخوة يشهدون بذلك.

ينزوى بانديراس الطاغية على إحدى المصاطب تحت ظلال الأشجار ويبدو كالبغل البدين بإيماءاته وأصابعه وهو يجلس صامتا مكفهرا. وفجأة يستعيد نفوذه وقوته، وبصوت يشبه عود القصب الفارغ وبقوة غير عادية قال ذلك الشبح:

– دنيا لوبيتا، إن سانتوس بانديراس يقدرك أيضًا، أعطنى يدك أيتها العجوز لأصافحك، وإذا كنت تقدريننى كما تقولين أفصحى لى عن اسم هذا المخمور الفاجر الجبان وسيقبض عليه بعد قليل.

قالت له باحترام شديد: والدى، ثم همهمت فى أذنه بالاسم المطلوب استمع لها بانديراس دون أن يحرك ساكنًا، وقد ذكرت له العجوز هذا الاسم سراً وهى ترتعد والرفقاء الملتفون حول مائدة لعبة الضفدعة يلتزمون الصمت مطأطئين رؤوسهم، وفى الخفاء يشيرون نحو بانديراس.

يتفوه المومياء الهندى (بانديراس) بصوت غير مفهوم:

- شال، شال،

ترك المكان بخطوات تشبه خطوات النشّال عتيد الإجرام، والرفقاء يتبعونه مهرولين.. كانت هناك مجموعة من الصبية يمزحون، عند مرور المومياة وعبوره الغرفة التزموا الصمت جميعًا. تفحص المومياء جموع الرفقاء وهزّ رأسه ونادى على كولونيل ليسنسيادو لوبيس دى سلامنكا، رئيس البوليس:

- متى تبدأ حفلة الشباب الديمقراطى؟

- الساعة العاشرة.

- فى السيرك هاريس (El Circo Haris) حسب ما جاء فى لافتة الإعلان. من الذى قدّم طلبًا لعقد هذا الاجتماع السياسى؟

- دون روكى ثبيدا.

- ألم يواجه عقبات؟

- إطلاقًا.

- هل نفذوا تعليماتى بأمانة؟

- هذا ما أعتقد ...

- إن الدعاية السياسية المُثلى التى تتم فى نطاق القانون حق مكتسب لأى مواطن، وتستحق الاحترام من جانب الحكومة.

لوى بانديراس الطاغية فمه بحركة خبيثة فى الوقت الذى التفت إليه الكولونيل ليسنسيادو لوبيس دى سلامنكا رئيس البوليس ومازحه بلطف:

– سيدى الجنرال هل يجب إلغاء الحفلة فى حالة وجود شغب؟

– إن نظم اللوائح الشعبية ستشجب أى شك فى ذلك.

وافق الكولونيل ليسنسيادو على ذلك باستهزاء متظاهرا بالورع:

– سيدى الرئيس إن وجوب تنفيذ القانون مبدأ أساسى فى سلوكى.

– ومادمت سيادتك تتصرّف بغيرة زائدة – وهو أمر جدير بالثناء – فلن تكون هناك صعوبات أو تضحيات كبيرة تكلفك تقديم الاستقالة، وإذا تمت الموافقة عليها فإن خدماتك ستوضع فى الاعتبار من قبل الحكومة بدون شك.

أضاف الكولونيل مستأذنًا:

– أى أوامر يكلفنى بها السيد الرئيس؟

– هل تابعت التحقيق فى الفساد الذى يمارسه رجال السلك الدبلوماسى الموقّر؟

– لقد تكشفت لنا بعض الأمور المثيرة، وهذا المساء سأعرف كل شىء جيداً، ثم صافح الكولونيل بانديراس قائلاً :

– تحت أمرك ياسيدى الجنرال.

المومياء الهندى (بانديراس الطاغية) مازال يحدث الكولونيل وتعلو وجهه تكشيرة خضراء:

- إن سياستي هي احترام القانون، ويجب على رجال الشرطة ضمان النظام في سيرك الهاريس. (ثم أخرج صوتًا من فمه: شاك، شاك). واستطرد: إن الشباب الديمقراطي سوف يكون نموذجًا مثاليًا يتمرس على تدريب وطني هذا المساء.

استهزأ رئيس البوليس، وعلق:

- سوف يكون وطنيًا وبهلوانيًا.

الطاغية مبهم .. غامض .. لوى فمه بتكشيرته الخضراء:

ومع هذا من يعلم؟ ... شاك .... شاك.

غادر بانديراس الطاغية المكان مكفهراً، ومن ورائه الرفقاء.

صامتون كما لو كانوا في جنازة . . توقف عند ظل الدير، والحارس الليلي موجود عند برج الأجراس الخالي من الأجراس، وكان مُصوبًا حربة البندقية تجاه القمر.

كان الطاغية ينظر إلى السماء الملأى بالنجوم فلقد كان يحب الليل والكواكب. هناك شيء غيبي غامض يعتصر نفسه المكتئبة ألمًا. كان يعرف حركة الزمن من خلال حركة النجوم والكواكب. كان ينهش برياضيات النجوم المضيئة أبدية القوانين الفلكية كانت تعطيه اطمئنانًا وهدوءًا روحانيًا أمام قوته الهندية.

عبر بوابة الدير وهو يسمع صياح خفير برج الأجراس في حين بدت دوريات الاحتياطي تنظم صفوفها وترفع أسلحتها، كان بانديراس الطاغية يمعن النظر ويتفحص وجوه الجنود أثناء الظلام.

الجزء الثانى

ضوضاء وشغب

الكتاب الأول

معدن الصخر الإيبيرى

-١-

تحت شرفات نادى القمار الإسبانى ذى الجدران المطلية باللونين: الأحمر والأصفر الفاقع تقف عربة دون ثيليس فى بلاهة وتعجرف.

-٢-

(هتافات)

- يسقط الجاشو بينوس(*).

- يسقط ... يسقط

- تبدو قباب سيرك الهاريس الشفافة تحت رونق السماء الخضراء فى قاع الحديقة.

(*) الجاشو بينوس الإسبان المهاجرون لأمريكا .

– اشتد زحام السوقة وصدرت عنهم ضوضاء شديدة أمام أبواب الأقواس الكهربية المسلطة على المكان.

– على مدخل الشارع يندسّ اثنان من الخيالة بين المجموعات ليصطادا جواسيس الطاغية.

– استقبل المتحدثون بترحيب شديد يمتزج فيه التصفيق والهتافات، وحضرت مجموعة من المتحدثين لونهم شاحب، ومحاطون بحاملى الأعلام، ويحيون الجمهور رافعين قبعاتهم بحركات مسرحية بطولية.

وتحت وطأة عصا رجال الشرطة كانت حشود الغوغاء تفسح الطريق أمام أبواب السيرك كما كانت الأضواء الداخلية للسيرك تعطى القباب الكبيرة ظلاً أسود. بدأت مجاميع حاملى الأعلام تتعاقب ومعها الصواريخ النارية، وينتشر تصفيق وصيحات تمرد وتحد، كانوا يهتفون أمام الكازينو الإسبانى مرددين:

– يحيا دون روكى تيبيدا.

– يحيا محرر الهنود.

– يحيا ... يحيا ...

– يسقط الطاغية

– يسقط ... ط ... ط...

– يسقط الجاشو بينوس

– يسقط ... ط ... ط ....

-٣-

المصابيح الكهربائية الذهبية تزين الكازينو الإسبانى ذا المعمار الفخم واللون الضارب إلى الحمرة الذى تنبعث من داخلة ضوضاء شديدة.

أنهى مجلس الإدارة اجتماعه سريعًا دون اتخاذ أى قرارات، فقط مجرد اتفاقات شفوية وسرية.

- بدأت فى الصالونات همسات خفية حول القصف الشرس وسريعًا اندلعت المؤامرة وانفض الاجتماع.

- كانت موسيقى القرب تشق الفضاء بألحانها الوطنية الصارخة، وكانت أوراق اللعب الجرداء تترك الرهان فى الأطباق ... رجال الحكم المتوحشون يُضربون بالأحجار وزجاجات المياه الغازية.

- لاعبو البلياردو يضربون الكرات برفق حتى لا تصدر صوتًا عاليًا بينما ينادى بعض المنافقين من المرابين والبقالين بالتعقل والحذر، ويطالبون بدورية من رجال الشرطة لضمان الحفاظ على النظام.

- أضواء وأصوات تسيطر على المكان، خفقان لطيف، ومناقشات سياسية تدور فى الصالونات المزينة على غرار الابتذال المنتشر فى المكاتب الوزارية فى الوطن الأم.

حضر كتاب الجاشو بينوس فى الحال وملأوا الشرفات صياحًا وتصفيقًا:

- تحيا إسبانيا.

- يحيا الجنرال بانديراس

- تحيا السلالة اللاتينية.

- يحيا الچنرال الرئيس

- يحيا دون بلايّو

- يحيا البيلار دى ترجوثا

- يحيا دون إيساك بيرال.

- تحيا التجارة الشريفة

- يحيا بطل زمالبوا (Zamalpoa)

كان جنود الفرسان - فى الشارع - يطعنون عامة الشعب المتشحين بالملاءات السوداء بالسكاكين، وكان هؤلاء الناس يهربون دون محاولة إخراج السكين من صدورهم.

ومن ناحية أخرى كان القساوسة والجاشو بينوس يلتفون حول موائد الشرفة تحت حماية رجال الشرطة حيث تجرى بينهم مناقشات، وادعاءات، وتصفيق أحيانًا ، عضّ دون ثيليس على شفتيه برهة طويلة وكان يقف بين شخصين من سلالته: أحدهما السيد كونتوم .. أمريكى مغامر .. أفّاق .. يعمل فى استخراج المعادن من المناجم .. صاحب مزرعة .. إسبانى معروف بثرائه الفاحش .. رجل ذو أفق ضيق .. بخيل

ومتعصب .. لديه ولع خرافي بمبدأ السلطة القاهرة التى تُرهب وتثير الذعر والفزع.

– والآخر دون تيودوسيو دل أراكو (Don Teodosio del Araco) .. إسباني فولاذى .. يؤيد بشدة نظام ناظر الأهالى فى المستعمرات الأمريكية.

– ألقى دون ثيليس خطابًا طويلاً يخلو من عبادة الذات والأنانية ويناسب ثريًا مثله .. كان يصيب الهدف بتمكن واقتدار لدرجة تبهر الخادم الذى يقدم له القهوة.

– كان الشارع مليئًا بالضوضاء: مشاجرات الهنود تكثر حول المصابيح، مهرجان الليل لموسيقى الجنود يؤذن ببدأ الاجتماع السياسى.

– أصدر دون تيودوسيو حكمًا موجزًا بصفته قاضى التحقيق:

انظروا، يالها من مهزلة.

– احمرّ وجه دون ثيليس، وعقب منفعلاً:

إن حكومة الجنرال بانديراس يخوّل لها القانون إجراء هذه الدعاية، حيث تعبر كل الآراء السياسية عن نفسها، وهذا هو العمل الذى يحسب له، فالچنرال بانديراس لايخشى المناقشة فسمح بتبادل الآراء ،انعقاد الاجتماع السياسى هذا المساء، كل تصريحات الچنرال تشهد له بذلك، وهو مع المواطن الذى يسلك الطريق القانونى للتعبير عن آرائه وممارسة حقوقة سلميًا.

– متفقون تماما على أن هذه التصريحات تصدر فقط عن حاكم عظيم مثله وأعتقد أن التاريخ سوف يسجل هذه المواقف والآراء للسيد الرئيس.

– دون تيودوسيو دلاراكو يدون ملاحظات موجزة على الهامش.

هذه التصريحات محل إعجاب وتستحق الثناء.

أما مستر كونتوم فنظر فى ساعته وقال:

مهم جداً سماع هذه الخطب، وغداً سأكون على علم بكل ما يحدث دون الاعتماد على أحد، فما أسمعه بأذنى أفضل مما ينقله الآخرون.

قطّب دون ثيليس جبينه بامتعاض وقال لنفسه هذا الجو الخانق لايحتمل.

– إننى مهتم بسماع دون روكى ثيبيدا.

أبرز دون تيودوسيو تكشيرته الصفراء وقال: إنه مجنون، أحمق، لا أصدق أن رجلاً فى مكانته وثرائه ينضم إلى هذه الثورة التى يقوم بها أشخاص لايعلمون عاقبتها.

– ألمح دون ثيليس بحسرة وتهكم:

روكى ثيبيدا رجل مثالى

– إذن فلابُدَ من القبض عليه.

- بالعكس، فى تركه حراً دعاية جيدة للنظام وثيبيدا لابد أن يهزم فى النهاية

- هزّ دون تيودوسيو كتفيه ورأسه فى ريبة وشك:

حضراتكم لن تستطيعوا السيطرة على الاضطرابات التى أدت إلى وجود هؤلاء المنشقين المخلين بالنظام.

إن الهندى خسيس بطبيعته، ومن المستحيل أن يشكر أو يعترف بأفضال سيده، وفى الوقت الذى يتظاهر بالخضوع يسنّ سكينه ... لايستقيم حاله إلا بالسوط ... إنه كسول قليل الإنتاج .. يتعاطى الكحوليات أكثر من زنوج أمريكا اللاتينية، يعمل عندى زنوج كثيرون وأضمن لكم تفوق الزنجى على الهندى القادم من المحيط الهادى.

- وأخيراً أدلى مستر كونتوم برأيه بطريقة فكاهية ومؤثرة لو لم يكن الهندى ضعيفا ما استطاع نو البشرة البيضاء العيش آمنا فى هذه الجنة التى تسمى بونتادى سيربينتس (Punta de Serpientes).

- وافق دون ثيليس على هذا الكلام، وهو يمسك فى يده مروحة من القس يهوى بها وقال:

بدون شك لكن هذا الكلام يعنى أن الهندى ليس كفئًا للنشاط السياسى

- أضاف دون تيودوسيو: إنه ضعيف ومدمن كحوليات أيضًا، ويحتاج دائمًا إلى مقرعة سيده الأبيض الذى يحثه على العمل لخدمة أغراض المجتمع.

استـدار الرجل الأمـريكى الذى يعـمل فى المناجـم ويطلقـون عليـه (yanqui): مسـتـر أراكو، إذا كـان هناك قلق من الخطر الأصـفـر (يقـصد الهندى) فإنه فى هذه الجمهوريات.

– حرك دون ثيليس سترته الوطنية الهزلية فنتج عنها رنين أصدرته الأوسمة والنياشين الصغيرة المعلقة فى السلسة الكبيرة المتدلية من جيب إلى جيب آخر فتحيط بكرشه وأضـاف:

إن على هذه الجـمـهوريات كى لا تضل الطريق أن تعود إلى الوطن الأم (إسبانيا) حيث يتجسد هناك تاريخ عشرين دولة اكتشفتها إسبانيا من دول أمريكا اللاتينية (*) .

– رد عليه مستر كونتوم الامريكى محركا أنفه وجانب وجهه النحيل الذى يشبه بغبغاء أحمر: إذا كان ابن أمريكا اللاتينية مـايزال زعيمًا فـهذا بفضل البـواخر والمدافع الامريكيـة (**) ثم أغمض إحـدى عـينيـه ناظرًا الى أرنبة أنفه بينمـا تسـتمـر مـشـاجرات الهنود حـول الأعمـدة الكهربائية التى تعلن عن بدء الاجتماع السياسى .

(هتافات)

– يسقط العم سام.

– يسقط الجاشو بينوس.

(*) كان يقول ذلك على سبيل التفاخر .

(**) يقصد أمريكا الشمالية .

- يسقط رعايا الولايات المتحدة المتآمرون .

ومن ناحية أخرى يحتسى رئيس تحرير جريدة الرأى الإسبانية عصير الأناناس المثلج بالصودا فى المطعم الشهير: (غرفة الموتروبولى)

- خرج دون ثيليس إلى منتصف الطريق وهو يهوّى، بمروحته ... يقترب من رئيس التحرير ويقول له (منافقًا) :

تهانينا لكم على المقاله الافتتاحية، كل شىء مطابق للنظرية، فرئيس تحرير جريدة الرأى الإسبانية يملك قلماً قويًا وطنيًا مخلصًا غيورًا على مصالح الرعايا الإسبان من المرابين ورجال الأعمال ويدعى دون نيكولاس دياس ديل ريفيرا إنه شخصية حذرة وفظة يخفى (Don Nicolas Diaz del Rivera) نفاقه بأسلوبه الإسبانى الجاف ويطلق عليه فى إسبانيا (Carlista) كارليستا أى تابع لحزب الملك كارلوس إلى حين أن نصب على الصندوق السابع لولاية نابرًا (Navarra)

لقد أشاد برجوع النظام الملكى فى إسبانيا من بلاد أمريكا اللاتينية، وهو ذو لقب برّاق ولامع: كونت ينام فوق بنك من المجوهرات كما أنه بعيد كل البعد عن كونه رجلاً شريفًا .

اقترب منه دون ثيليس بثقة، ومروحة القش فوق كرشه يُبعد السيجار عن فمه ويبسط ذراعية بحركة مثيرة.

وماذا تقول عن تمثيل المجلس السياسى لهذا المساء ؟ هل سنقرأ الوصف غداً؟

– ما يسمح به القلم الأحمر فقط ، تفضل بالجلوس يا سيد دون ثيليس، عندى من يجيدون جمع الأخبار، ليتنا لا نكون مضطرين للبكاء على تزييف النظام، فى هذه الدعايات الثورية تسقط العواطف.

– سحب دون ثيليس كرسياً واسترخى فيه وهو يلوح بمروحته ذات القش البَنّمى: لو حدث أى تجمهر من الغوغاء سأحمل دون روكى المسؤلية، هل رأيت ياسيدى هذا المجنون الجميل؟ (يقصد دون روكى). لن يؤرقه أن يبقى بعض الوقت فى سانتا مونيكا(*) .

– التفت رئيس تحرير جريدة الرأى الإسبانية سراً كاتماً صوته الهائج مغطياً إياه بإشارة سرية كبيرة :

من الممكن أن يكون هذا كميناً مسلحاً، ما هى انطباعاتك التى أخذتها من خلال زيارتك للجنرال؟

– إنه قلق من موقف السلك الديبلوماسى ويخشى أن يلتزم بالشرعية القانونية، وهذا ما يبرر التصريح بعقد الاجتماع السياسى، أو أنه كما أشرت: كمين .

– ألا تعتقد فى احتمال أن تكون ضربة معلم؟

لكن ربما أيضاً القلق الذى لاحظته على الرئيس......؟

– معنا هنا الشاعر لارانياجا El vate Larañaga ، اقترب بات، وهو شاب نحيل، أجرد، هزيل، ذو خصلة شعر رومانية، ورباط عنق

(*) اسم أحد السجون الشهيرة .

هفهاف، يضع خواتم سوداء في يديه (دليلاً على الحداد)، إنه تلميذ مستجد في حرفة الصحافة، اقترب برفق، وحيًا بخجل ثم قال:

في التو واللحظة بدأ الليسنسيادو سانشيس أو كانيا إلقاء خطابه

El licenciado Sanchez Ocaña

قاطعه رئيس التحرير قائلاً:

– هل دونت ملحوظاتك؟: من فضلك، سأقرأها وأرسلها للمطبعة، ما هو انطباع الجمهور؟

– كان لخطابه وقع كبير على الجمهور، فقط بعض الاحتجاجات في المكان المخصص للنساء على المسرح، لكن التصفيق الحاد فرض نفسه على كل هذا، إن الجمهور كان منقاداً له.

– كان دون ثيليس يتأمل النجوم في هذه اللحظة مبللاً شفتيه بسيجارة : وهل الليسنسيادو سانشيس أوكانيا يُعد خطيبًا بارعًا حقيقة ؟ من احتكاكي القليل به يبدو إنسانًا عاديًا متوسط الكفاءة وغير ناجح.

– ابتسم الشاب بخجل وتجنب إبداء رأيه.

– مر رئيس التحرير دون نيكولاس دياس ديل ريفييرا (Don Nicolas Diaz del Rivera بنظارته المثبتة فوق أنفه على الأوراق.

(في هذه اللحظة ينتظر بات صامتًا خجولاً)

رفع رئيس التحرير رأسه قائلا:

إنك ياسيدى تفتقد الحس السياسى، نحن لا نستطيع القول بإن الجمهور أثنى على حضور الليسنسادو بالهتاف والتصفيق، ولكن يمكنك أن تكتب:

إن التصفيق مدفوع الأجر ومن بعض الأصدقاء لم يستطع إخفاء فشل الخطبة الطويلة والمبهمة، والتى كانت تحتوى على كل شىء إلا أن تنسب *إلى* شيشرون (*)

(كان يقول ذلك فى تهكم وسخرية) .

إن ما كتبته صياغة بدائية لمجموعة قوالب صحفية جامدة، مستواك الصحفى فى تدهور يا سيدى.

ابتسم الشاعر بخجل:

خشيت أن أكون قد تجاوزت فى اتهاماتى.

– راجع مدير التحرير الأوراق: كان له ما يثبته، إنه تعبير فرنسى.

– صحح الشاعر ذلك بلطف: إنه مُحقق.

– لم تعترف بهذا التعبير الأكاديمية (**)

– كانت الرياح ترسل موجًا قاتمًا من الصياح والتصفيق.

(*) شيشرون . سياسى ومفكر رومانى وخطيب بارع .

(**) يقصد الأكاديمية الملكية La Real Académial وهى بمثابة مجمع اللغة العربية عندنا.

- علّق دون ثيليس على ذلك بصوت أجوف رنّان:

إن الغوغاء تهذى في كل مكان عند سماع الشعارات البليغة.

- نظر المدير صاحب الجريدة إلى الصحفى بنظرة عتاب قائلاً:

لكن، كل هذا التصفيق؟ هل تعلم من الذى أخذ الكلمة؟

- من المحتمل أن يستمر الليسنسيادو.

- وسيادتك، ماذا تفعل هنا؟ عد أدراجك وساعد الزميل.

ثم ناداه مرة أخرى:

انتبه، لو أحسنت التصرف سأعده نجاحًا صحفيًا لك، صف الوضع كما لو كنت تعد بحثًا عن كيفية إدارة سيرك مع ببغاوات مُوَضة. احرص على إبراز الكلام التافه، ابدأ بأجمل التهانى لمؤسسة الأخوة هاريس.

- انتفخ دون ثيليس - زهوًا - بعد سماع ذلك وردّد:

أخيرًا ظهر صحفى من السلالة (*)

ختم مدير التحرير حديثه بتقطيب حاجبيه وزمّ شفتيه، واستمر في توجيهاته لبات الهزيل:

من الذى يرافقك من الزملاء.

- فراى موشو Fray Mocho

(*) يقصد صحفيا إسبانيا مثله.

– حذار من هذا الجلف، إنه يشرب الكحوليات.

– انكمش البات لارانياجا كاتماً ابتسامته، مستأذنا .

إلى اللقاء.

عاد التصفيق مرة أخرى

صياح الباعة الجائلين يدوى فوق الأرصفة ... خطوط متعرجة من ماسحى الأحذية السود ... صوان رنّانة يحملها إلى أعلى غلمان البارات الأمريكية ... عدد كبير من الفتيات المولدات حسنات المظهر يحزمن خصورهن بأغطية الرأس ذات الطراز القديم ... صور .... مظلات.

أضواء متعطفة تذبذب وتهيج المكان الملىء بسهرات الأفيون والحشيش، الذى يتعاطاه السوقة .

الكتاب الثانى

سيرك الهاريس

-١-

يفتح سيرك الهاريس الأسمر البراق مظلاته المصنوعة من الخيش، بينما يزخرف جماعات من رجال الشرطة ذوى الشوارب الأبواب اللامعة على إيقاع خطواتهم وشواربهم المترهلة ولحاهم المتربعة فوق الخوذة، ورغم هذا المظهر الجاد فإن الذعر يتملكهم.

– قناع صينى .. ضجر حول شوارع الحديقة .. تجمعات شعبية تصدر الشائعات ... خليط من الرعية يرتدون العباءة ويحملون السونكى ، وهؤلاء يطلق عليهم اسم Cariollo del jarano (*) كريويو دل خارانو، وهم طائفة تثير الشغب منهم الأجرد، والهندى الجبلى.

– فى قاع الحديقة كانت المظلة الشفافة تسطع بقناديلها المثلثة فوق السماء الخضراء ذات الشهب.

(*) cariollo del Jarano الأمريكى المشاغب من أصل أوروبى

-٢-

- اخترق الشاعر لارانياجا صفوف رجال الشرطة باضطراب كالطائر الأسود المذعور وتوغل تحت قبة الخيش التى تهتز من قصف المدافع المدوى.

- كان الليسنسيادو سانشيس أو كانيا مايزال يغرد بصوته الصداح .. جفف البات عرقه وفك رابطة عنقه، وجلس بجوار زميله فراى موشو Fray Mocho.

- فراى موشو أحد الموظفين الشيوخ القذرين، ذو وجه مجدور وأنف كبيرة متدلية .. استقبل البات مرحباً وهو ينفث دخان سيجارته ويطيل فيه: إن كلمته مرجع خطابى

- هل تدون سيادتك ملحوظات؟

- كيف ! إنه يتكلم بسرعة فائقة.

- ولن ينتهى.

- استغرق وقتاً طويلاً جداً.

-٣-

أسهب الخطيب فى حديثه أمام الجمع الغفير من الناس .. أخذ رشفة من كوب الماء ثم انتصب فى خيلاء وجذب أطراف أكمامه المنشاة وقال:

يجب على المستعمرات الإسبانية أن تنصت لصوت الحضارات الأصيلة بأمريكا، لكي يعود لها تاريخها العريق، وهكذا فقط نتخلى عن كوننا مستعمرة القارة القديمة الروحانية.

إن الكاثوليكية والتشريعات الفاسدة أغلال تقودنا نحو حضارة لاقيمة لها... حضارة أنانية وكاذبة، لكن لوارتددنا عن هذا الدين الرسمي الدنيء سيكون ذلك من أجل فتح الباب أمام رابطة جديدة تحيا معها تقاليدنا الشيوعية ألف سنة في مستقبل كامل للتضامن الإنساني .. مستقبل يشبه الزلزال المرعب في تأثيره على العالم.

– أتى بعد ذلك صوت يسبّه بملء فيه:

من عند أمك؟!

اندلع الشغب فجأة .. اضطرابات وصياح .. شعور بالاشمئزاز .. ركض بالأرجل... أذرع مرفوعة إلى أعلى .. يمسك رجال البوليس بأحد الهنود الفقراء وقد فتحت رأسه من أثر الضرب بالعصا.

كان الليسنسيادو أوكانيا يبتسم محركًا الملعقة الصغيرة في كوب الماء .. وكان شاحب اللون .. التصنع باد عليه كما لو كان على المسرح.

– مال الشاعر على فراي موشو ووشوشه على عجل وخوف: مَن يملك قلما مستقلا؟ المدير يريد نقدًا لاذعًا.

– أخرج فراي موشو من جيب سترته – زجاجة صغيرة ... أمسك بها ... قبّلها ... بلل شفتيه منها:

- بليغ جداً!

- إنها وصمة عار أن يبيع المرء ضميره.

- ما هذا؟ إنك لن تبيع ضميرك، لن تبيع قلمك، وهل هناك فرق بين هذا وذاك؟

- هذا من أجل ثلاثين بيسوس قذرة.

- إنها لقمه العيش ، لا تتقمص دور الشاعر، هل تريد تشجيعا بشرب قليل من الخمر؟

- ما هذا؟

- مشروب روحى.

- لا أشتهى ذلك.

-٤-

رفع الخطيب قبضته ... ظهرت أكمام قميصه .. اقترب من أنوار مقدمة خشبة المسرح .. استقبل بتصفيق حاد: ترحيب وصياح كما لو كان الجميع يردد أغنية واحدة بصوت واحد ؛ بدأ الخطبة:

إن أبناء أمريكا ذوى الأصل الأوروبى يحتفظون بكل الامتيازات، وكل القوانين الاستعمارية القديمة التى جاءت قبل أوانها ولم يستطع المحررون الأوائل تحطيمها، فالسلالة الهندية مازالت كما كانت فى أسوأ

حالاتها فى زمن الولاية الملكية الإسبانية، فهم يعانون من عبودية نظام دائرة ناظر الأهالى فى المستعمرات الأمريكية.

أمريكتنا استقلت عن الولاية الشرعية الإسبانية، لكنها لم تستقل عن أحكامها وقوانينها الممهورة بمعاهدة من النفاق، حقوق وكاثوليكية.

– لم يحاولوا تخليص الهندى الذى يسخرون منه، فهو أعزل لا يستطيع الدفاع عن نفسه ويعمل فى الإقطاعيات الكبيرة وفى المناجم تحت سوط (الخولى). فالتزامنا بتخليص الهندى من كل ذلك يجب أن يكون العقيدة الثورية المثالية للعدل الأكثر قوة من الإحساس الوطنى، لأنه تطلع نحو تضامن إنسانى .

المحيط الهادىء بحر مصيرنا العنصرى، فى أقصى جوانبه البعيدة تحتشد أصوات التآخى والاحتجاج نفسها، إن الشعوب الصفراء تنهض من أجل تحطيم الطاغية .. من أجل التحرر من الاستعمار الذى يعد حجر الزاوية للدول الأوروبية الكبيرة، ولاتنهض من أجل الانتقام.

المحيط يصاحب إيقاع أمواجه الأصوات الجماعية للسلالة الآسيوية والأمريكية التى خدّرتها مثالية مذعومة بضمير جديد، فعاشت فى حلم كئيب على مر العصور، حلم معجون بهذه الالتزامات .. بهذه التضحيات.. بهذه الصعوبات والمعارك الصوفية التى ستصدر أمراً حتميا ببرهمة (*) قذارة الحضارة الأوروبية الملطخة بالشهوات والأنانية والرغبة فى الملكية الفردية.

(*) برهمة من كلمة البراهمة وهم أتباع إحدى الديانات الهندية.

- الدول الأوروبية التى نشأت على الحروب والتدليس، لاتشعر بالعار من تاريخها.. لاتشعر بالاشمئزاز من سرقاتها الدموية، كما إنها لاتتستر على جرائمها. الدول الأوروبية تعتنق الفحشاء فتتباهى - فى تبجح - بالخيانة، وتتفاخر بوقاحتها الدائمة على مر العصور، وهذا الانحطاط تبديد كما لوكان تراتيل من الفخر، يرددها شباب المدارس الأوروبية.

أما نحن بمثالتينا يجب أن ننقد هذه الشعوب مثل نقد الرومانى الذى وقف أمام مذهب العدل والإنصاف. ذلك الشريف البدين الأحدب مدعاة للتقيؤ والغثيان فقد كان سيد لمجموعة، من العبيد الجوعى، وكان يبنى حياته ويجد لذة ثرائه على حسابهم.

فرق من العبيد تحصد الحقول .. فرق من العبيد تنحدر فى قاع المنجم ... ثلاثة صفوف من العبيد تجدف فى المركب .. الزراعة .. التعدين ... التجارة عبر البحار ... أشياء أخرى كثيرة، الخلاصة أنهم لايستطيعون الحياة دون العبد.

كان بطاركة روما القديمة يبررون لهم ذلك، وكان مهماز المالك يغرس فى لحم العبد وصار ذلك عرف للصالح العام ولصالح الإمبراطورية.

نحن أكثر من ثوريين سياسيين ... أكثر من رجال لوطن صغير محدود .. نحن طُلاّب عماد لطائفة دينية جديدة ... مضيئون ساطعون

بنور ضمير جديد .. من أجل خلق وطن عالمى .. نريد تحويل صخور العالم إلى مذابح فلكية حيث نحتفل باحترامنا الشديد لكل الأشياء القائمة على الحب والإعجاب والاحترام الزائد من أجل تحقيق الانسجام الدائم الذى يمكن الوصول إليه فقط بالمساواة بين البشر، ونحن على استعداد أن نضحى بحياتنا مقابل هذا الشعور الحتمى بالمساواة .. ملتزمون بتحقيق الإخاء وتطهير النفس من الأنانية حتى نتفوق على دوائر البخل والسرقة.

-٥-

شغب من جديد

جنود الجاشوبينوس يصيحون بتوحش:

- صعاليك!

- عديمو التربية

- مفلسون

- تسقط الضوضاء الثورية.

يرفع الجاشوبينوس صياحهم وعصيهم، يحتمون برجال الشرطة، وفى سرية يثيرون الشغب وهم يرتدون أقنعة أعوان الطاغية، احتدمت المعركة وتبادلت الشتائم:

– صعاليك

– يسقط الظلم والاستبداد.

– منافقون.

– فوضويون.

– يحيا الجنرال بانديراس.

– تسقط الضوضاء الثورية.

حشد غفير من الهنود الذين يرتدون الملاءات .. يتحركون كموج البحر:

– يحيا دون روكتيو.

– يحيا الرسول.

– يسقط الاستبداد.

– يسقط الوجود الأجنبى.

بدأ رجال الشرطة فى قمع المتظاهرين وضربوهم بالأحذية والأعمدة الخشبية السميكة ... صياح .. أيد مرفوعة .. وجوه ملطخة بالدماء .. اضطراب عنيف .. الأضواء تنطفئ .. كسور عند حلبة السباق فى الزاوية.

خيال تكعيبى لسيرك الهاريس.

الكتاب الثانى

أذن الثعلب

-١-

ترك بانديراس الطاغية حلقة الرفقاء الثقلاء، وغادر المجلس وهو يتشمم الأخبار. أشار بيده إلى مفتش البوليس - الكولونيل ليسنسيادو- لوبيث دى سلامنكا الذى حضر ليرافق الطاغية إلى غرفة المحادثة، ثم دخل معه الجميع، مر المومياء بفضول - كعادته - واتجه نحو المقصورة التى تعوَّد أن يقابل فيها وكلاءه سراً.

عند الباب صافح - بلطف - العجوز المرتعش صاحب السعادة دون ثليث وقال له: بعد إذنك انتظرنى قليلاً ، ونادى مفتش البوليس: سيادة المفتش ، تفضل لاستلام الأوامر.

-٢-

اجتاز السيد مفتش البوليس المكان، وغمز بعينه فى خداع وتملق ومداعبة، وبصوت خافت لا يخلو من مكر. كان بانديراس الطاغية قد

دخل الغرفة من الخلف ثم عاد والجميع فى ذهول كالأسرى، أو كما لو كانوا يشاهدون عرضًا مسرحيا للعرائس.

– الكولونيل ليسنسيادو لوبيث دى سلامنكا مفتش البوليس شاب تعدى الثلاثين بقليل، رجل جاد، ذو لغة جامعية راقية، فكاهى الحديث والمداعبة، حفيد لسلالة من نظار الأهالى فى المستعمرات الإسبانية، ويرجع أصله إلى الأشراف الذين يحتقرون الهندى، وقد ورث عنهم هذه المشاعر، وتغذّى هذا الكولونيل المولّد – ابن أوروبا .. المولود فى أمريكا .. صاحب الأرض – على هذا الميراث، المسمى فى تلك الجمهوريات بطاركة (أى نبلاء) .

دخل الكولونيل مرتديًا قناع الولاء.

تحت أمرك يا جنرالى.

أشار إليه بانديراس الطاغية آمرًا أن يترك الباب مفتوحا.

جلس بعد ذلك – فى صمت –، ثم تحدث – بإصرار – وهو يزن كل كلمة:

– قل لى هل بدأت احتفالات الشباب؟ ما عدد الببغاوات الذين تحدّثوا؟

– افتتح الخطابة الليسنسيادو سانشيس أوكانيا، إنه ثورى جدًا.

– فى أى موضوع تحدث؟ اختصر.

– تحدث عن خلاص الهندى، ذكر أن الشيوعية سابقة لاكتشاف أمريكا، وأنها أنشودة المحيط الهادى تشبيهًا لها بأنشودة فرنسا القومية، تتآخى مع السلالة الصفراء ! حماقة ! (*) .

– مَن مِن الببغاوات الآخرين تحدّث؟

ألم يوجد مكان لأكثر من هؤلاء ؟

– لقد داهم الجاشوبينوس المكان، وكذلك القوميون فأثاروا الشغب، ولم يعطوا الفرصة لرجال البوليس للتدخل.

– هل تم القبض على المشاغبين؟

– نعم، دون روكى وشخص آخر، وقد أمرت باقتيادهما إلى مكتبى لأحميهما من الغضب الشعبى.

– معقول جداً، إنهما مازالا يؤمنان بأفكارنا حتى لو أبديا معارضتهما، فهما ممتازان ويجب الحفاظ عليهما، وإذا تجاوب الشعب مع الثورة والتمرد أبعدهما إلى سجن سانتا مونيكا. لاتخف بتجاوز الحدود. وبعد ذلك سآمر بنفسى لأخرجهما من السجن، وأرضيهما باعتذار شخصى ورسمى.

أكرر لك: لا تخش تجاوز الحدود معهما.

وماذا لدينا من السلك الدبلوماسى الموقر؟ هل تذكر القضية التى حدثتك عنها بخصوص السيد وزير إسبانيا؟

(*) ويقصد بالسلالة الصفراء شعوب آسيا.

إنه لمن المناسب جداً أن نؤمن أنفسنا بالرهائن ، لقد أحرزتم تقدمًا هذا المساء أنجزتموه بنشاط أهنئك.

اعرض عليّ ما حدث.

– لقد أحاطو بـ (قليل الأدب) الأندلسي الذي يطلقون عليه كورتيومي ألما Corrito -Mi- Alma .

– لمن تنتمي هذه الشخصية؟

– إنه الطفل المدلل الذي يدخل ويخرج مثل الكلب الذي يلهث وراء النساء في المفوضية الإسبانية، لقد تحدثت عنه الصحافة بمرح.

تقوقع الطاغية بعد ذلك في حركة صارمة:

– هذه الشائعات ليست وجبتي المفضلة، استرسل.

– ليس أكثر من أن هذا الطفل يعمل مصارع ثيران، وقد اعتقل هذا المساء لارتكابه جريمة إثارة شغب شعبي، وتسبب في هرج ومرج، وقد صدرت عنه بعض التصريحات المشكوك فيها، وصدرت الأوامر بتفتيش مسكنه.

– نتيجة التفتيش ؟

– كل شيء مسجل في هذه الورقة.

- اقترب من المصباح واقرأ.

بدأ الكولونيل ليسنسيادو القراءة بطريقة منغمة إلى حد ما، مبتدئًا بلهجة العجائز المفرطة في التدين لحد التعصب بطريقة سطحية.

- عثرنا على طرد من الخطابات، صورتين عليهما إهداء، عصا بمقبض من ذهب، بعض أرقام شفرية، علبة سجائر بحروف شفرية وتاج، عقد، إسورتين، باروكة حمراء مجعدة، وأخرى سمراء، صندوق ملىء بالنتائج، اثنين تايير حريمى، بعض الملابس الداخلية الحريرية.

انكمش بانديراس الطاغية فى ارتعاش وأصدر عقوبة ملعونة:

خلل عقلى تشمئز منه النفس .. شذوذ بغيض.

-٣-

فوق قاع الأقواس القمرية تطل النافذة حاضرة ومنفتحة، ظلال الخفافيش تهز البياض المسائى للدمار يمثلها الأسود، الكولونيل ليسنسيادو يُخرج من جيوبه المختلفة: حليًا، صورًا، خطابات. ويضع كل ذلك فى صف فوق المائدة ببطء، وتجهُم شديد يضفى عليه صبغة خاصة فيشبه الحواة بجانب الطاغية:

- الخطابات - على وجه الخصوص - مهمة، إنها حالة مرضية، قلة حياء، السيد الكولونيل يسجل هذا كله.

- إن الوطن الأم يستحق عظيم الاهتمام، وبهذه المناسبة يهمنى بصفة خاصة عدم المساس بسمعة البارون بنيكارلس.

– سيادتك ستحرص على إطلاق سراح الأندلسى السمج.

– من المهم جداً أن يعرف الوزير الإسبانى بالواقعة حتى ينتبه إلى ما فعله هذا المهرّج الذى أشعل المهزلة الشعبية التى تزعمها الوزير البريطانى.

– ماذا عندك بخصوص اجتماع السلك الدبلوماسى.

– لقد تأجل الاجتماع.

– يبدو أنه أحرج الوزير الإسبانى كثيراً، وعرضه للشبهة.

– سوف أصحح ذلك عندما أطلع على أمر هذا الشاب الأندلسى المكار.

حرّك بانديراس الطاغية رأسه موافقًا بينما ينعكس ضوء المصباح المتدلى فوق جمجمته العاجية، وعلى الزجاج المستدير لنظارته.

نظر إلى ساعته الفضية وحرّك لولبها:

سوف يوضح لنا دون ثيليث ما يتعلق بموقف السيد الوزير، هل تعلم إذا كان استطاع مقابلته؟

– سيخبرونى بالموقف حالاً.

– كولونيل إذا لم يكن لديك شىء عاجل جداً فلنؤجل الحديث عن الموقف الدبلوماسى، من الأفضل أن ننتظر لنعرف الأمر الخاص الذى يأتى لنا به دون ثيليث جاليندوا هكذا نستطيع إعطاءه الإذن بالمرور، وتبقى سيادتك معنا.

-٤-

دون ثيليث جاليندوا، الجاشوبينوس اللامع، رجل إسباني، ينظر إلى باب الغرفة، يلعب بالعصا والقبعة، يذكرنا بموقفه في غرفة المحادثة وهو يشبه المهرج الكوميدي المتغطرس القلق الذي ينتظر الخروج من وراء الكواليس. أطل على الكولونيل لسينسيادو، وبسط نظره، وأعطى إشارة تنبيه، نافضاً العصا والقبعة، وشعر بقرب دخوله على الطاغية، وكان التفاخر يقطر من أعماقه ، رفع الكولونيل ليسنسيادو صوته ملقياً نظرة ساخرة على الحاضرين:

- سيدى دون ثيليث، تفضل.

دخل دون ثيليث واستقبله الطاغية بتقاليده البالية.

- معذرة لانتظارك، أرجوك أن تقبل عذري، لا تتهمني بعدم الاكتراث لمعرفة أخبارك، هل قابلت الوزير؟ هل تحادثتما؟

أبدى دون ثيليث اعتراضه وقال:

- لقد رأيت بنيكارلس، وتناقشنا في السياسة التي يجب أن تدوم في هذه الجمهوريات التابعة للوطن الأم، وانتهينا إلى أننا متباعدان في الرأي بشكل حاد.

- علّق المومياء على هذا بتكلف:

آسف على هذا التعارض، وأشعر أني أتحمل وزر هذه المقابلة.

- زمّ دون ثيليث شفتيه، وأغمض جفنيه:

– فى الحقيقة إن الحدث ليست له أهمية، ولكى أثبت له وجهة نظرى تبادلت الانطباعات مع بعض الشخصيات المرموقة فى الجالية.

– حدثنى عن سعادة السيد وزير إسبانيا، ما هى وعوده الدبلوماسية؟ لماذا يأخذ موقفًا معارضًا للمصالح الإسبانية الجوهرية هنا؟ .

– إنه لا يفهم أن كفاءة أبناء البلد الأصليين من الهنود يعنى انهيار سلطان أصحاب المزارع، سوف يجد صاحب المزرعة نفسه فى خضم المشاكل الزراعية التى تركها فى البلد الأم، وأن رجال دولته لن يستطيعوا حلها.

قال دون ثيليث – فى تملق شديد–:

– بنيكارلس ليس الرجل الذى يدرك هذا بوضوح، وليست له دراية بمثل هذه المسائل. على أية حجة يستند؟ يجب أن نعرف ذلك.

– لا يستند إلى أى دليل.

كيف إذن يبنى رأيه؟

– لا يستند على شىء.

– هل ذكر لك شيئًا؟

– خلاصة رأيه أنه لا يريد أن ينحرف عن المسار المحدد من قبل السلك الدبلوماسى لقد بذلت قصارى جهدى ليعدل عن ذلك فلم يستجب،

بينت له أن ذلك يعنى أنه يعرّض نفسه لنزاع شديد مع الجالية، وأنه يغامر بوظيفته، دون جدوى وضاعت كلماتى أمام عدم اكتراثه، إنه يلعب مع رفيق النساء ذلك الشاب الأندلسى، لقد أغاظنى.

قاطعه بانديراس الطاغية بكلامه الزائف، المتقطع، المتكلف:

– دون ثيليث، إنه يستحق كراهيتك له، عمومًا يجب مقابلة السيد وزير إسبانيا.

– من المناسب أن تصر سيادتك على الموضوع المطروق نفسه مع بعض الأدلة الخاصة جداً، أو على الأقل تبعده عن النفوذ الخبيث للممثل البريطانى.

إن السيد مفتش البوليس لديه أخبار عن مشاكلنا الحالية، فنحن نخضع لمؤامرة من المجتمع البروتستانتى فى لندن، أليس كذلك يا سيادة المفتش؟

– دون شك، إن الإنسان الذى يستعين بجيش نظامى قوى رجل رشيد.

إن الدسائس الإنجليزية تبدأ من الكتاب المقدس لتؤثر على أشغال المناجم والمالية.

هز دون ثيليث رأسه:

– أخيراً علمت.

اتكأ المومياء بوقار جاد محرّف الحديث:

إن الإسبانى الموهوب لا يفشل فى عمله عندما يكون الأمر متعلقًا بالروابط الجيدة بين الجمهورية والوطن الأم، على الأرجح هناك مكيدة بوليسية قبيحة.

وبتلك الحركة التهكمية ألقى السيد المفتش نظرة على دون ثيليث وقال:

– إن المبادئ الإنسانية التى تتمسك بها الدبلوماسية ربما تخضع فى بعض الأحيان للواقع.

تمتم المومياء:

– وفى آخر طلب، مصالح الإسبان المقيمين هنا ضد الإنسانية؟، لا يوجد ما يزعج، الإسبان المقيمون هنا يمثلون مصالح متعارضة، يجب أن يفهم السيد الوزير هذا وعليه أن يتروى قليلاً، فإذا كان كارهًا للأمر أخبره أننا لدينا فى سجلات البوليس وقائع لسهرات حمراء وعربدة رومانية. فليتحدث السيد المفتش.

فزع دون ثيليث، وأخرج الكولونيل ليسنسيادو خنجره:

في هذه الصور الرائعة يبدو أن السيد وزير إسبانيا كان طبيب توليد.

تأوّه دون ثيليث ثم قال:

- إننى مفجوع فى هذا الإنسان.

لوى بانديراس فمه في كبرياء وقال :

- أكثر من مرة يأتينا صعاليك يمثلون الوطن الأم.

تنهد دون ثيليث:

- سوف أذهب لرؤية البارون.

- قابله وأفهمه أن سمعته بين أيدينا .

- سوف يتروى بعد ذلك فيما يفعله.

- ادفعه إلى إرسال تحية رقيقة لسانتوس بانديراس.

اتكأ الطاغية بحركته الصارمة:

- الدبلوماسية تفضل التأجيل، وفى هذا الاجتماع الأول لن يخرجوا بشىء فى النهاية سوف نرى ما يحمله لنا الغد.

- من الممكن أن يتسبب هذا فى هلاك الجمهورية واقتيادها إلى حرب بائدة، لكن من المستحيل أن نخضع أمام اتهام باطل لمجرد السيطرة الأجنبية.

-٥-

خرج بانديراس الطاغية إلى الغرفة، وانحنى أمام مائدة صغيرة، لم يجلس، وقّع على المنشورات والأحكام التى قدّمها له سكرتير المحكمة ليسنسيادو كارو بسرعة خارقة.

فوق الأسوار تجسّد صور الشهداء الرديئة الفزع الشديد للتعذيب، منصات لتوابيت الأموات، شياطين خضراء.

وقع الطاغية بالحروف الأولى على الورقة الأخيرة. تحدث ببطء، والتكشيرة المؤلمة الخضراء في فمه الهندى الخارق: (شك، شك) وجّه الحديث للسيد ليسنسيادو: نحن مخطئون مع عجوز الغرفة رقم ٧ التى رافقت الجيش في تحركاته.

شك، شك، تمتمات تخرج من فم الطاغية باستهزاء .. توجّه نحو السيد ليسنسيادو قائلاً:

نحن مخطئون فى حق عجوز الفرقة رقم (٧) التى رافقت الجيش فى تحركاته، ولكى تحكم لها كما ينبغى – طبقًا للقواعد والأصول – لابد من جلد قائد الجيش ومعاقبته على أنه فاسق، إنه صديق لكبار المسؤولين، إنه الأحمق المقرب جداً من صديقى دوميثيانودى لاجاندرا (Domiciano de la Gándara) هذا القرصان ذو العين الحولاء الذى سيأتى بعد قليل من معسكر المتمردين وينعتنى بالطاغية، أقترح أن نضع صديقى فوق حصان، ونجلده بالسوط، وبعدها نترك هذه الجلفة. – عجوز الفرقة – يجب تنفيذ الخطة التى سأقدمها لك عند مصافحتك، هذا ما نسميه تخويف. فما هو رأيك ليسنسيادو؟

– إنها مشكلة عويصة ياسيدى.

توجه بانديراس الطاغية - بوجه عبوس - إلى كورال الكومبارس:

- أصدقائى، لا تبتعدوا، عودوا لتعطونى رأيكم، هل وعيتم ما تحدثت عنه مع السيد ليسنسيادو؟.

إنكم تعرفون دوميثيانو صديقى جيداً، إنه طيب وكلنا نجلّه ونحترمه، وضربه بالسوط سوف يُهيجه، ويثير سخطه علينا، وبذلك نضعه فى سلة واحدة مع الثوار، أو نعاقبه ونتركه حراً وحاقداً علينا.

بانديراس الطاغية كما تقول الجماهير: التيوس، يجب أن يكون حكيماً واسع الصدر.

فكروا فى هذا يا أصدقاء لأن قراركم يهمنى، اعقدوا اجتماعاً، وانظروا فى هذه الحالة وتخيروا لها حلاً طبقاً لما يراه ضميركم.

يتكئ بانديراس على القوس المطل على الحديقة مطموسة المعالم، وينظر - فى اتجاه السماء - من خلال منظار مكبر مكون من ثلاثة أجزاء.

-٦-

على الجانب الآخر يجلس أصدقاء الطاغية فى حلقة نقاشية، ويدونون توجيهاته بشأن ذلك الضمير المشكوك فيه والذى يشبه قطعة العظم التى يتقاذفها الكلاب بعدما ألقاها بانديراس الطاغية.
الليسنسيادو كاريّو يغمز بعينيه الثعلبيتين، ويتجه إلى حاجب المحكمة:

ياترى ما هى خطة القائد؟

اعـوّج وجـه الليـسـنسـيـادو ناشّـو فـيـجـيّـاس Nacho Veguíllas وجحظت عيناه باستهزاء وقلّد نشيد الضفدعة: كوا ، كوا.

– المايـور أبيليـودل قـاى (El Mayor Abilio del Valle) ذو اللحـيـة المحلوقة والذقن الناعمة يشير فى سخرية:

– لاتوجد القيثارة التى نعزف عليها.

– المايور أبيليودل قاى لابد من إزعاجه.

– الليسنسيادو كاريو لم يخرج عن الموضوع:

لابد من إدراك فكرة القائد وإبداء الرأى بالموافقة.

تظاهر ناشو فيجيّاس – فى نفاق واضح – وردد:

كوا ، كوا، إننى أسترشد بحسن تبصرك ياليسنسيادو.

همس المايور دل فاى:

لكى نبرهن على ذلك يجب أن نندمج كلنا فى الموضوع.

– هل اندمجت فى الموضوع يامايور سيتو؟

– ماذا تقصد بالليسنسيادو؟

– نكذّب العجوز أم نضرب الكورو نليتو دى لاجاندارا بالسوط على أنه فاسق؟

تراجع المايور أبيليول دل فاى نو اللحية المحلوقة والذقن الناعمة:

إن نصيحتى هى أن تقاطع دوميثيانو أولاً، ثم يضرب بالسوط تأديبا له بعد ذلك.

كان الليسنسيادو ناشّو ڤيجياس يعانى من الاعتلاء العاطفى لشخص أبله .

من المحتمل أن يقيم القائد بانديراس اعتباراً لعلاقات الصداقة التى بينه وبين دوميثيانو، وأن يلطف هذا الارتباط الروحى من قسوته فى التأديب.

– بسط الليسنسيادو كاريّو ذيل التعجرف قائلاً:

مايور سيتو إنك بمثابة الإسكندر فى حل المشكلات العويصة.

قطب فيجيّاس وجهه:

– إن تحطيم واجهة محل مثلجات لا يستوجب عقوبة الإعدام إننى أخلى مسؤوليتى ولا أريد أن أرى شبح دوميثيانو يتعقبنى، هل تعرف العمل الذى قدمه بيبى فاليروا Pepe Valero هذا المساء؟

– تقصد فرناندو الواعد Fernando إنها حادثة من تاريخ إسبانيا.

– لم تعد تحدث مثل تلك الحالات.

– بل يحدث كل يوم يا مايور سيتو.

– إننى لا أعرفها.

– تظل دائمًا فى طى الكتمان، لأن الذى يستدعى للمثول أمام القاضى ليس من الموصى عليهم.

– هذه نظرة حاقدة. لا أعتقد ذلك.

– إننى أعرف شخصًا ما يخسر دائمًا فى اللعب إذا لم تكن السيجارة مطفأة فى يده.

ابتسم الليسنسيادو كاريو – جاهدًا – وأجاب:

اسمحوا لى أن أستدعيهم للقضية، إننى أشك فى وجود اتهام آخر ضد الكورونيل دى لاجاندرا.

– لقد أصبح هذا الصديق واثقًا من نفسه قليلاً، ويعالج إفلاسه هذه الأيام عند الفصائل الثورية المناهضة للحكومة.

اختلطت بعد ذلك الأصوات فى همس:

– إن هذا ليس سرًا للتجسس عليه.

– إنه – مثلنا جميعًا – مدين للقائد بكثير من الأفضال.

– إننى أول من يعترف بهذا الفضل المقدس.

– ماعدا الحياة إننى لا أدفعها ثمنًا لدون سانتوس.

- لقد ردّ دوميثيانو على هذا الجميل بأسوأ صورة للجحود والنكران.

قدم لهم المايور دل فاي علبة سجائره وقال:

إذن نحن متفقون.

-٧-

يسرح الطاغية بنظره إلى السماء من خلال منظاره المكبر وصلعته تلمع فى ضوء القمر.

- خمس تواريخ لكى تحدث مرئية الطائرة التى أعلن عنها علماء الفلك الأوروبيون، إنه حدث تاريخى ، ونحن هنا ليست لدينا أخبار إلا من خلال العلماء الأجانب، من المحتمل أيضًا أنهم لا يعلمون شيئًا عن ثوراتنا فى الأوساط الفلكية.

إذن نحن متساوون، ومع ذلك فتأخرنا العلمى واضح ياسيد ليسنسيادو ، سوف نصدر قرارًا بتخصيص ميزانية مع تلسكوب من نوع جيد لمدرسة الفلك والملاحة.

- اختال ليسنسيادو ناشّو بسيقانه الهزيلة والطويلة فى إيقاع بطىء. أبرز صدره وبسط ذراعيه فى تعقل وقال:

- إن الاتجاه نحو الثقافة هو بناء وطن، كافأ الطاغية مودة الأبله (ناشو) بحركة فكاهية من صلعته وعاد يمسح السماء بمنظاره فى المساء، والأشجار تزينها رقصة الأضواء القمرية فى الحديقة مطموسة المعالم.

-٨-

اختـرقت المكان – في فـزع – سـيدة صلعـاء ترتدى قـمـيصًـا ... عيناها جبليّة كالحيـوان الوحشى .. خيم الصـمت على الجمـيع وتبـخر الحديث فـى الهواء .. كسـر بانديراس حدة الصمت عندمـا ضـرب الأرض بقدمه في غضب – وهو يسب ويلعن–، وهـم خائفون من العقاب .

احـتـجـزوا عند البـاب الخـادم والخـادمـة اللذين حـضـرا للإمسـاك بالسيدة التى ترتدى القميص ، صعق الطاغية :

– يسب ويلعن ، احـتفظ عندك بالفتـاة يا أبى .... احرسوها جيداً انزوى الاثنان (الخـادم والخادمة) عند مدخل البـاب وهمـا يتـهـامسان ، كانوا فوق الفتـحة العميقة للظلام ، كأشبـاح قاتمة ، غـامضـة المعالم ، اقتـرب بانديراس الطاغية من السـيدة التى ترتدى القـميص وهـى تنشب أظافرها فى شعرها المشعث ، مُختبأة فى أحد الأركان تعوى كالمجانين.

– مانوليتا Manolita ، ستطيعين الأوامر ، فقط اذهبى لغرفتك.

كـانت تلك الصلعـاء ذات القـمـيص ابنة بانديراس الطاغـيـة: شـابة نضـرة .. ذات لون خـمـرى جـمـيل ولكنـهـا فى عـداد الأطفـال ... تدفن داخلها تعبيراً صامتًا كأن قناعها الصنمى يخبئ قسوة مبهمة .. كانت تختبئ فى ظل الخـادم والخادمة المحـجوزين عند الباب. حـملوها تحت التهديد، واختفوا فى الظلام.

بانديراس يتجول فى الغرفة، ويحدث نفسه فى تلعثم: عقب ذلك قرّر وأشـار ملاحظًا كالشبح، وبدأ فى صـعود السلم: سيكون من الحكمـة أن نقبض على الأحمق صديقى هذا المساء، ما يوردل فاى.

الجزء الثالث

المساء الصاخب

الكتاب الأول

غرفة النوم الخضراء

-١-

المهرجانات الشعبية التى تقام للقديسين والأموات.

- ميدان الذخيرة "Plaza de Armas" ، مونتومبو "Montombo" منحدر الأمهات "Arquillo de Madres" هذه هى أماكن حانات لعب القمار والكوتشينة.

- الغوغاء يلتفون حول حلبة الثيران المضاءة عند مداخل عمارة النوّاب: مجموعة من الشباب المرحين يطوفون فى المساء على المنازل يغنون ، ويُطفئون المصابيح محاولين ترك قنديل شبح الثيران أكثر رونقًا، ينكسر الظلام في السماء العريضة فيظهر القمر مُفرطًا فى التأنق، وإناء زيت القنديل مملوء بدخان يكفي هذا العالم الجديد(*). هياكل من الألواح والأكواخ، والضرير يغنى على جيتاره وسط حلقة من المفلسين، وحول

(*) يقصد بهذا العالم الجديد جو المهرجانات المليء بالصخب .

الموائد يلتف مـجـمـوعـة من أبناء أوروبا الأمـريكيـين أصـحـاب المزارع بعباءاتهم يحملون خناجر مـحدّبه، وقبعات مكسيكية كبيرة، ومعهم رقع الشطرنج والزهر، وكثيرًا ما يغشّون فى اللعب.

السوقة يتجولون فى مجموعات نحاسية اللون، شعرهم مجعّد وأقدامهم حافية ، وعند سلالم الكنيسة يقف صانعو الخزف من الهنود يبيعون الجلاجل الفخارية، ومضارب الطبول ذات النقوش الدرامية الفاقعة، ولا يشتريها غير الصبية والنساء المبالغات فى التدين والمفرطات فى الشعوذة لدرجة التعصب (*).

ويذكرنا الرنين الحزين لهؤلاء الباعة بالراهب البيرونى (من بيرو) القائم على خدمة الكنيسة والأكواخ.

فى كل منعطف تتقافر الضحكات والألفاظ الخليعة. وعلى مداخل العمارات، وعند حانات الهنود الوضيعة يخترق صوت الجيتار آذان اللصوص المحنكة.

كان دييجو بيديرنال (Diego Pedernal) من ذرية طيبة ...

-II-

بيت دعارة الكوكارتشا (Cucaracha) يضيء فوانيسه الصغيرة الملونة فى سوق البلدة كما يضيء " ـتـ فى غرف النوم الخضراء. إن هذه المهرجانات تقام بواسطة اتحاد الشركات المستقلة.

(*) يقصد بشراء النساء هذه الأشياء تيمنًا وتبركًا وقربًا من الكنيسة.

تبدو لوبيتا الرومانية غارقة فى أحلام التنويم المغناطيسى تحت تأثير الدكتور بولاكو (Doctor Polaco) ترتدى ثوبًا داخليًا، وشعرها ينساب على كتفيها .. دكتور بولاكو يشجعها وهى تبدو مقهورة منهزمة وتصدر عنها تنهدات شهوانية عابرة.

– أو .. أو .. أو

– الآنسه ميديوم تجيب (La Senorita Medium)

– أو، مضيئة تصعد سلما كبيرًا جدًا .. لا أستطيع .. لقد اختفى من أمامى.

– استمرى حتى تعثرى عليه يا آنسة.

– دخل أحد الأبواب حيث يوجد حارس.

– هل تحدث معه؟

– نعم ، الآن لا أستطيع رؤيته ... لا أستطيع آى ! آى.

– حاولى تحديد مكانه يا آنسة ميديوم.

– لا أستطيع.

– إننى آمرك.

– آى.

– اجلسى، ماذا ترين حولك.

– آى ! النجوم الكبيرة تعدو فى السماء مثل الأقمار.

– هل ترك سطح الأرض؟

– لا أدرى.

– نعم تعلمين. أجيبى، أين مكانه؟

– إننى ميتة.

– سوف أحييك من جديد.

وضع الممثل (*) فصّ خاتمه فوق جبينها. وبعد ذلك مرر يديه ونفخ فوق جفونها.

– آى.

– سوف تستيقظين مسرورة بدون صداع.

كان يتحدث عن الروتين بهمس الراهب الذى يتلو قداسه اليومى فى وداعة وكانت صاحبة بيت الدعارة تصرخ فى الممر حيث يوجد الرقص الصاخب ومشروب العرقى والطبل والكولونيل دوميثيانو دى لاجاندرا يثير ضجة.

-III-

يرتدى الكولونيل قميصاً وبنطلوناً متشابهين فى اللون يظهر منهما بطنه المستدير ويبتسم كإله التبت ويجر فى قدميه شبشباً ... ويضبط أوتار القيثارة ويعزف أنغام صاخبة مرتدياً قبعة من القش، ويظهر تحتها

(*) يقصد بالممثل دكتور بولاكو ويشبّهه بالمحتال .

منديل أحمـر وقرط يتدلى من أذنيـه، عـيناه تغمزان ويداه على القيثارة بينما يتحدث - بمكر - مع العاهرات وهو يرتدى الملابس الداخلية.

- "كان قوى البنيـة، زنجيًا يرتدى سترة قصيرة غارقة فى العرق، وبنطلونًا منتفخا مشبوكًا بحزام وبروش كبير من الفضـة ... أثر فيه النبيذ فيصيح بضحكاته الصاخبة وبقوله المرهف المتثاقل المتطرف"

كان دميثيـانو الأعزب لايوجد أبدًا دون أربعة قناديل يركض وراء العبث وبيوت الدعارة، دائمًا يميل إلى الصخب والأفعال الفاضحة.

فى نهاية اللهو الصاخب نجد العاهرات يسترخين على الكراسى الهزّازة مما يثير غريزة الجنس، واحمرار السيجار يشير إلى أماكنهن.

يعزف الكولونيل آخر نغمةعلى قيثارته ويضرب الأوتار ويغنى فى خداع ومكر بعض الأغانى الشعبيـة التى تتداول فى تلك الآونة لديـيجو بدرنـالـس (Diego Bedernales) وأثناء عزفه تنتـج خيـالات وظـلال عن يده كما يصدر شعاع وزخارف نتيجة لمعان خاتمه الذهبى فى الضوء:

قاده الحراس إلى السجن .

فوق حصان أصلع ،

غدرًا فى مزارع بالديفيا (Valdivia) ،

من أجل غيره بنت ريفية أبلغوا عنه.

-١٧-

في صالة غرفة النوم الخضراء – هكذا يطلقون عليها – يُعزف على بيانو متهالك، وعلى عكس الغناء، بدت الصالة أكثر اتساعا وإضاءة ... الرياح تداعب الستائر المصنوعة من قماش الموسلين في هذا الجو كان بيلونس الضرير El ciego Velones يعزف على البيانو. وتصاحبه بالغناء شابة صغيرة منهوكة الجسد، حزينة، غير أنيقة، قبيحة المنظر من النزلاء.

بالقرب من سور البيت يضعون الموتى على جانب ويلعبون الورق على الجانب الآخر.

دميتان من الورق المقوى تشبهان الهجين: بلون الفخار العسلي لملامحها النقية ، يكسر بيلونس الضرير حدة الظلام بعزفه على البيانو قبيح المنظر الذي يبقى أياماً طويلة في جراب صوفي أسود خشن.

وعلى أنغام الأوتار الحزينة المتدلية من فتحة الجراب تغرد الصغيرة وهي متحجرة الوجه كما لو كانت طفلة ميتة، ويصدر لمعان كئيب عن الصندوق الصغير المعلق في صدرها لطلب التبرعات:

لا تقتلني أيها الوهم الغادر

إنها صورتك التي في خاطري

نار من ولع أصيل

كان هذا الصوت الحاد يخترق الآذان، هذا الصوت الحزين الصادر فى زرقة أضواء الصالة الخالية.

نار من ولع أصيل

بعض الأزواج يمرون أمام السور وهم يتراقصون عند المدخل، ويتمايلون مع الإيقاع ببطء وفتور، وخدودهم متلاصقة. والكولونيل يبدو ساخراً أكثر منه رث الهيئة والملابس ويصاحب صوت الصغيرة المرتجف بالعزف على الجيتار

لاتقتلنى أيها الوهم الغادر

تنفرج الستارة الملساء الخضراء فى إطار الغرفة وتنعكس صورتها على المرآة، يهتز السرير الفخم فى بيت الدعارة عدة مرات ويتمايل بغمزة من كهنوت، ولوبيتا تتنهد:

– لقد دقت ساعة التذكير بأرواح الموتى فى وعاء مُطهِّر الخطايا (*) وماذا عن الكابوس الذى يكاد يقسم رأسى نصفين؟

هدأ المخادع من روعها وقال:

– سوف يزول سريعاً

– عندما ينبت للسلاحف شَعْر، وعندما أعود وأوافق على أن تفقدنى صوابى.

(*) مطهر الخطايا : هو الوعاء الذى يوضع به مطهر لتطهير النفوس فى الكنيسة .

حوّل دكتور بولاكو دفة الحديث بمكر وخداع وهنأ ضيفته قائلاً:

- إنك تُعّدين حالة مهمة جداً من حالات التقمص وأؤكد لك أنك تستطيعين التعاقد مع مسرح برلين، ومن المحتمل أن تصبحى من أكثر الحالات شهرة ، هذه التجربة أصبحت مهمة جداً .

قطبت الضيفة جبينها، ومررت يدها - التى ينعكس منها ضوء الخواتم - فوق ورق البرقوق المنتشر على تسريحتها وأضافت.

- عندى صداع مزعج طوال الليل.

- فنجان من القهوة سيكون كافياً، ذوبى فيه قطرة من الأثير وستكونين قوية بعدها مباشرة لكى تستطيعى الدخول فى تجربة أخرى.

- واحدة لا أكثر

- لماذا لاتتشجعين وتحاولى التمثيل أمام الجمهور؟

تستطيعين بذكاء إذا ما سرت فى الاتجاه الصحيح أن تلعبى على أحد مسارح نيويورك وتنالى شهرة واسعة، وقبل عام واحد يمكنك أن تتقدمى للحصول على الدبلومات المتقدمة فى أوروبا.

- مع أن هذا شىء مبهر لما فيه من عائد مادى لكننى كنت على وشك الموت فى إحدى التجارب.

- هذه مخاطره غير واردة عندما يتم الأمر بطريقة علمية.

- إن الشقراء التى كنت تصاحبها فى الأوقات الماضية أذيع أنها ماتت على أحد المسارح.

– وأننى كنت مسجوناً هذا افتراء واضح فأنا أمامك.

– لقد حطمت أسوار السجن (يقصد أنه هرب من السجن) هل تعتقدين أننى بهذه القوة لأفعل ذلك؟.

– ألست ساحراً؟

– إن دراسة الظواهر المغناطيسية لايمكن وصفها بأنها سحر ، إنها علم يدرس فى الأكاديميات العلمية ، هل تشعرين الآن بزوال الصداع؟

– نعم يبدو ذلك.

فى هذه اللحظة كانت صاحبة بيت الدعارة تصرخ فى الممر.

– لوبيتا قدّمى التماساً.

– لاتندهشى إنه صديق.

– سأذهب لقد اكتشفت أننى أقل سعراً، أرعاها هذا المساء فقط من أجل تقوى القديسات طيبات القلب.

– لوبيتا تستطيعين تحقيق النجاح على خشبة المسرح .

– هذا يخيفنى كثيراً.

وبعد ذلك خرجت من الغرفة – وسط صخب النساء – تتبع دكتور بولاكو الساحر الأسود المكار إلى كوخ فى السوق، لقد كان له معجبات كثيرات فى بيت دعارة الكوكارتشا.

الكتاب الثانى

ضوء الأشباح

-١-

عند تهديده بعقوبة الجلدْ أمام الجمهور

نادوا عليه فخرج

خادع السياف بتملّق ومداعبة

عندما زيّنوه بالدبوس

وعلى الصليب الذى قدموه إليه علامة ماسونية

كان الشعر الرومانسى الشعبى ينساب على أنغام الجيتار، كانت قناديل الزيت تهمس فى غرفة النوم الخضراء، التى تزينها أضواء القناديل والشموع، وبينما العشاق مستلقون على الأسرّة، انتبه ثنائى الخطيئة العاريان تماماً.

الضيفة تردد:

هل كان خسيساً!؟

صاحب الدار يعقّب:

أكان زنديقًا؟

فى هذا المساء كان غناء السيّاف والمحكوم عليهم بالإعدام يبدو أكثر سوادا من تابوت الموتى.

- إنها حياة سعيدة وموت حزين.

- أعوذ بالله، لماذا كل هذا التشاؤم يافيجيّاس، هل أنت ممن يملكون البصيرة ويطلعون على الغيب، ويرون اللحظات الأخيرة؟ هل ستعترف بأنك كاثوليكى؟

- إننى أؤمن بالبعث.

- ناتشيتو، نحن خلقنا من روح وجسد، فأنا موجودة حيث ترانى بشحمى ولحمى وتحسّ رومانسيتى، بما إننى مفلسة جداً أكان يجب علىّ أن أدّخر لمثل هذا اليوم؟ لكن القروض التى تقرضها صاحبة الدار وفيرة، ناتشيتو، هل تعلم شخصاً يحيا دون أن يكون له أموات من أهله، نزلاء الدار الأيتام لا يعرفون، إن هذه الاحتفالية السنوية للموتى يجب أن تكون أكثر تحفظاً، إنها تثير فينا ذكريات مؤلمة، أنت مثلاً لو كنت رومانسياً هل تجد نفسك فى حيرة؟ ستدفع لى وترحل.

- وهل كنت سأرحل دون أن أدفع؟

– إننى أيضاً رومانسية، أقول لك ذلك لأننى مدينة لصاحبة الدار...

– هل تريدين أن ألغى لك الصّك؟

– وضّح من فضلك

– هل تريدين أن أدفع لك الدَّين؟

– لا تسخر منى يا ناتشيتو

– هل دَيْنك كبير؟

– ثلاثون مانفريدوس (Manfredos) (*) تنكر منها صاحبة الدار خمسة عشر كنت قد دفعتها لها من قبل مقابل زهور مايو. بما إنك ستدفع لى الدين، وسوف تسكننى أحد الفنادق ستجدنى جارية لك طوع أمرك.

– أعتذر، لن أصير تاجر رقيق.

ظلت الضيفة بعد ذلك مستغرقة فى تأمل ضوء خواتمها المقلدة .. تتذكر .. تتسال الصلوات من فمها الملطخ بالأصباغ .. تقول:

لقد دار هذا الحديث مرة قبل ذلك، وبنفس الطريقة، هل تتذكر يا فيجيّاس، نفس الكلمات ... نفس الصوت. فتاة الخطيئة منهمكة فى التفكير ونظرها مسلط على أحجار خواتمها.

(*) عملة قديمة كانت تستخدم فى إسبانيا .

أنغام الجيتار مسموعة ... الغناء وصخب الضحكات ... أصوات أحذية النساء... التصفيق وتشجيع نزلاء بيت الدعارة ... صراخ يعقبه نغمات سريعة وصوت غلق الأبواب، نهجان ووقع أقدام في (الصالة) ... وصوت تراسينا (la Tracena) .... إلخ

– القفل ! أين القفل؟ قريبًا سنودّعك بأغنية يا دوميثيانو. الأقفال. ألا تخجل من سلوكك الفاحش الذى انتشر بين الغرف.

تنهدت الضيفة الرومانسية المستغرقة دائمًا فى النظر إلى أساورها:

– دوميثيانو ، تعامل مع الحياة بما تستحق.

– والذكرى؟

أصدرت صيحة تعجب: آڤى ماريا "Ave Marià" (*)، ألم نتحدث فى الموضوع ذاته منذ لحظات؟ منذ متى يافيجّياس كانت تكهناتك للنهاية السيئة التى تنتظر الكولونيل دى لاجاندرا؟

صرخ فيجيّاس:

– لم أبُح بهذا السر أبدًا.

– إنى أشك فيك ، فالشيطان يرتسم على وجهك فى هذه اللحظة، ناتشيتو!

(*) تعنى طائر الفردوس .

- لوبيتا لا تدّعى الوحى والإلهام.

موسيقى الجتيار وضوضاء الأغانى المنبعثة من (الصالة) تزداد، وأحد الموجودين يغنى فلكلور سكّان السهول:

أخرج من ذراعك امرأتك

ليسنسيادو فيجيّاس .

لكى تشرب كأساً على نخب ذكرى أرواح الأموات.

يا الله، هذه الأصوات .. الكلمات كانت تغرّد كما تغرّد الآن عندما كنا مستلقين فى المخدع!

ناتشو فيجيّاس بين الرعب والمرح يضرب الفتاة على أردافها ضربة أحدثت صوتاً مسموعاً .

- لوبتيا، ماذا دهاك أيتها الرومانسية؟

- لا تشوّش أفكارى يا فيجيّاس.

- إنك تسخرين منى هذا المساء .

عاد الغناء والعزف مرة أخرى عند باب الغرفة بينما تنعكس الأضواء على الصلبان فيرتعش ظلها.

همست قاطنة بيت الدعارة:

- هل لك علاقة طيبة مع الكولونيل دى لاجاندرا؟ يافيجيّاس؟

- نحن صديقان حميمان.

- لماذا لا تخبره ليأخذ حذره؟

- ما الذى تعرفينه؟

- ألم نتحدث من قبل؟

- لا.

- هل تقسم على ذلك يا ناتشو؟

- أقسم

- بأننا لم نتحدث عن أى شىء؟ لقد احتفظت به لنفسك إذن.

جحظت عينا ناتشيتو فيجيّاس، وقفز على السجادة ساترًا عورته بيديه .

- لوبيتا هل تتعاملين مع الأرواح؟

- اصمت.

- أجيبى.

- إنك تشـــوش أفكارى أتقــول إننا لم نتـــحـــدث عن أى شىء بخصوص النهاية التى تنتظر الكولونيل دى لاجاندرا؟

طرق على الباب .. الضوضاء تعود من جديد .. عزف وغناء على الجيتار.

انهض أيها الصديق

ارتد البنطلون

لنلعب القمار

فتح الكولونيل الباب عندما ركضه بقدمه، وخدش الجيتار المثبت حول بطنه الكبير ... قفز ناتشو فيجيّاس مازحًا فى مرح أحمق مقلدا صوت الضفدع.

أضواء المهرجان الشعبى تزين بيت الدعارة الذى تقام فيه حفلة لألعاب (الكوتشينة)، كما يمتلئ بمشروب العرقى والفطائر المقلية. يتضاءل الاهتمام بهذه الحفلة قرب انتهائها، فيفتر الرهان على اللعب ويتناقص فوق منضدة القمار، التى ينعكس عليها ضوء القنديل، وعندما لاحظت الخادمة تراسينا "la Tracena" تضاؤل النقود أسرعت فى إحضار العرقى لتحمّس اللعب.

قفز ناتشو فيجيّاس فى انتعاش يمزح مع اللاعبين وهو يرتدى نصف ملابسه: الصديرى مفتوح ... حمّالة البنطلون متدلية بينما يأتى صوت الموسيقى الكلاسيك التى يروق لبانديراس سماعها حتى يرفع معنوياته المنهزمة.

ناتشيتو يتقبل التهانى بحرارة وتنساب من عينيه دموع الفنان المتجول.

أما دكتور بولاكو فيبدو غيوراً من هذه الانتصارات التى أحرزها ناتشو وهو يحاضر وسط لفيف من الفتيات ملوحًا بكتاب لعب الورق المفتوح على هيئة مروحة.

بيوت الدعارة لاتزال يقظة لكن الكؤوس وضعت، والسهر أوشك على الانتهاء بينما الفتاة الكئيبة تنادى فى همس دافئ، وهى تمر حاملة صينية التبرعات، تشد التكشيرة الحزنية .. شاحبة ذليلة ... تبدو قبيحة المنظر بقميصها الموسلين الأزرق منزوع الأكمام الذى يبدو مائلاً إلى السواد ويلمع فى عينيها بريق الجوع بوضوح. ناتشيتو يتبعها بعينيه وهو جالس القرفصاء ويصيح فى سرور مقلداً صوت الضفدع:

- كوا كوا.

-٢-

مع أضواء الفجر يدلف الثنائى الكئيب: الفتاة الشاحبة والضرير إلى الأركـيّـودى لاس مـادرس بورتوجيسس(*) "El Arquillo de las Madres Portoguesas" كانت أضواء المهرجان قد أطفئت، وما تزال أرجوحة، الخيل تدور آخر دورة لها مع شهقة القناديل المحتضرة.

الضرير الفاسق والفتاة الشاحبة متجهما الوجه، ثابتان بين وقع الخطوات الأربع.

- لم تمر علىّ أوقات أكثر ألما ودناءة من هذه الأوقات

(*) اسم أحد الميادين

قالت الفتاة ذلك بحياء وملامح جامدة

- حيث توجد مهرجانات أخرى.

هزّ الفاسق الضرير رأسه وقال فى تدليل:

- كوكارتشيتا Cucarachita .

- لا تجددى أفعال النساء، بهذه الطريقة لن تستقرى فى عمل يالها من إمرأة تلك البنمية ، هل هى ذات شخصية قوية؟

- ليست لديها شخصية، إنها معتوهة.

- ماذا يعنى ذلك

- إنها طريقة فتاة الملاجوينيا La Malagüeña (*). وهذا معناه خلل؟

- لا تأخذى بكلام هؤلاء النسوة.

وجهت الفتاة الشاحبة عينيها الحزينتين إلى نجمة فى السماء وقالت:

- أشعر أننى مهدّدة

- إلا إذا أحببت الأولى، ما حققته هذا المساء يدل على أنك فنانة حقيقية دون مساندة الوالد، أعتقد أنه من الممكن أن تحققى نجاحًا فى

(*) نسبة إلى مدينة مالقا بجنوب إسبانيا .

الحفلات الموسيقية: "لاتقتلنى أيها الوهم الزائف"، هناك تتفوقين بشكل واضح يابنيتى، إنه لمن الضرورى أن تغنى سريعًا على أحد المسارح وتتخلصى من حالة عدم الاستقرار، إننى أستطيع قيادة أوركسترا.

– وأنت ضرير؟

– يمكننى إجراء عملية جراحية للكتاراكتا التى أفقدتنى البصر.

– آه يا عجوزى، ياله من حلم مزعج.

– لم لا نخرج مرة من هذا الكابوس؟

– من يدرى.

– أتشكين فى ذلك.

– لم أقل شيئًا .

– إنك لا تعرفين حياة أخرى لذلك تقنعين بهذه الحياة.

– أنت أيضاً لا تعرف يا والدى .

– لقد عرفتها عند الآخرين، وأعى ما سنكون عليه لو حققناها .

– أراهن أنى لو رأيت هذه الحياة سأحقد على أصحابها ولكنى لن أحسدهم.

– إذن علام تحقدين؟

– أصير طائراً يغرّد على غصن شجرة.

– إنك لا تدركين ما تقولين.

– الآن قد وصلنا.

عند المدخل ينام الهندى مع زوجته ويتدثران بغطاء واحد، مرت الفتاة والضرير أمامهما بحذر، بينما تدق جلاجل الراهبات التذكر بالاحتفال بأرواح الموتى.

-٣-

لعب النبيذ برأس ناتشو فيجيّاس فأفرط فى المغازلة بعيون دامعة، ويغنى فى غرفة النوم الخضراء واضعًا رأسه بين أحضان المومس:

– أعطنى حبك ياسوسنة غادقة فى الوحل أفاقت من حلمها .

– وتقول إنك لست رومانسيًا أيها الغبى .

– يا ملاك الحب الصافى، إن الحب يلهمنى، سأنتشلك من الجحيم، وأعتق روحك العذراء، تراسينا ... تراسينا.

– لا تُثر ضوضاء يا ناتشيتو حتى لا تحنق عليك صاحبة الدار.

تراسينا تمرر خواتمها على فمها المملوء بالنبيذ بينما ينهض ناتشيتو قائلاً:

– سأدفع دَيْنَك يا تراسينا لهذه الحقيرة التى انزلقت معها فى وحل تجارة الفخّار.

- اخرس ، لا تخطئ.

عاد ناتشيتو إلى فتاة الدعارة، وأنفه المرتشحة باكية:

- إهدئى، ياعطشى المثالى، إنك ملاك مكسور الجناح، ضعى يديك على جبينى لتطفئ رأسى المشتعل.

- متى سمعت هذه الموسيقى من قبل؟ لقد سمعت هذه الكلمات نفسها قبل ذلك يا ناتشيتو.

قال ناتشيتو وهو مغتاظ يشعر بالغيرة:

- ممن، أحد التيوس.

- أو لم يكن قبل .... هذا المساء يخيل إلى أنه قد حدث كل ما حدث. إنهن القديسات ... إنه وهم، هذا الذى حدث قبل أن يحدث.

- إننى أناديك فى عزلة أحلامى، نظراتك المغناطيسية تخترقنى. قبّلينى يا امرأة

- ناتشو، لا تكن حقيراً واتركنى أتلو صلوات على أرواح الموتى.

- اهتزت الزينات المقامة للتذكير بأرواح الموتى: خفقان إحدى نوافذ الحجرة الخضراء من مفصلاته:

فتح الكولونيل دى لاجاندرا الباب ودخل دون احتفال ، تقهقر فيجيّاس بأنفه المرتشحة ، وانكسرت عيناه ، كما لو كان إنساناً ذليلاً:

– دوميثيانو، لا تدّنس مناجاة روحين من العشاق!

– ليسنسيادو، أنصحك أن تستنشق النشادر(*)، انظر إلىّ، فأنا بعيد عن هذا الحب الهستيرى، وماذا تفعل دون تعميد الحب بماء جواد لوبى المباركة.

عندما وطأ الكولونيل دى لاجاندرا أرض الحجرة، أحدث هزة فى الأضواء المقامة من أجل الأرواح.

دخل فى تبجح وألقى آخر جرعة من الكأس المفضض على القربان الموجود بالحجرة بإيقاع سيمفونى وإلحادى: تحول واضح فى ملامح الكولونيل وهيئته: كان يرتدى سروالاً واضعًا قدميه فى بوت على طريقة ركوب الخيل، مثبتًا الحزام والخنجر على جانبيه، وذقنه لامعة حديثة الحلاقة، وخصلة الشعر الأمامية ممشّطة ولامعة:

– (توجه نحو فيجيّاس)، أخى أعرنى عشرين سوليس(**) (Soles) سأرسم لك اللعبة تمامًا، وغدًا سيضاعف المبلغ.

– قبّلينى ياجميلة المحيا، قبلينى أيتها الوقحة البريئة، أعطينى قبلة عذرية، لقد مشيت وحدى فى صحراء الحياة، وظهرت لى بعد ذلك واحة الحب.

(*) ويقصد بذلك أن يفيق من الحالة الرومانسية التى يعيشها، (أى حالة الحب الواهم الذى يعتريه)

(**) أى عشرون قشرًا (هى عملة متداولة قديمًا فقط فى بوليفيا وبيرو وفنزويلا)

كان ناتشيتو يبكى وهو يتحدث فأعطته الفتاة قبلة تقليدية فاترة للتهدئة وردّدت:

- إنك حقير.

- غداً؟

أصابت هذه الكلمة ناتشيتو باندهاش بينما يأتى رنين الأجراس من بعيد، والأنوار ترتعش كما لو كانت مذعورة.

تظهر العاهرة سمراء اللون فى قميص وردى، وتُصلّب على صدرها بيديها بين الستائر بينما تتحدث حول موضوع الكولونيل دلا جاندرا:

- غداً، وإن لم يكن ذلك فعندما أدفن .

انفجر ناتشيتو منتحباً .

- دائما يأتينا الموت، دوميثيانو يسترجع وعيه: النقود لن تفيدك فى شىء .

تخرج الضيفة من بين الستائر ... تشدّ (الكورسيه) على وسطها ... صدرها عار وبارز ... جواربها متدلية ورابطتها الوردية إلى أعلى:

- دوميثيانو، كن على حذر، هذا الحقير لم يحدثك ولكنه يعلم أنك من المسجلين فى قائمة بانديراس للانتقام... سيقبض عليك، ثبّت الكولونيل نظره على فيجيّاس، وفيجيّاس يصيح مذعوراً:

– أيتـهـا الملاك المشـؤوم، أيتـهـا الثـعـبـان المغناطيـسـى ذو القبـلات المخدرة، لقد ارتشفت أفكارى.

بقـفـزة واحـدة، كـان الكولونيل عند البـاب يتلفت وينصت ... أغلق مزلاج الباب ... وقف متأهبًا شاهرًا سيفه وقال:

– أحضر حوض الغسيل التى تدعى لوبيا(*) هيا بنا لنضع مشروب النبيذ والليمون والسكر لهذا الطبيب التافه .

تدخلت الضيفة ذات (الكورسيه):

تعقل دوميثيانو قبل أن تلمسه افعل معى ماتشاء. ماذا أنت فاعل؟

ماذا تفعل أيها المنحرف؟ أنت فى خطر، فخذ حذرك.

شد الكولونيل شاربه بتمهل وخبث:

– من الذى يبيعنى يافيجيّاس؟ ما الذى يهددنى؟ إذا لم تفصح الآن سأبعثك إلى الآخرة أفصح.

فـيـجـيّـاس يرتدى سرواله ويقف ملتصـقًـا بالحـائط ... منحنيًـا ... حزينًا ... يداه ترتعشان ... ينخرط فى البكاء مذهولاً:

– أخى إن العـجـوز التى كـانت فى خـدمـة الجـيـش، والتى تملك منضدة صغيرة عند لعب الضفدع تتهمك . نعم تتهمك.

(*) يسخر منها لفرط سمنتها .

– بنت العاهرة .

– لقد أفقدتك العادة الرديئة عمل أخشاب سميكة، حتى صرت سكيراً

– هذه الكتلة من الجلد المكرمش(*) تستغلنى من أجل برميل دوّار.

– إن نينو سانتوس (بانديراس) صافحها ووعدها بجلدك.

استعجلته الضيفة قائلة:

– لا تضع الوقت، دوميثيانو.

– اخرسى لوبيتا، هذا الصديق الحميم سيخبرنى بتهمتى.

بكى فيجيّاس بحرقة وقال:

– دوميثيانو لا تنزعج إنك لست أجنبياً.

–٤–

شهر الكولونيل سيفه فوق الرؤوس، الضيفة التى فى قميصها الورد تضغط على عينيها، وذراعاها على هيئة صليب ... فيجيّاس يلتصق بالحائط مرتعداً خلف الستائر وسرواله فى يده، انتزعه الكولونيل وقال:

– لقد أهاننى، ماتهمتى؟

انكمش ناتشيتو بأنفه المرتشحة فى خوف.

(*) لهجة احتقار للعجوز .

– لاتسـألنى أكـثـر من ذلك ياأخى، إن كل كلمـة تقـولهـا بمثـابة رصاصـة تصوبها نحوى ... إنك تدفـعنى للانتحار، إن عقوبة الذنب الذى لم ترتكبه إن لم تنفذ عليك ستنفذ علىّ أنا.

– تكلم ، ما تهمتى، ومن الذى حرّض علىّ؟

جلست العاهرة أمام أضواء مهرجان الموتى راكعة وقالت:

– خـذ حـذرك إن لم تـهـرب الآن سـيـأتى المايور دل الفـاى ويلقى القبض عليك هنا فى هذا المكان

أفاق ناتشيتو من رعبه:

– أيتها المرأة المشؤومة.

كان متكوراً وقميصه يغطيه حتى قدميه بينما يضم ذراعيه فوق سرّته، والكولونيل يزأر، وهو يعلّق فيجيّاس من شعره:

– هل المايور دل الفاى لديه أوامر بالقبض علىّ؟ أجب

فيجيّاس يخرج لسانه

– إنى أنتحر.

الكتاب الثالث

مسرح عرائس درامي

-١-

في اللحظة التي طرقت قدما الكولونيل الشارع حضر للقبض عليه المايور دل الفاي بما يشبه موقفًا تمثيليًا في إحدى المسرحيات الرديئة. وشاهد الكولونيل إحدى الدوريات على طريق الأركيودي لوس بورتوجيسس El Arquillo de los Portugueses شعر الكولونيل بالخطر، وانبطح أرضًا زاحفًا على يديه ورجليه عبر الشارع، وعلى باب نصف مغلق يجلس رجل هندي نصف عار وعلى كتفيه وشاح يغطي صدره، دخل الكولونيل وصعد على السلم منحنيًا مثل فارس فوق حصانه وفيجيّاس يتبعه بإلحاح إلا أن وجهه يصطدم بقدم الكولونيل ثم السلم ... وصل الكولونيل الطابق العلوي ... ضغط زر الجرس ... فتحت له خادمة في يدها مكنسة ... ركل المكنسة بقدميه ... في رعب تنظر الخادمة إلى الهاربين وهما أمامها في الصالة ثم تنفجر في البكاء والصراخ، لكن شعاع الخنجر اللامع يلجم لسانها.

-٢-

فى نهاية الصالة حجرة لطالب شاب شاحب الوجه ... ينحنى على المائدة ويقرأ أحد الكتب ... النافذة مفتوحة على مصراعيها والمصباح ينبعث منه دخان. سأله الكولونيل سريعًا:

- أين الشارع؟

يلتفت الطالب إلى النافذة باندهاش درامى ليجد الكولونيل يقفز دون انتظار الإجابة وهو يصرخ بطريقة فكاهية.

- تحرك ياجبان

ناتشيتو مذعورًا:

- أمك

- غبى

يقذف الكولونيل بنفسه خارج النافذة ... يطير فى الهواء وهو يصرخ فيقع فوق أحد الأسوار الصغيرة فيكسر جزءًا منه ... يهرب ماشيًا على أربع.

أما ناتشيتو الذى يطل - فى جبن - بذقنه اللامعة وجبينه المقطب:

- لابد أن يصبح الإنسان قطًا.

-٣-

وسط عزف بيت الدعارة يلمع سيف المايور دل الفاى الطويل ... يتبعه بعض الجنود ... يدخل ويخرج وسيوف الجنود تحدث صوتًا .. أمام المايور تقف صاحبة المنزل بأردافها المكتنزة المهتزة، وحذائها المنخفض، والوردة المعلقة فى أذنها، وتأخذ فى إطراء المايور وتقول:

- سيدى أنا من جاديث (Gadiz) (*) ولا أخشى شيئًا، أكلمك بصدق كما لو كنت أخاطب ملك إسبانيا: إن الكولونيل دى لاجاندرا لم يقل شيئًا، فلقد رأيناه ولم يخبرنا بوجهته، إن لم تكونوا تعثرتم فيه فتلك هى المعجزة، إنه لم يخط غير ثلاث خطوات عندما كان الجنود عند الباب.

- ألم يخبركم بوجهته؟

- لقد ذهب كالبرق، إن لم يره بقال أو صاحب حانة فابحثوا عنه فى المخادع.

نظر المايور دل الفاى حول قائدة اللصوص صاحبة بيت الدعارة واستدعى الجاويش:

- سنفتش المنزل وإذا اكتشفنا أنك المسؤولة عن تهريبه سنعاقبك بمائة جلدة.

(*) Gádiz إحدى المدن الإسبانية.

- أيها الفتى لن تجد شيئًا.

تحرك صاحبة بيت الدعارة المفاتيح فى يدها محدثة صوتًا، والمايور دل الفاى يعترض على ذلك ويتحسس ذقنه المحلوق، وبتأن وحرص، يدخل غرفة النوم الخضراء:

عمّ الفزع والصراخ المكان ... الجرى فى الظلام ... مناقشة الموضوعات الجنسية. هذه هى حياة بيت الدعارة. فى ضوء الفجر الخافت تظهر لوبيتا بخدودها الملطخة بالأصباغ، ودخان السجائر المنبعث من فمها، وتحدث صوتًا بكعب حذائها العال وهى تتوجه نحو المايور:

- أبيليو، إنك تعجبنى

- آمرك بالابتعاد عن هنا

- هل تعتقد أن دوميثيانو يختبئ هنا، لقد تأخرت قليلاً لكى تحبسه فى المصيدة، الآن أطلق عليه كلابك.

-٤-

مازال ناتشيتو فيجيّاس يقف مندهشًا أمام نافذة حجرة الطالب. يبدو أن الوقت قد أخّر كل الأشياء، تأجيلات سخيفة للوقت .. ذهول .. وضوح، أمور لا تصدق تحت تأثير إدمان الحشيش.

الطـالب خلف منضـدته بين كتبـه .. منكوش الشـعـر .. مـصـاب بالأرق .. يقف مذهولاً، أما ناتشيتو فيقف أمامه فاغراً فاه، ويداه على أذنيه، ويقول:

– لقد هلكت

وفى كل مرة يبدو الطالب أكثر رعباً.

– هل سيادتك هارب من سانتا مونيكا(*)

يدعك ناتشيتو عينيه، ويصيح كمن قسّه عفريت:

– أنا أيهـا الصـديق لم أهرب من شيء .. المذنب هو الذى يـهـرب، إننى مـجـرد رفـيق، وإذا سـألتنى سـيـادتك لماذا دخلت هـنا، سيكون من الصـعب علىّ إجابتك. من المحتمل أن أعرف أين أنا الآن، لقد صـعدت إلى هنا باندفاع مـحـموم وبإحـساس الخطر تجـاه الإنسان الذى رأيته يهرب من النافذة، صدقنى هذا وضـع لا أفهمه، إنه يشبه المغناطيسية.

يلتـفت الطالب حـائراً دون أن يملك تفـسـيـراً لـهـذا الكابوس فلم يشاهد غير وجه يلمع وهو يهرب من تلك النافذة المظلمة والمفتوحة طوال الليل، وفى انتظار اكتمال مشاهد هذه المسرحية الهزلية السخيفة ينتحب ناتشيتو فى جبن وإسراف عاطفي:

– إننى هنا أيها الشـاب النبيل، اعطنى فقط جرعة مـاء تهدئ من روعى فأنا فى كابوس

(*) سانتا مونيكا Santa Monica سجن مشهور.

رجل شجاع يعترض التفتيش... ضجيج أصوات وأسلحة يأتى من الصالة .. جنود يحملون مسدسات . وجه المايور دل الفاى يغطى الباب، ومن خلفه جنود وبنادق:

أرفعوا أيديكم.

-٥-

على الجانب الآخر تقف امرأة عملاقة على الباب .. ترتدى "جونلة" داخلية، ومنديلاً نسائيًا مثلثًا.. شعرها مجعّد كستنائى ضارب إلى السواد ... ذات عيون وحواجب داكنة جداً لدرجة أن وجهها قاتم جداً كما لو كان مكسواً بالسخام ... وجه قوى لعجوز تشبه القديسات ... مفتولة العضلات ... على ذراعيها نقوش كثيرة إنها: دونيا روسيتا بينتادو .. دخلت بعاصفة من الأصوات الغاضبة، قالت فى ضيق: ماذا تفعلون فى منزلى؟

- هل تفكرون فى أخذ الفتى؟ من الذى أمر بذلك؟ خذونى أنا، هل هذا هو القانون؟

قال المايور دل الفاى:

- لا تعتقدى أننى أمزح يادونا روستيا، لابد أن يأتى الفتى معنا لأخذ أقواله، لا تخشى شيئًا، هذا ما نسوجيه الظروف.

نظر الفتى إلى أمه بوجه عبوس، وأوصاها بالصمت .. أسرعت نحوه ترتجف وتعانقه.. ضمّته بحزن، وأقبل عليها بثبات .

– عجوزى لا تنزعجى والزمى الصمت، لن تحققى شيئًا بهذه الضجة.

– إنك تقتلنى أيها الأسود الغينى (من غينيا)

– لن يصيبنى شر.

أسرعت المرأة العملاقة فى ذهول بين الشك والإحساس بالخطر – نحو المايور دل الفاى وقالت:

– مايور سيتو دل الفاى ماذا يحدث؟

قاطعها الصبى .

– دخل أحد الأشخاص المطاردين ، وهرب من النافذة.

– وماذا قلت له؟

– لم يعطنى وقتًا لأرى ملامح وجهه.

تدخل المايور دل الفاى

– بقولك هذا ينتهى كل شىء عند هذا الحد.

لفت ذراعيها العملاقتين وقالت:

– وهل تعرفون من هرب؟

قال ناتشيتو وهو يعانى تأثير الإدمان:

– الكولونيل دى لاجاندرا .

ناتشيتو لامع الوجه من كثرة البكاء ... محنى بين جنديين ... أنفاسه مسموعه.. العرق يتصبب من أنفه، نظرت إليه دونا روسيتا فى ذهول وقالت:

- هل تبكى أيها الصديق؟

- لقد هلكت.

يشهر المايور دل الفاى سيفه، وتسرع الفصيلة التى معه، وتُخرِج - من بين الحشد - الطالب وناتشيتو.

-٦-

على الجانب الآخر فتيات الدار يقفن خلف الشبابيك بشعورهن الغجرية وحول أعينهن هالة سوداء من السهر، ويرغبن فى التعرف على المسجونين مثل أشباح خائفة فى ضوء الفجر الرمادى ... خادم الكنيسة يظهر بين قوس الجلاجل ... نوبة الاستيقاظ فى ثكنات الجيش المجاورة ... الشمس تعانق البحر والهنود يباشرون أعمالهم، يدخلون المدينة وهم يقودون قوافل الدواب التى تحمل المسروقات وفواكه المزارع الجبلية ... قطيع الأغنام يثير ضباب الفجر الكثيف.

يستيقظ الميناء على أنغام الأجراس البوهيمية وبعد ذلك تختفى الدورية ومعها السجينات متجهة نحو الأركيو دى لوس بورتوجيسس.

من ناحية أخرى تأمر صاحبة بيت الدعارة - بصوت عال - نزيلات الدار فيأخذن أقفاص الكلاب الى الطابق العلوى، وهى تباشر عملها وتستبدل أغطية الأسرة، وعلى شعرها تضع وردة حمراء.

لوبيتا الرومانسية فى قميصها الوردى تجلس، وتأخذ فى التسبيح أمام الضوء المنعكس من الأيقونات فى غرفة النوم الخضراء.

همس صاحب المنزل وهو يسحب إحدى المراتب: مازال الفزع يتملكنى.

الجزء الرابع

تعويذة الساحر

الكتاب الأول

الهروب

-١-

فجأة، تذكر الكولونيل دوميثيانو دى لاجاندرا أحد الهنود ، كان الكولونيل قد أسدى إليه معروفًا .. أبطأ الخطى عند الأركيو دى مادرس El Arquillo de Madres حتى لا يثير الشك ثم خرج مُتجها نحو ريف الكامبودل البيروليرو (El perulero) .

-٢-

ثكاريس سان خوسيه (Zacarias San Jose) ويشتهر بثكاريس الكروثادو El cruzado بسبب جرح عميق فى وجهه، يمتلك كوخًا صغيرًا وسط بركة مياه مليئة بالبوص بين كثبان رملية فى مكان يعرف بريف البيروليرو.

الغربان الكبيرة تنعق ... نسور مختلفة فى سهول جبال الإند ونسور أخرى فى قلب المكسيك ... الأحصنة تقضم الأعشاب على طول المستنقع.

كان ثكاريس يعمل آنية من الفخار ويزخرفها على شكل حيوانات وهمية قبيحة المنظر بينما يسبح فضاء البوص فى ضباب الصباح، والخنازير تأتى الترعة خلف الكوخ وثكاريس يجلس فوق مؤخرة الحافر، قبعته فوق رأسه ويلبس قميصًا طويلاً، يزين الآنية التى تشبه الفنجان ... يضايقه الذباب ... ينظر من آن لآخر إلى النباتات المتسلقة في المكان حيث يوجد حصان ميت.

كان الكروثادو يشعر دائمًا بريبة لأن النسر المعلق فى سقف الكوخ مرفرفًا بجناحيه الأسودين يرمز لفأل شؤم ساعد على إحساسه بذلك لون الطلاء الأصفر مع لون النسر الأسود وهو ما يرمز إلى السجن أو الموت .... تذكر فجأة وهو جالس أن زوجته عندما أطفات الأنوار بالأمس وجدت سحلية تحت قاعدة الرحى التى تطحن عليها الذرة لعمل العجة، وبينما يزخرف آنيته بعدسة صغيرة كانت تموج داخله تناقضات من المشاعر والأفكار.

-٣-

فى وسط الكوخ تجلس زوجته ترضع طفلها ... تُدخل ثديها بعد إرضاع الطفل ثم تبعده عنها بينما هو يصرخ ويتمرغ فى التراب فتأتى لتحمله وتضربه وتمسك أذنه وتلقى به خارج الكوخ، والطفل مندهش.

تجلس بجوار زوجها وتراقب خطوط الفرشاة التى يزين بها آنية الفخار:

- ثكاريس إنك تصمت كثيراً.

- اختصرى.

- ليس معى قرش واحد.

- اليوم سأحرق الفخار.

- وحتى تنتهى من ذلك، ماذا أفعل؟

ابتسم لها ثكاريس مازحًا:

- لا تزعجينى، إنهم ينصحون بالصوم الكبير.

وتعلقت عين ثكاريس بالفرشاة لأنه اكتشف أن الكولونيل دى لاجاندرا كان واقفًا عند الباب واضعًا إصبعه بين شفتيه.

-٤-

اقترب ثكاريس خفيف الظل من الكولونيل، وبجوار صبّارة كبيرة تحدثا باهتمام.

- ثكاريس هل تساعدنى للخروج من مأزق؟

- بكل تأكيد لن أتأخر يا سيدى.

- رأسى تشتعل مثل البارود. لقد حقد علىّ صديقى بانديراس فهل تساعدنى؟

- فى التو واللحظة.

- كيف أحصل على حصان للهروب.

- بثلاث طرق : الشراء أو الاستعارة من صديق، أو السرقة .

- لا نشترى بغير نقود، ونفتقد الصديق، وأين المهرة الرومية التى نسرقها؛ إن التيوس يتبعوننى، أفضل السبل أن أركب قاربًا صغيراً ومعى مهرة سوداء .

- إذن لا تأجيل سيدى الرئيس، فالقارب عندى فى المستنقع.

- يجب أن أنبهك لخطورة الأمر، فابحث عن أى مخرج يا ثكاريس.

- سأفعل ياسيدى.

-٥-

الكلب يتشمم الورد البرى الكثيف ... الطفل يلهو تحت سقف النخيل ويقف بجوار أمه طالبًا ثديها ... أشار ثكاريس إلى زوجته بأن تأتى:

- سأرحل مع السيد الكولونيل

كتمت الزوجة أنفاسها وبالكاد وقالت:

- هل هو التزام صمتى؟

- لقد اكتشفت اللعبة.

– تذكر أنك لم تترك لى مليمًا واحدًا.

– ماذا أفعل يازوجتى، خذى أى شىء وارهنيه.

– لم يعد غير بطانية السرير الصغير.

– ارهنى الساعة.

– لن يعطونى بوليفانو(*) واحدًا لأن زجاجها مكسور.

خلع الكروثادو النيكل المؤكسد من السلسلة التى يعلقها فى صدره وخاطبه الكولونيل:

– هل أنت مفلس لهذه الدرجة.

تنهدت الزوجة قائلة:

– كل شىء خطفه القمار الأعمى من هذا الرجل ياسيدى.

– نعم أنت على حق هذه الساعة لا تساوى شيئًا.

بضحكة مازحة قذف الكولونيل الساعة إلى المستنقع بين الخنازير:

– يالك من صديق.

نظرت الزوجة فى استكانة، ... خلع الكولونيل خاتمًا من إصبعه وقال:

(*) بوليفانو Bolivano عملة بوليفية قديمة قليلة القيمة.

- تستطعين معالجة حالة الفلس بهذا.

انحنت الزوجة وقبّلت يدى الكولونيل الصديق.

-٦-

دخل ثكاريس الكوخ ليرتدى البنطلون ويتقلد حزام اللص حاملاً سيفه .. تبعته زوجته وقالت:

- من الحمق أن يكون هذا الخاتم غير ثمين.

- بلاهة وأكثر.

تستعرض الزوجة يدها أمام زوجها وقد زينت إصبعها بالخاتم الذى يبرق ذهبه ونحاسه:

- ياله من بريق، أستطيع الذهاب إلى أحد الراهنين ليقدر قيمته.

- لو ذهبت إلى واحد فقط من المحتمل أن يحتال عليك.

- سأسرع إلى عدة مثمنين . لن أتنازل عن مائة بيسو Peso (*)

- من وجهة نظرك هو يساوى خمسمائة ومن الممكن ألا يساوى غير تالكو واحد Talco (**)

(*) بيسو Peso عملة إسبانية تعادل الدولار.

(**) تالكو Talco عملة قديمة قليلة القيمة.

- هل تنتظرنى حتى أذهب وأعود.

- وإذا أبدلوه بشىء أقل قيمة

- ياخيبة الأمل.

-٧-

وقف الكولونيل أمام الكوخ يتأمل ريف البيروليرو:

- لا تتأخر يا صديقى.

- خرج الهندى يحمل الطفل بين ذراعيه، وبجواره زوجته التى تتنهد وتقول:

- متى ستعود؟

- مَن يدرى! أشعلى شمعة على مكان عذراء الجوادا لوبى(*)

- سأشعل شمعتين.

- حسنًا.

قبَّل الطفل الذى لعب فى شارب أبيه ثم وضعه بين ذراعى أمه.

(*) (يقصد هنا إشعال شمعة فى معبد عذراء الجوادا لوبى الموجود بإحدى مدن المكسيك).

-٨-

رحل ثكاريس والكولونيل بجوار الترعة الكبيرة حتى عزبة الجندى El pazo del Soldado قـذف ثكاريس بمجـداف فى الماء، ضـاربًا فى الوحل والنبـاتات المختبئـة تحت الماء، والزهور المتسلقـة العـالقـة فـوق الترعة.

الكتاب الثانى

الخاتم المطعم بالذهب والنحاس

- ١ -

أمام واجهة محل كينيتين بريدا (Quintin Pereda) للرهونات تقف زوجة ثكاريس. هذه الواجهة الزجاجية الملأى بالأقراط والكرافتات، وأطقم "الزراير" كما تزينها المسدسات والخناجر المعلقة على قماش الدانتيل ذى الألوان الفاقعة.

كانت الزوجة تحمل رضيعها على ظهرها معلقًا فى ثيابها كما لو كان فى سريره الهندى ... تمسح عرقها بيدها ... تسوى شعرها الملبد ثم تدخل فى أدب وخضوع.

- أهلاً بك ياسيدى، لقد جئت لتربح هذه الجائزة الثمينة التى تستحقها لأنك إنسان عاقل وصديق حميم. انظر ، يالها من جوهرة مميزة.

فى تلك الأثناء كانت تحرك يدها السمراء فوق المنضدة دون أن تخلع الخاتم من إصبعها.

أغلق كـينيـتـين – ذلك الإسـبـاني الشـريف – الجـريدة التى كـان يقرأها، ووضـع النظارة على صلعته:

– ماذا عندك؟!

– إنه خاتم جميل جداً، ويناسبك يا سيد، انظر بريقه.

– أتريدين أن أثمنه وهو فى أصبعك؟

– نعم لأنك ياسيدى لست مُدَرباً على ارتدائه.

– لابد من فحص إطـار الخاتم بلوحة الاختـبار لفـحص الحجر حتى يمكن تقييمه .

خلعت الخـاتم من إصبعها، وفى وقـار وضـعتـه فى مخلب الإسـبانى صاحب محل الرهونات وقالت:

– تحت أمرك ياسيد بريدا .

توارت بجـانب المنضـدة، وظلت يقظة تـراقب رد فـعل المرابـى الذى وضع الخاتم تحت المصباح لاختباره بالعدسة.

– أعتقد أنى أعرف هذه الجوهرة.

– أنا لست صاحبته، لقد أتيت من طرف إحدى العائلات التى تمر بضائقة مالية هذه الأيام.

أخذ المرابى يحرّك الخاتم عند اختباره، ويغير نغمة صوته بضحكة زائفة:

– هذه الجوهرة جاءت هنا عدة مرات، من المحتمل أن تكونى قد اختطفتها.

– سيدى، لا تلصق بى هذه التهمة المشينة.

أنزل المرابى نظارته من فوق صلعته، وهو يكتم ضحكة ماكرة:

– إن الدفاتر ستخبرنى باسم من رهن هذه الجوهرة قبل ذلك.

تناول أحد الدفاتر وتصفحه، لقد كان عجوزًا مؤذيًا، يخلط حديثه بالمكر المعسول والنفاق والتحفظ، لقد خرج من إسبانيا شابًا – يجمع – إلى جانب أصله فن سوء الظن وطلاوة حديث أبناء أوروبا المهاجرين إلى أمريكا اللاتينية.

رفع رأسه، وأعاد النظارة إلى صلعته مرة أخرى وقال:

– لقد رهن الكولونيل دى لاجاندرينا هذا السوليتير فى أغسطس الماضى، وتركه حتى السابع من أكتوبر. سوف أعطيك خمسة سوليسات(*) مقابل هذا الخاتم، وذلك فضل منى كبير.

(*) Soles سوليس عملة قديمة كانت متداولة فى أمريكا اللاتينية .

تمتمت بكلمات غير مفهومة وقالت:

– متى حدث ذلك؟ إن الكولونيل نفسه هو الذى أعطانى إياه.

– لا تكونى حمقاء، سأعطيك خمسة سوليسات، وإلا أبلغت عنك الشرطة.

– ياالسوء الحظ!

– هذه الجوهرة ليست ملكًا لك، ومن المحتمل أن أفقد أنا الخمسة سوليسات فى حالة إرجاعها لصاحبها مرة أخرى فيما لو أقام ضدى دعوى قضائية، ومن الممكن أن أجر على نفسى المشاكل بسبب هذه الخدمة التى أسديها إليك ولا تشكريننى عليها، سأعطيك ثلاثة سوليسات، خذيها واغربى عن وجهى.

– سيدى إنك تسخر منى.

استند المرابى إلى المائدة فى تمهل وخبث واحتجاج:

– استطيع إرسالك للسجن

تكدّرت السيدة ونظرت له بحدّة، وهى تحمل طفلها على ظهرها، وتضع يديها على شعرها الأشعث وقالت:

– تشهد عذراء جوادا لوبى أنى صادقة، لقد ذكرت لك من قبل أن الجوهرة ليست ملكى، وأتيت لك من قبل الكولونيل.

- عليك أن تثبتى ذلك، خذى الثلاثة سوليسات ولا تجبرينى على إرسالك إلى سجن النساء.

- سيدى أعطنى الخاتم.

- لا تحلمى بذلك، خذى النقود، وإذا كانت شكوكى فى غير محلها فليحضر صاحب الخاتم الحقيقى ليتمم الصفقة معى. وإلى أن يحدث ذلك ستبقى هذه الجوهرة وديعة عندى، ومنزلى فيه الأمان الكافى لذلك. هيا خذى النقود وارحلى.

يا سيد بريدا إنك تسخر منى.

- أمثالك لا مكان لهم إلا سجن النساء.

- يا سيد بريديتو لا تشوه سمعتى بشكوكك فىّ . الكولونيل يمر بضائقة مالية، وينتظر النقود على أحرّ من الجمر. ولو كنت مرتابًا فى هذه الصفقة ألغها وردّ إلىّ الخاتم. لاتكن قاسيًا يا سيد، فعهدى بك أنك صديق حميم.

- لا تجعلينى أتخذ إجراءً قانونيًا ضدك لو تأخرت فى التقاط النقود والخروج إلى الرصيف.

انقلبت المرأة وتمردت وهددت قائلة:

- لا تنقص من قدرك وأنت رجل إسبانى.

- بكل فخر أنا إسبانى لا يتستر على السرقة أو اللصوص .

- لكنك تمارس السرقة.

- ابحثى أنت عن شيء أفضل.

- ليت أمك لم تلدك.

- سوف الهب ظهرك بسوط من جلد الخنزير.

- لقد أتيت من أرض سيئة، فأنت معدوم الضمير.

- لا تتطاولى على الوطن فإنى أكاد أفقد صوابى.

- مال المرابى برأسه تحت المائدة، والتقط السوط ولوّح به.

-٢-

دخل إلى محل الإسبانى الشريف الثنائى: الضرير القبيح والطفلة الكئيبة يلفها الخجل .. أوقفت الطفلة الضرير أمام الستارة الزجاجية الحمراء ... الضرير يهمس:

- مع مَن هذا النزاع؟

- مع سيدة هندية.

- لقد أتينا فى لحظة سيئة!

- من يدرى!

- هيا بنا وسنعود مرة أخرى.

- سنجد الموقف نفسه.

- فلننتظر إذن.

تقدم المرابى وشاركهما الحديث:

- تفضلا ، أفترض أنكما أحضرتما المتأخر طرفكما من ثمن البيانو، أعتقد أنه ثلاثة أقساط.

تمتم الضرير وقال:

- وحيدتى اشرحى له موقفنا ونوايانا الحسنة.

تنهدت الطفلة الكئيبة. ونطقت بصعوبة:

- إننا نرغب فى إتمام الدين والحفاظ على وضعنا الاجتماعى.

تبسَّم المرابى بتبلّد يهودى وقال:

- إن الرغبة لا تكفى، يجب أن يصاحبها الفعل، لقد تأخرتم كثيراً، وأنا أضع ظروف زبائنى فى الحسبان على حساب مصلحتى، ذلك هو مبدأى، ولكن الثورة أدت إلى تدهور التجارة وعدم استقرارها. ومع هذه الظروف السيئة هل نستطيع تخفيف بنود العقد؟ ما الذى ترغبون فى دفعه الآن؟

مال الضرير برأسه إلى الطفلة وقال:

- اشرحى له ظروفنا ياوحيدتى، وحاولى أن تكونى مقنعة.

قالت الطفلة، وهى متألمة.

– لم نستطع جمع النقود ونتوسل إليك أن تمهلنا خمسة عشر يوماً.

– مستحيل يا طفلتى الجميلة.

– حتى منتصف الشهر فقط.

– يؤلمنى أن أرفض طلبك، يجب أن أضمن حقوقى، إذا لم تسددوا سأجد نفسى مضطراً لسحب البيانو.

استند الضرير إلى كتف الفتاة وقال:

– وهل سنفقد ما دفعناه؟

أكد المرابى على ذلك بمكر معسول وأضاف.

– وسوف أحملكم تكاليف الشحن، وإفساد البيانو نتيجة الاستعمال.

قال الضرير – خائفاً –:

– من فضلك يا سيد بريدا، أجّل الأقساط حتى النصف الآخر من الشهر.

عاد المرابى إلى مكره المعسول:

– مستحيل إننى أدمر كل شىء بهذه المرونة، لقد نسيت عواطفى ومشاعرى حتى لا أسبب لنفسى أى إزعاج، فإذا لم أتمالك أعصابى

وأحكم عقلي يمكن أن أفقد كل شيء، وأصير بائسًا فقيرًا. أستطيع تأجيل القسط فقط حتى الصباح فدبّروا حالكم ولا تضيّعوا الوقت هيا أسرعوا.

توسلت إليه الفتاة:

– سيد بريدينا، أجّل قسطك حتى النصف الآخر من الشهر!

– مستحيل أيتها الذكية، فما الذى أفعله بعد ذلك لتكونى مسرورة.

– إنك لست إسبانيًا.

– لكى تذكرى وطنى يجب أن تطهرى لسانك أولاً حتى لا يتدنس اسم بلدى يابنتى. فأنت مدينة لإسبانيا حتى لو كنت ملاكًا.

انحنى الضرير مغلولاً لما حدث، ودفع الطفلة لكى تخرجه من هذا المكان وقال:

– من الممكن أن تكون إسبانيا ذات قيمة كبيرة، لكن العينات التى تأتينا دائمًا رديئة.

ضرب المرابى بالسوط على المائدة وقال:

– الوطن الأم ومواطنوه فوق آراء الغوغاء الهنود غير المحترمين.

بسرعة سحبت الفتاة الكئيبة الأب من أكمامه وقالت:

– لا تغضب يا والدى.

ضرب الضرير بحديدة عصاه على عتبه المحل:

- هذا الإسباني اليهودى يصلبنا، يحرمك من البيانو فى الوقت الذى تتقدمين فى دراستك.

على الجانب الآخر تخرج المرأة الهندية من أحد الأركان المظلمة .. تتقدم بحذر:

- دون كينتينيتو (Don Quintinito) . لا تكن دنيئا وأعطنى الخاتم

تمسك معطفه بإحدى يديها، وبالأخرى تشير نحو الثنائى الكئيب المنتبهين للحديث .. ضرب المرابى بالسوط فوق المائدة وقال:

- سأضطر للبحث عن حل لنتفق أيتها الجبانة.

- أرجع إلىّ الخاتم.

- تحلىّ بالصبر، بعد قليل يعود خادمى وسوف أرسله لمقابلة صاحب الخاتم حتى نستكمل الإجراء القانونى حتى تطمئنى. أما الجوهرة فستبقى هنا، هيا اغربى عن وجهى ولاتتركى قملكَ هنا(*)

وصلت المرأة إلى باب المحل ووجهت حديثها إلى الثنائى الكئيب وهما شاردان ويندبان حظهما:

- انصتا وانتبها كيف ينهبنى هذا الرجل بشكل لم يسبق له مثيل.

(*) يقصد بذلك أنها قذرة .

نادى عليها الإسبانى وعاد لصندوق نقوده:

- لا تكونى سافلة. خذى خمسة سوليسات.

- احتفظ بنقودك، وأعد إلى الخاتم.

- لا تزعجينى.

- يا سيد بريديتا إنك لا تراعى أفعالك ولا تحسب لها، إنك تضطرنى لإرسال زوجى إليك وهو شجاع جداً دون كينتينو وحاد الطباع.

كوم المرابى السوليسات على المائدة وقال:

- هناك قانون ورجال شرطة وسجون ورصاص. ويسعدنى أن أدفع غرامة نظير تطهير المجتمع من أحد الصعاليك.

- سيدى لا تتعجل لأنه سيأتى لمواجهتك.

- أيتها الهندية المتخلفة. هيا خذى النقود، وإذا جادلتنى سأقاضيك، لا تكونى جحودة والتقطى النقود، ولو كانت لديك مشكلة يصعب حلها، احضرى بعد ذلك وسأحاول تأجيل الأقساط.

- سيدى لا تسخر منى، وأعطنى مبلغًا معقولاً. إن الكولونيل دى لاجاندرا اضطر للسفر فجأة وترك وراءه بعض الالتزامات، فأعطنى مقابل الضريبة.

– مستحيل أيتها الهندية سأدفع لك خمسين بالمائة فقط لاغير فرق الضريبة، وتستطيعين التأكد من الكتاب، إنها تسعة سوليسات. وبذلك تحصلين على أكثر من خمسين فى المائة.

– يا سيد بريديتا لا تأكل الأصفار ولاتغش.

– سأعطيك تسعة سوليسات مراعاة لظروفك ولا تعكرى دمى، ولكن إذا كانت روايتك كاذبة سوف أبلغ صاحب الخاتم الحقيقى.

أثناء تأدية الإسبانى الشريف صلاته التقطت السيدة الهندية النقود من فوق المائدة وأخذت في عدّها، وربطتها فى طرف (الشال) الذى ترتديه، وانتحت بالطفل جانباً وقالت:

– سيدى ألا يؤلك ضميرك؟!

– أنتم تكفرون بالنعمة وتنكرون الفضل.

علق المرابى السوط على الحائط، ووضع دفتر الحسابات، ثم هيأ نفسه للاستمتاع بقراءة جريدة الإكوافيليسينو El eco Avilesino المرسلة إليه من قرينته بأشتوريا(*) .

أهاجت الأخبار التى قرأها مشاعر الحنان للوطن فكانت أخبار الموتى والأفراح والتعميد تذكره بالأشياء التافهة مثل موسيقى الأكورديون والسهر مع جماعة الشباب الذين يطوفون بالمنازل وهم

(*) أشتوريا : إحدى مقاطعات إسبانيا .

يعزفون ويغنون. وكذلك ذكرته الأخبار بمشروب الينسون ثمرة أبى فروة. أخبار القضاء والعقارات والأراضى الزراعية والريفية تسلب لبه وتعطيه إيحاءً بالمناظر الطبيعية وقوس قزح وأمطار الشتاء والشمس الساطعة وحجارة الجبال والبحار الخضراء... الخ

دخل ملكياديس Melquiaeas – الخادم وابن أخى المرابى فى الوقت نفسه – يقود قطيعًا من الشباب يدقون أجراس الأوانى الفخارية الكئيبة التى يبيعونها عند أبواب الكنائس بمناسبة عيد الاحتفال بالموتى.

كان ملكياديس أحمر الشعر، متغطرسًا، ذا وجه عنيد للمهاجر الذى نجح فى توفير رأس المال. وقف قطيع الشباب الغبى متراصًا بجوار المائدة يدق أجراس الفخار.

– ما هذا يا أبنائى. هيا إلى أمهاتكم بهذه الضوضاء. إنكم ترون الإزعاج اليومى الذى أعيش فيه. كان يجب عليك ياملكياديس ألا تأتى بهم. لماذا الإسراف فى النقود جرس واحد صغير يكفى كل أربعة منكم. هذا ما يجب أن يحدث بين إخوة متفقين.

هيا اذهبوا إلى أمكم لتغير لكم ملابسكم.

أرسل ملكياديس قافلة الشباب الهندى إلى الطابق الأعلى وقال لعمه:

– لقد أهداهم دون ثيلث جالينو Don celes Galindo هذه الجلاجل الصغيرة.

– إنه رجل طيب، اذهبوا لامهاتكم لتحتفظ لكم بها للعام القادم والأعوام التى تليه فهى ذكرى قيمة. هيا اذهبوا ولا تكونوا متمردين.

كان ملكياديس يقف على حافة السلم يراقب شرذمة الأطفال التى تصعد دون إتلاف الملابس الجديدة، فالزحف على السلم للملابس اليومية العادية. قال مادحاً كرم دون ثيليث وسخاءه:

– إن هذه الأوانى غالية الثمن. لقد أرسل باخواركيودى مادرس Bojo Arquillo de Madres هؤلاء الأولاد ليختاروا مايشاؤون ولأنهم سفلة اختار الأوانى الأغلى ثمناً، ودفع دون ثيليث دون مساومة. لقد أوصونى بإبلاغك ألا تتأخر عن حضور اجتماع الوجهاء فى النادى الإسبانى.

– بالنسبة للجلاجل ! لقد دفعت أول الفوائد.

سيكلفوننى ببعض المهام، سأضطر فى هذه الحالة لترك المؤسسة لفترة ما، من المحتمل أن أكون ضمن المساهمين ؛ فى مثل هذه الاجتماعات تعتمد قائمة أسماء المرشحين ، لقد انحرف النادى عن أداء دوره الأساسى، وهو الترفيه والتسلية إلى مكان لأكل أموال الناس.

– إن الجالية أحدثت انقلاباً.

– معك حق، انزع سوليتير هذا الخاتم، لابد من تشويهه .

أخذ ملكياديس يبحث عن (زداديه) وهو جالس على حافة المائدة

– الكريتيريو (El Criterio) (*) تعارض إقفال الأماكن التى تمثلها السفارات والقنصليات الأجنبية، بيع المشروبات بالتجزئة مسموح به قانونًا. ويدفعون كثيرًا جدًا فى التسجيل، هل غيّر دون ثيليث بعض الآراء؟

– يرى دون ثيليث أن التجارة الإسبانية كلها متضامنة، وختم بإيماءة احتجاج، من أجل ذلك يجتمع الأعيان فى النادى.

– ياالخيبة الأمل ، هذا الرأى لا يمكن الأخذ به. سوف أحضر هذا الاجتماع وأعلن عدم موافقتى. إنها أمور ضارة بمصالح الجالية. فالتجارة تقوم بدورها الاجتماعى فى أنحاء البلاد، وعندما يكون إجراء الإغلاق غير شامل فإنه يضيع الزبائن، سيكتفى وزير إسبانيا فى هذه الحالة بغلق بند إنفاق المشروبات وهو ما سيفقده شعبيته بين الجالية. ماذا يفعل دون ثيليث ؟

– لم يذكر موضوع الوزير.

– يجب أن يركز اجتماع الأعيان على تصرف هذا المجنون الصيفى (الوزير الإسبانى)، من الضرورى توجيهه، وإذا رفض نلقنه درسًا مطالبين بإقالته تلغرافيًا، من أجل اتفاق عادل سأحاول التوقيع على حصتى.

– أو مهما كانوا.

(*) El Criterio جريدة إسبانية يومية مشهورة.

– لماذا لا تفعل أنت ذلك أيها الجبان؟

– علمني قواعد التجارة، وانظر ماذا أفعل.

– دائما تجادل يا ملكياديس.

تلغراف واحد يقيل هذا الوزير الدنيء . إنه داعر، يقال عنه ذلك في الأوساط الاجتماعية كلها، وقريباً سيوضع هذا السكير في السجن.

– لقد أطلقوا سراحه، والتي اقتادتها الشرطة الآن هي كوكارتشا (Cucaracha) التي أثارت شغباً تافهاً.

– هؤلاء المزعجون المفضوحون لا يجب أن يسجلوا في القنصلية. إن كوكارتشا تشوه سمعة الوطن الأم بدار الدعارة التي تمتلكها.

– إن الخالة كوكارتشا ليست متورطة في أي نزاع، يبدو أنها متورطة فقط في تهريب الكولونيل دي لاجاندرا.

– الكورونيل جاندريتا هرّب رؤوس أمواله للتهرب من الضرائب.

– اترك هذا الخاتم، لقد انتهى الاتفاق، فقد هرب من سجن سانتا مونيكا.

– هرب عندما ذهبوا للقبض عليه فجراً من بيت دعارة كوكارتشا.

– لقد هرب واستغلتني هذه الهندية العربيدة الكبيرة. اترك الملقط. الكولونيل جاندريتا كان مجرداً من الأهلية، وكان ضرورياً أن يمر بهذا

الوقت الحرج، لقد نجوت مما كانت ترسمه لى الهندية ذات العقل الدنىء ملكياديس، هذا السوليتير ملك الكولونيل جاندريتا. إنه فخ كان هذا السكير يريد أن يوقعنى فيه. أخذته بتسعة سوليسات.

ابتسم ملكياديس فى تحفظ:

- إنه يساوى خمسمائة

امتعض الإسبانى الشريف وقال:

- سأفقد نقودى. لا أريد أن أعرض نفسى للرهانة بسبب هذا الخاتم، سأذهب حالاً لأبلغ الشرطة ، من المحتمل أن يصروا على أخذ الخاتم وتحرير قسيمة إيداع. هزّ رأسه معتبراً أن جدّية العالم أصبحت نادرة وكذلك رفاهيته وأملاكه.

-٣-

انحنى الإسبانى الشريف خلف الطاولة، بدّل الشبشب وارتدى الحذاء الجديد ثم وضع المفاتيح فى الصندوق وأغلق الخزينة.

- سأذهب لاتخاذ إجراء قانونى.

تبجح ملكياديس فى حديثه:

- أغلق فمك، وابق كما أنت.

- وبعد قليل يأتى رجال الشرطة لزيارتنا .

إنك تشغل نفسك بتوافه الأمور وعديم الخبرة ولست مؤهلاً لتقديم النصيحة العاجلة ملكياديس. إن رجال الشرطة يقظون وليس غريبًا أن يكونوا الآن قد أمسكوا بالهندية الجبانة.

ربما أجد نفسي في ورطة إذا لم أبلغ عن الخاتم، وأتهم بعدم احترام لوائح الجنرال بانديراس وقوانينه.

– وتخسر نقودك مقابل اتفاق لم يتم.

– كلفني هذا الاتفاق تسعة سوليسات {هذا التعامل بثقة مع التجار الشرفاء هناك تجد الذي ينتج العمل مع الجميع بتجربة واسعة، دون أن تضع ضميرك في سرداب}.

هذه الذكية التي خدعتني كان يمكن إعطاؤها ثلاثة سوليسات فقط ولكني وضعت في يديها تسعة. لكي أنجو من مثل هذه الصفقة الخاسرة في المستقبل يجب أن أعيش حذراً وهو ما سوف يعوق تقدمي، يابني كنت في إسبانيا أحلم بجمع القليل، في هذه الجمهوريات توجد نقود مزيفة، لكي أتجنب ورطة أنا في غنى عنها لابد من فك هذا الخاتم والتخلص منه، وأفقد التسعة سوليسات.

أخفى ملكياديس ابتسامة قردي ماكر من أشتوريا وقال:

– عند الاتهام يمكن وضع جوهرة أقل سعراً.

ظل الإسباني النبيل ينظر لابن أخيه، وفجأة ظهرت على وجهه علامات الارتياح، وابتهج في نفسه مردداً:

– جوهرة أقل سعراً.

الكتاب الثالث

الكورنيليتو (El Coronelito)

-١-

قاد ثكاريس القارب خفية إلى أماكن المرتفعات التي تكثر فيها النباتات المتسلقة حتى بحيرة تيكو مايبو (Tico Maipu).

أفراح صباحية ... ضجيج مبهج ... معادن ... صواريخ ... حفل تعميد ... إلخ جمع من الهنود يحتفلون بعيد القديسين وسط جلجلة الأجراس، وضع ثكاريس المجاديف والتقط خشبة دفع الزورق حتى جنح القارب نحو شاطئ المستنقع في مهب الريح قرب الصبّار الشائك، تجاوز حظيرة ملأى بالدجاج والديوك الرومي وقطع الخشب، قال ثكاريس:

- نحن الآن في أملاك نينو فيلو مينو (Nino Filomeno) .

- حسنًا. اذهب واستطلع.

- من المحتمل أن يكون صاحب المنزل في سوق المدينة.

- إذن ابحث عنه.

– وإذا كان يخشى أن يعرض نفسه للخطر.

– إن فيلو مينو رجل طيب.

– وإذا خاف وطلب القبض عليّ؟

– لن يحدث هذا .

– على أسوأ الفروض، لابد من الاستعداد، فمن ناحيتي ياسيدى أنا رهن أمرك ولو قبضوا عليّ سأغلق فمي وأتحمل أنواع العذاب، إنه واجب عليّ.

تعجب الكولونيل وقال:

– تكاريس إنك تخفى بعض الأفكار النيّرة اكشف عنها ولو كانت حسنة لن أناديك بعد ذلك بـ : ياجبان .

كان الهندى ينظر من فوق السور:

– نعم نينو فيلو مينو غائب. وأرى أن نجرّ الأحصنة ونخرج بسرعة.

– إلى أين؟

– إلى حقل الثوار

– أحتاج نقوداً كثيرة.

قفز الكولونيل من على المنحدر الوحل، وأخذ ينظر بالقرب من الهندى، فوق الحظيرة برز برج أجراس الكنيسة بالعلم ذى الألوان الثلاث

من بين النخيل والخنازير أرض المزرعة مقسمة إلى مربعات متصلة بِسَوَاقٍ وسياج من النبات الأخضر وقطع الأرض الحمراء حديثة الحرث. حب الصنوبر ملقى على الأرض، بعض الأحصنة تقضم الأعشاب منحرفة عن المنطقة المحيطة بالسواقى، أحد القوارب يعبر القناة، صوت المجاديف كان مسموعاً، على الدكة أحد الهنود الذى يزين الشيب رأسه يحدّق وهو يرتدى قبعة مروحية كبيرة وقميصاً من الكتان. كان نينو فيلو مينو يجلس فى مؤخرة السفينة التى رست على حافة أحد الحواجز. خرج الكولونيل لاستقبال صاحب المزرعة:

– صديقى، أتيت لتناول طعام الإفطار بصحبتك.

رحب صاحب المزرعة به فى تحفظ.

– لقد قضيت الليلة فى العاصمة ثم رحلت إثر سماع كلام دون روكى ثيبيدا.

تعانقا كما يتعانق صديقان حميمان، ومشيا فى طريق شجر الليمون والبرتقال، ألقيا نظرة على المنزل القديم من الداخل: له (بواك) من الأقواس المطلية بالجير الأبيض. المقاطعة مضيئة ببلاط الوردى. أقفاص الطيور معلقة فى كرات الأروقة وسرير صاحب المنزل فى الهواء الطلق فى الظلام. الأسوار مغطاة باللبلاب الأزرق استراح الكولونيل وفيلو مينو على مقعدين متشابهين من الخوص تحت البواكى عند تيار هواء الباب. القاع محلّى بستارة صغيرة من الحرير اليابانى والمقاعد

مصنوعة من النباتات المتسلقة وجذوع النخيل وهي من صنع الهنود ساكني السهول، أمر صاحب المنزل الشيخ الذى كان يقود القارب بإحضار لحم للإفطار كما أمر الخادمة الزنجية أن تجهز مشروب شاى البراجواى(*). عاد العجوز الصينى قائد القارب بشريحة من اللحم المقدّد، وبلغة الكوتوماى شرح له أن فتاة المزرعة وفتاها كانا غائبين لأنهما ذهبا إلى (El Cutumay) حفل الكنيسة. أومأ صاحب المزرعة موافقًا، وقدم اللحم المقدد للضيف. رشق ضلع اللحم بسكين حادة. أخرجها من حزامه ووضعها فى الطبق ثم أضاف سكرًا إلى المشروب، وكرر فرقعة تنويب السكر عدة مرات واستطرد:

– لقد وجدت نفسى يا صديقى فى موقف حرج.

– تكلم.

– كنت على وشك أن ينفينى الخسيس بانديراس الطاغية، إنه ضخم أصلع، وكوتشينة تجلب الحظ السيء معاكسة كما يقول الآباء القديسون يا صديقي، إني أمامك هنا مفلس أكثر من السوقة، وسأذهب

هربًا من الطغيان .. فيلو مينو لحقل الثوار لكى أحرر البلاد، لهذا جئت أبحث عن مساعدتك وأطلب عونك لأنك ضد الموقف المخزى لسانتوس بانديراس، فهل تريد مساعدتى؟

(*) mate = شاى براجواى: نوع من الأعشاب يغلى مثل الشاى ويشرب، وهو مفيد جدًا للمعدة ومُغَذٍ فى الوقت نفسه. يعرف باسم شاى براغواى يوجد بكثرة فى الأرجنتين، وأوروجواى، وبراجواى، وفنزويلا.

أمــعن صــاحب المزرعــة النظر بـحـدّة وقـســوة فى الكولونيل دى لاجاندرا :

– إنك تستحق ما حدث لك، إن الوصمة التى تتحدث عنها استمرت خمسة عشر عامًا، ماذا كنت تفعل طوال هذا الوقت؟ لم تتذكر الوطن عندما كنت غارقًا فى نعيم سانتوس بانديراس، من المحتمل أن تكون قد أتيت لتـعرف مدى إخلاصى لبانديراس الطاغيـة، إنه جعل منا جمـيعا جواسيس.

اندفع الكولونيل قائلاً:

– فـيلو مـينو، اطعنى بخنجـر لكن لا تزدنى وحـلاً، إن الفـاسق السـافل يأتى عليـه وقت ويصـبح قـديسًـا . إننى فى هذه اللحظة على أتم استعداد لأريق آخر نقطة من دمى من أجل تحرير الوطن.

– إذا كـان الخـلاف الذى جـئت من أجله مـجـرد أكـذوبة، فـأنت وضـميـرك كولونيل إنك لا تستطيع أن تضـرنـى فـأنا على اسـتـعـداد أن أحرق المزرعة وأضـع نفسى فى الخيام مـع العمـال البسطـاء. إننى على دراية بما قلت فقد كنت موجوداً فى الاجتمـاع السيـاسى مسـاءً ورأيت بعينّى دون روكى ثيبيدا مقيداً بين الأحصنة، وكذلك رأيت تعاطف رجال البوليس وسخريتهم .

كـان الكولونيل ينظر إلى صـاحب المزرعـة بعـيـون تقـدح شـرراً ثم انتفخت أوداجه واحمرّت خدوده وظهرت على وجهه ابتسامة عريضة مثل معبود شره ، إمّعة وسكير.

– فيلو مينو، إن المواطن فقد الأمان، قريبًا سيختفي دون روكي ثيبيدا، هناك أوامر صدرت بأن يرسلوه إلى سجن سانتا مونيكا لإبعاده عن الشعب الذي يتعاطف معه ولكن القيادة لاتعمل بجد فمجرد إقبال الناخبين عليه لا تجعله رئيسًا للجمهورية، إنني أتبنى سياسة ثورية، ولقد اكتشفت قبل أن أفلس أنني لابد أن أكشف زيف بانديراس ووضاعته، فيلو مينو يا صديقي إنك تفتقد فنون الحرب وسأجعلك مساعدي. أؤمر الخادمة أن تجهز لك أشرطة كابيتان .

تبسّم فيلو مينو كويفس Filomino Cuevas الذي كان أسود الوجه حاد الملامح، له أسنان تشبه الذئب وشارب داكن غليظ الحواجب، فولاذي القوام ومعتدل القد، تبدو هيئته العامة من الأعيان.

– دوميثيانو، سيكون الأمر مخزيًا لو لم يعترف بك عمالي رئيسًا لهم ورفضوا تنفيذ أوامرك.

استفز ذلك الكولونيل وكدّر وجهه.

– فيلو مينو، لقد تجاوزت الحد المعقول وبالغت في رفعة شأنك، وأراك الآن تسخر مني.

أجاب الآخر بفكاهة المهرج:

– دوميثيانو، أعترف بكفاءتك، وسوف أعينك عازف بوق إذا كنت تجيد قراءة النوتة الموسيقية.

– أخى إنك تصفنى بالجبن فى هذا الوضع، وهذه النكتة إهانة قاتلة. إنك لن ترانى أقل منك أبداً ولن أكون، إلى اللقاء فيلو مينو وأنا واثق أنك لن تبخل علىّ بحصان ومرشد محنك وبعض النقود.

كان فيلو مينو كويفس ودوداً جداً، ولكنه يلعب دائمًا وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة، وضع يده على كتف الكولونيل:

– ألا تكثر من الكلام يا صديقى. ينقصك إلقائك خطاب على العمال البسطاء سأتنازل لك عن القيادة لو هتفت بحياتى قائداً، وعلى أية حال سننفذ معًا نوبة التحرك الأولى حتى تأتيك فرصة لتفريغ حمولة المركب.

انتفخ الكولونيل دى لاجاندرا مرة أخرى، وفتح ساقيه بغطرسة، وسخر من لهجة صاحب المزرعة:

– أخى لا تسخر منى ووفر لى حصانًا لأنهم لو اكتشفوا أمرى هنا سنذهب معًا إلى سجن سانتا مونيكا. انظر عندى الذين يتعقبون المجرمين من فوق السور.

– إذا رفعت رأسك لن يرانا أحد، إننى متواطئ معك ولن أدعك لهم ليأخذوك من السرير مثل الجبناء

وافق الكولونيل بإيماءة رضا:

– هذا يعنى مصيبة أخرى لك، إن وضع حرّاس فى الممرات الاستراتيجية خطة رجل عسكرى محنك. أهنئك يا فيلو مينو.

كان الكولونيل يتحدث وعنق الزجاجة على فمه يتمدد على المقعد بتكاسل، وكرسى مستدير كإله من التبت.

-٢-

المنزل الخالى، والغرف غير المضيئة تحركت فيها مشاعر السرور. ضحكات رنّانة لطفولة مرحة ملأت المكان، فتاة المزرعة معطرة ببخور القدّاس ... دخلت وخلعت الدبابيس المثبتة فى الشال عندما انتشر قطيع من الفتيان.

كان الكولونيل دى لاجاندرا على مقعده يغطّ فى شخيره، فاتحًا ساقيه، وإيقاع حافل يخرج من المنطاد الأرضى يحرّك بطنه المملوءة بالخمر.

تبادلت فتاة المزرعة نظرة مع زوجها:

- من هذا؟

- لقد حضر إلى هنا طالبًا اللجوء - كما سمعت - ، فهو فى ورطة واسمه مدرج فى قائمة المطلوب القبض عليهم. وأنت كيف أمضيت ليلتك؟

- كنت مهتمة طوال الليل انتظر ...

اكتأب صاحب المزرعة بنظرته الحادة القاسية التى تحول أفكاره الجامدة إلى ضوء مهذب:

- من أجلك أنت والأولاد لا أوفى واجباتى الوطنية لوريتا (اسمها). إن آخر هندى غير متحضر يحمل سلاحًا فى حقل الثوار يفوق فى

وطنيته فيلو مينو (يقصد نفسه)، كان يجب ألا تتحكم فيّ عواطفي. اليوم نَعَتَني أحد الثوار بالجبن، إنني أتاجر وأكسب النقود بينما يدفع آخرون حياتهم وأموالهم للدفاع عن حريات الشعوب، لقد شاهدت هذا المساء دون روكي وهم يقتادونه بين البنادق، إنني نادم على أنني لم أحمل السلاح، ولكنني عقدت العزم اليوم، ولا أريد دموعًا لوريتا.

صمت صاحب المزرعة وفجأة برقت عيناه السوداوان مرة أخرى.. فتاة المزرعة تندفع نحو أحد الأعمدة وتضع منديلاً فوق عينيها.

فتح الكولونيل ذراعيه وتثاءب ... لم يفق من الخمر كما لو كان يخرج من الحلم إلى حقيقة مضحكة ... انتبه لصاحبة المنزل وهمّ مصافحتها في مرح محاطًا بسفندر باكو ومارتي(*)

-٣-

شينو فييخو (Chino viejo) أشار إلى صاحب المنزل من خلال بعض الحواجز. يوجد حصانان مسرجان صعد صاحب المزرعة والخولي بعد تبادل الكلمات، وخرجا متجهين إلى الحقول بسرعة.

(*) Baco y Marte باكومارتي: باكو إله النبيذ عند الإغريق أو باخوس أما مارتي فهو بن جوبيتور إله الحرب كان الرومان القدماء يعدونه أبًا لروموليوس.
ولقد تعود باي أنكلان أن يشير إلى أسماء شخصيات تاريخية وأسطورية شهيرة في الثقافة والأدب والدين على سبيل الرمزية في بعض المواقف، وكذلك لاستعراض ثقافته ومعرفته الوفيرة.

الكتاب الرابع

الإسباني الشريف

-١-

حضر الإسباني الشريف إلى قسم البوليس دون تباطؤ ومعه تقرير أعده نجل أخيه العاقل يشهد بأن الخاتم مصنوع من ذهب رديء وحجر زائف، والتقرير مشفوع بإذن ضريبي يشهد أن الخاتم لا يساوى عشر سوليسات.

هنأ الكولونيل ليسنسيادو لوبيز دى سلامنكا (El Licenciado Lopez de Salamanca) الإسباني الشريف على هذا الوعي قائلاً:

- دون كينتين ، إن تعاونكم العاجل مع البوليس في هذا الشأن يستحق التقدير، أهنئك على سلوكك الذى يستحق التقدير والاحترام لأنك لم تتوان في الحضور للإدلاء بشهادتك، ولتعطينا أدلة في غاية الأهمية، ونأسف لو كنا سنزعجك ببعض الاستفسارات: هل تعرف سيادتك السيدة القروية، التي أحضرت الخاتم؟ ألديك أي فكرة عن الطرق التي

اتجهت إليها؟ هل تشك فى أنها قد توجهت إلى الهارب؟ كل ذلك دون شك - يساعدنا فى القبض عليها لأنها على ما يبدو تقابلت مع الهارب بعد علمه بأن الأوامر قد صدرت بالقبض عليه.

- من المحتمل

- هل تستبعد أن اللقاء كان مصادفة؟

- ومن يدرى!

- أتعرف الطريق الذى اتجهت إليه السيدة؟

شعر الجاشوبين النبيل أنه فى موقف حرج فبدأ يتصنع أنه سيجمع ذاكرته .

- أقر أننى أجهل إلى أين اتجهت.

-٢-

أفرط الجاشوبين فى التفكير ... من الممكن أن يصيبه أذى ... خشى توريط نفسه إذا اكتشف أمر تبديل الجوهرة، كان الكولونيل ليسنسيادو ينظر إليه بانتباه شديد، وابتسامة سيئة الظن ساخرة .. ارتعد المرابى عندما شعر أن الكولونيل يمل حدسه البوليسى فأخذ يلعن ملكياديس - ابن أخيه - بينه وبين نفسه:

- هناك إشارات نضعها فى دفتر المعاملات، سأعود لفحصه لأنى لا أضمن إذا كان مساعدى أتم هذا الإجراء القانونى أم لا، إنه تيس عديم الخبرة وصل لتوه من إسبانيا .

استند رئيس البوليس بخاصرة على المائدة ومال نحو الجاشويين النبيل:

- نأسف لأن ذلك سيترتب عليه غرامة نتيجة إهمال مساعدك.

أخفى المرابى غضبه:

- يا سيدى الكولونيل، مع فرض التقصير أعتقد أنك لن تقدم الوسيلة لتعامل أبناء بلدك بشكل جيد، هذه السيدة تعيش مع أحد السوقة الذى يأتى - أحيانًا - لزيارة متجرى، ومن المؤكد أن أوصافه لديكم فهو أحد اللصوص قطّاع الطرق الذين أضروّا بالبلاد وأفسدوا حالها، لقد كان مسجونًا وخرج فى عفو سابق عندما اتفق مع الرؤساء معترفين له برتبة فى الجيش ويعمل حديثًا فى مهنة الفخار سراً.

- هل تعرف الرجل ، ما اسمه؟

- من المحتمل أن أتذكره.

- ما علاماته المميزة؟

- يُوجد أثر جرح فى وجهه.

- هل هو تكاريس ألكروسادو؟

- أخشى أن أقول نعم فأكون كاذبًا، ولكن يخيل إلى ذلك.

- يا سيد بريديتا (يقصد المرابى) أكرر تهنئتى لإسهاماتك القيمة.

أعتقد أننا أمسكنا الخيوط التى توصلنا للمتهم، يمكنك أن تتصرف يا سيد بريديتا .

– والخاتم؟

– لابد من حفظه مع عريضة الاتهام.

– سأفقد التسعة سوليسات.

– يمكن أن تتقدم بطعن إلى المحكمة، وبدون شك سيقرون لك بالتعويض يالها من مصادفة ! سوف نلتقى ياسيد بريديتا .

ضغط مفتش البوليس على زر الجرس .. حضر إليه كاتب أنيق يتصبب عرقًا .. ياقة قميصه (مكرمشة) ورباط عنقه متدلٍ .. يضع قلما على أذنه ويقع الحبر تلطخ قميصه الكتان ذا الأكمام السوداء. سحب الكولونيل ليسنسيادو مذكرة وختمها ثم ناولها الكاتب:

– كن حازمًا فى إلقاء القبض على هذه الأسرة، خذ معك مندوبى الشرطة وكن حذرًا، تخيّر منهم أصحاب الضمير اليقظ حتى لا يطلقوا النار دون دا ع وكذلك تخير الأقوياء الذين يستطيعون مواجهة قوة تكاريس الجبارة، وأعط الأولوية فى الاختيار لمن تعرفه ثم ابحث فى أرشيف المشتبه فيهم عن بطاقة هذا الشقى. ثم اتجه الكولونيل نحو المرابى:

– سوف نلتقى يا سيد بريديتا إن إسهاماتكم موضع تقدير.

ودّعه المرابى بوجه يكسوه الاحمرار والنفاق، ثم انصرف مطأطئا رأسه ويختلس نظرة إلى الخاتم وهو فوق المائدة وسط حزمة من الأوراق ... إنها نظرة تشبه نظرة كلب مثير للشفقة.

بعدما فرغ مفتش البوليس من إلقاء تعليماته على الكاتب أطل من النافذة البحرية التى تشرف على الفناء. بعد قليل خرجت فصيلة من رجال الشرطة فى تشكيل سريع لإنجاز المهمة بقيادة جندى محنك كان أحد أفراد عصابة لصوص منذ سنوات مضت، ويقود الفصيلة الكولونيل كاسلانيون (Arinco Caslañon) فى باتادى بالو (En Pata de Palo).

-٣-

وزع القائد رجاله قسمين على الضواحى المجاورة للكوخ الذى يقطنه ثكاريس فى ريف البيروليرو .. أشهروا مسدساتهم ... أطَل القائد على الباب ونادى:

- ثكاريس عُد إلى السجن.

أجابهم صوت الزوجة المرتبكة من الداخل:

- لقد ترك هذه الوقاحة للأبد، لا تبحث عنه فى هذا المكان، ابحث عنه فى مكان آخر.

كانت تتحدث مثل الشبح وهى تقف خلف حجرة الطحين .. تزحف باكية وهى تحاول - فى مكر - إخفاء بقايا ربط الطرود. فى هذه الأثناء

كانت مجموعة من رجال الشرطة قد تجمعت أعلى الباب وصوبوا بنادقهم نحو الداخل، ثم قال الزعيم:

- هيا اخرجى.

- ماذا تريدون منى؟

فى سخرية - نريد وضع وردة على شعرك .

خرجت الإشبينة أم العماد حاملة طفلها على ظهرها وشعرها ينسدل على كتفيها ... خرجت خاضعة ذليلة حافية القدمين .

- تستطيع التنقيب عنه في كل الأركان . لقد رحل هذا الصعلوك ولم يترك إلا بعض الصنادل ليرثها هذا الطفل.

- يا امرأة نحن سجانون أصحاب خبرة، ولا تنطلى علينا هذه . الأكاذيب، لقد رهنت خاتماً يمتلكه الكولونيل دى لاجاندرا .

- عثرت عليه بمحض الصدفة ووضعته فى يدى.

- هيا ليستجوبك كولونيل لوبيزدى سالامنكا، ألق هذا الطفل على الأرض وتعالى معنا.

- هل يمكن أن آخذ الطفل معى؟

- ليست إدارة البوليس ملجأ للقطاء.

- ومن سيرعى طفلى؟

- سنعد تقريراً لكى نرسله إلى جمعية البر والاحسان.

زحف الطفل على قدميه ويديه من بين رجال البوليس ، وهرب نحو المستنقع ..

- صرخت الأم

- تعال هنا أيها الدنىء

دخل الزعيم الكوخ فى الظلام

- حذار أثناء التفتيش ، إن هذا الفاسق قادر على مبادلتكم النيران، ونحن لا نضمن أنه يختبئ بالداخل، استسلم يا تكاريس عُد إلى السجن، تكاريس لا تزعجنا حتى لايزداد موقفك سوءاً.

اقتحم الكوخ محاطاً برجال الشرطة، وهم يصوبون بنادقهم تجاه الأركان المظلمة.

-٤-

خرج القائد من المنزل بعد التفتيش وقيدّ الزوجة من يديها وسحبها بحبل وهى تضع ملابسها الداخلية فوق رأسها.

كان الطفل يبكى وسط البركة محاطاً بهمهمة الخنازير ... رجال الشرطة يدفعون الأم إلى الأمام بينما تلتفت إلى الوراء، وتنادى بصوت يمزق القلب.

- تعال - لاتخف - تعال أسرع.

كان الطفل يجرى لحظة ثم يعود ويقف على الطريق. عاد إليه أحد رجال الشرطة وأفزعه أكثر فظل مكانه يبكى ويضرب رأسه، والأم تصيح بصوت مبحوح.

- اجر تعال.

لكن الطفل لم يتحرك بعد ذلك، وظل واقفًا على حافة الساقية ينتحب، وينظر إلى المسافة التى تطول وتفرق بينه وبين أمه.

الكتاب الخامس

صاحب المزرعة

-١-

عاد فيلومينو كويفس Filomino Cuevas وشينو فييخوا Chino viejo ، نزلا من على الدابة إلى باب الكوخ ودخلا فى الظلام. بعد قليل تفرّقا، ثم حضر بعدهما فرسان آخرون من المزارعين يحملون النقود وقطع الفضة الموجودة فى سروج الخيل، هؤلاء هم أصحاب العقارات المجاورة ومؤيدو قضية الثوار.

هؤلاء الأصدقاء كانوا يساعدون فيلومينو فى إحدى المزارع التى دفن بها بوتريرو نجريتى Potrero Negrete منذ أيام قليلة. أدرك فيلومينو إنه أنهى علاقته بتلك الضيعة بعدما أمدّ الهنود والعبيد بالبنادق والذخيرة.

مازال رؤساء العمال ونظار الأراضى والهنود المحنكون يأتون فى هدوء من تلك العقارات، كتب فيلومينو كشفًا بأسماء المجتمعين وأعلن

تأييده لضرب المعسكر دون تأخير هذا المساء، سلّح عماله بالبنادق المخبأة في الأدغال ولكنه لم يخبرهم بالغرض من ذلك ، قام بينهم جدال ولكنهم انتهوا إلى الموافقة على رأى فيلومينو، وجاءوا لمساعدته بالخيول والعمال والنقود ، كل ذلك يحدث في تكتم شديد خوفًا من بطش بانديراس الطاغية.

دوسيتيو فيلاسكو Dositeo Velasco بالرغم من كونه واحداً من أكبر أصحاب المزارع، كان أقل المتحمسين للمغامرة في مثل هذه الظروف، ثار ثورة عارمة وهو مخمور في المقهى يدخن النارجيلة، وأقسم في لهجة نارية. أنه سيكون ضد الطاغية:

– بانديراس الحقير، لابد أن يمزق جسدك ويلقى في عُرض الطريق.

وبدأت آثار القهوة والعرقى والمشهيات على مجموعة الثوار في صورة فاصل فكاهي ورددوا نفس الكلام، وهم سعداء، يلعبون بالألفاظ المعسولة. بعض الأصدقاء يتسامرون ويسخرون من الصداقات الحميمة، ويهتفون:

– صديقنا

– زعيمنا

– سوف ترى!

ثم ألقوا في الحشد خطاباً وهم على مقاعدهم، ومع التحية الأخيرة امتطوا خيولهم ورمحوا سريعاً متعرقين في السهول الشاسعة.

-٢-

شمس الصباح تشرق على الأرض الخضراء، وتكسو الأرض الحمراء حديثة الحرث ... غابات النبق ملأى بالسيارات التى تحمل الثيران ... زفير الثيران بملأ الجو ... بحيرة تيكامايبو (Ticamaipu) الصغيرة بجوار مخيم الهنود تعكس صورة الصباح المشتعل.

أسرع الزعيم بحصانه المرح إلى حافة إحدى السواقي ... الخولي يسوق الدواب خلف الحصان ... صواريخ وصياح فى هذا الصباح الساخن ... مجموعة قوارب صغيرة مزينة برايات مثلثة وأغصان الأشجار ستائر مزخرفة بالزهور، والهنود يتسببون فى إزعاج الأسطول باستقبالهم المبالغ فيه رقصاً وموسيقى .

إحدى القوافل تضل الطريق ... أقنعة من الكارتون ... عصابات ... رماح طويلة وتروس مستديرة، والمهرجون يرقصون. تحت مظلة القارب الرئيس نسمع الدق على الطبول والموسيقى النحاسية تضبط إيقاع الحركات البهلوانية، ومن بعيد يبدو منزل قديم فوق تلال أشجار البرتقال، كما نلمح نبات النبق المائل للزرقة وأسطح المنازل وأسقفها.

الحصان يعدو بحماس .. الرئيس يقود بسلاسة بينما يعبر الخولي الحواجز ويرفع موطئ العربة لينظر خلف الإطارات: الكورنيليتو مستلق فى شبكة النوم(*) يعزف على القيثارة ويحث الشباب على الرقص، من

(*) شبكة النوم: سرير من الشبك يستخدمه الهنود البسطاء فى النوم.

الشباب خادمتان لهما لون برونزى، وترتدى كل منهما قميصًا داخليًا شفافًا، وتضحكان وتمزحان بينما يمر الركب خلف سور مطعم شعبى...

فيلومينو كويفس يدور بالحصان نصف دائرة، ويلهب أردافه بالسوط فيخترق السد بقفزة واحدة:

– قفزة رائعة يا صديقى أصبحت جبانًا مثل سانتوس ڤيجا Santos vega .

– لقد انتصرت أنت ... وماذا حدث؟ سوف تقبض علىّ ياصديقى؟ فما الذى يعود عليك من ذلك؟

نزل الزعيم من على حصانه بقفزة واحدة، ودخل من (البواكى)، ونسمع صوت مهايز حصانه والأكياس المعلقة على كتفه، وريش قبعته يكسو وجهه وذقنه المخدوش:

– دوميثيانو سأعطيك مُونًا بخمسين بوليڤار، ومرشداً بحصانه كى ترحل مسرعًا فلقد أزعجتنا حماقاتك، وعدتك أن نهرب معا لكنى غيرت تفكيرى، وسوف تأخذ الخمسين بوليڤار عندما تطأ قدمك أرض الثوار، وسوف تذهب بدون سلاح، والمرشد لديه أمر بإطلاق الرصاص عليك لو خامره شك فيك، أنصحك ألا تعلن ذلك لأنه أمر سرى .

هدأ الكولونيل وأوقف عزفه على الجتيار وقال:

– فيلومينو، دع المزاح فإنك تعلم جيداً أن كرامتى لا تسمح لى بالتصديق على هذه الاتفاقية المشبوهة. لم أكن أنتظر منك هذه المعاملة فيلومينو، لقد انقلبت من صديق إلى حارس على باب جهنم.

– فى تمهل – ألقى فيلومينو كيساً من القماش وقبعة من القش فى المقعد، رفع كأسه وأخرج منديلاً من جيب السروال الحريرى الأنيق، ونشف جبهته البيضاء المشتعلة تحت شعره الداكن.

– دو ميثيانو. تعال نتفق ولاتهزأ من ذلك. يجب أن توافق على ما يعطونه لك ولا تفرض شروطاً.

فتح الكولونيل ذراعيه وقال فى ود وحرارة:

– فيلومينو أليس فى صدرك قلب رحب؟

ترك الرئيس المزاح وذهب للاسترخاء على السرير الهندى وطلب الجيتار، والتأثر باد عليه:

– دوميثيانو، سأنقذ حياتك لكنى مازلت مقتنعاً بأنك لست فى خطر، وأحذرك إذا كنت جاسوساً ستدفع حياتك ثمنا لذلك، شينو فييخو سيضعك فى مكان آمن عند معسكر الثوار وهم الذين يقررون ماذا يفعلون معك. سأبعث إليهم رسالة معك أنت وشينو فييخو كنت أظن أنك تنفذ أوامرى لكن الكرة تدحرجت بالعكس

اختال الكولونيل وقال بافتخار مارت(*) :

(*) مارت Mart نجل جوبيتر وخونو ويعرف بإله الحرب عند اليونان .

فيلومينو، أعترف بسجنك ولا أقلل من قيمته عندما أناقش شروطه معك ، حياتى ملكك وبإمكانك التصرف فيها، إذا كانت لاتزعجك، علّم هؤلاء الشبّان المثل الجيد للاستضافة. تعالوا هنا برهة، وتعلموا كيف يُستقبل الصديق الذى يبحث فقط عن ملجأ لا يصوب إليه الطاغية نيرانه.

تجمع الجنود على هيئة حلقة ووسط العيون الساذجة المذعورة خرجت من بينهم طفلة، وأجهشت بالبكاء فاخترقت دراما الكولونيل.

انصرفت الجدة مسرعة، عجوز من دم إيطالى، قمحية اللون بعيون كربونية وأنف كبير مخيف ...

كان الكولونيل قد استدعى الطفلة وقبّلها. بعد ما فرك لحيته انتصب بحسم ... رفع الفتاة من ذراعيها فى تأثر بالغ يحاكى على سبيل السخرية نهم ساتورنو(*) خلصت الطفلة نفسها بصعوبة ولاذت بالفرار مما أغاظ الجدّة فشدّت الستارة اليابانية بحجة أنها معوجّة. غمزها الكولونيل بنظرة فكاهية تحت تأثير الكحول، وقال ساخراً:

– لا تثورى ياعجوزى لأن ذلك ضار بالطُحال.

نهرته بشدة وقالت:

(*) ساتورنو Saturno إله الزراعة عند اليونان، نشر الرخاء والسلام، وعلّم الرجال الزراعة أثناء عصر النهضة.

- لاتفزع الطفلة أيها التراچيدى السيىء .

رد فيلومينو على والدته بلباقة، وأوضح لها الواقعة:

الدرس الذى تأخذينه من أولادك مثل لهذا الملاك. لا تقلقى وارضى والدتك، خذى الشجاعة من أفعالك. كورس الأطفال الخمسة جعل لهذا الحديث وزنًا .

وأثناء ذلك كان الكولونيل رافعًا ذراعيه وساقيه مع تكشيرة تكسو وجهه، انخرط فى النحيب ثم تجشأ وقال:

- إنها براعم حنونة، إنكم تضربون مثلاً فى الغيرة الوطنية أيها الأبناء، فلا تنسوا ذلك عندما يأتى دوركم ، فيلومينو هؤلاء الأطفال يلومونك ويؤلمون ضميرك على موقفك السيىء تجاهى! دوميثيانو دى لاجاندرا صديق حميم، ألم يوقظ أى صدىً فى قلبك ؟ كان ينتظر منك استقبالاً حاراً أخويًا لكنك استقبلته أسوا استقبال لسجين حرب. لم يرهبك السلاح ولم تضمنك كلمة الشرف. لقد تصرفت مع أخيك بنذالة.

كان الرئيس لايزال يرتجف، أشار إلى "حماته" بأخذ الأطفال بعيداً، وضعت العجوز الإيطالية الأطفال فى مأمن، وانصرفت مغتاظة. وضع فيلومينو يديه على كأس صغير. عيناه متثاقلتان، وفمه البنفسجى تكسوه ابتسامة شاكية:

– دو ميثيانو لقد تأخرت فى أن تكون خطيبًا برلمانيًا يصفق له المستمعون بحرارة، إننى أتحسر لأننى لست ذكيًا بدرجة تجعلنى أقدر موهبتك وأراعى كل شروطك.

بعد ذلك حضر إلى الزعيم أحد الهنود وتحدث إليه بصوت خافت. كان الهندى ذا شعر أشعث. ويستر جسده بإزار، ويبدو وجهه فى الظلام تحت ظلال قبعته البسيطة المصنوعة من القش.

نادى فيلومينو على الكولونيل:

– نحن محاصرون، إن جيوش الاتحاد الفيدرالى تحتشد على طول الطرق فى المزرعة.

بصق الكولونيل وهو يلوى وجهه:

– سوف تسلمنى وتتفق مع الطاغية. لقد خنت الأمانة يا فيلومينو.

– لا تهزأ منى فأنت تعلم جيداً أننى لا أتكاسل عن خدمة صديق. إن احتياطاتى سبيل للأمان الذى تنعم به الآن.

كفى فقد حانت الفرصة، إن رأسى تدور وعقلى يعمل لأحاول إنقاذك

– لا تفكر فى تركيب أجنحة، ضعنى فى حقل مفتوح ومعى حصان جيد .

– ستمكث هنا حتى المساء.

– لا ترفض إعطائى فرساً

– سأرفض لأننى أفكر فى أفضل وسيلة لإنقاذك.

ستبقى هنا حتى المساء فى الإسطبل حيث لايستطيع أحد أن يعثر عليك حتى الشيطان.

بعد ذلك جذب الكورنيليتو ووضعه فى ظلام المدخل ... انزلق هندى آخر من "البواكى" واخترق المدخل من الباب راسماً الصليب على صورة بيديه .. وصل عند الرئيس بخفة وحذر وكان حافى القدمين:

– يوجد تجنيد إجبارى. لم يبق إلا قليل ويأخذوننى للتجنيد، سريعاً ستدق الطبلة فى كنيسة القرية.

تبسّم صاحب المزرعة، وخبط على كتف صديقه الكولونيل:

– سواء قلت نعم أو لا سأذهب لإخفائك فى الحظيرة.

الكتاب السادس

القروض (الربا)

-١-

صعد ثكاريس الكروسادو إلى القارب بعدما ربط الزورق فى أحد غصون الأشجار ... راقب الكوخ ... كانت أرض المستنقع والكثبان والسواقى تشبه الصلبان.

خفقان طيور يمتد بين بقع مشتعلة من قطيع الخيول والثيران بين المروج ومزارع القصب .... قبة السماء تحتض أصداء الحياة الريفية فى اتساعها وصمتها الرنان .... الخنازير تدمدم فى زرقة النهار .... أحد الكلاب الضالة ينبح بطريقة مثيرة للشفقة ... (صَفَّر) له ثكاريس، فجاء الكلب مذعوراً، فاغرا فاه، مرتعشاً، كئيباً ... رفع يديه فوق صدر الهندى واصطدم بوجهه فى حزن، وأمسكه من قميصه ساحبًا إياه خارج الزورق.

حمل ثكاريس مسدسه ومشى خلف الكلب فى شك وارتياب ... مر أمام الكوخ وجده مفتوحًا وصامتًا ... توغَّل فى المستنقع خلف الكلب

مرتعش الأذنين... الخنازير تدمدم فى المستنقع ... الفزع يصيب الدجاج فيذهب إلى مأوى الصبار ... النسور ذات الأجنحة السوداء تعلو من فوق البركة وتهاجم الكلب ... ثكاريس لايزال مرعوباً وخائفًا ... رأى جثة تتصبب منها الدماء فرفعها بيديه وإذ هى جثة ولده التى افترست الخنازير وجهه ويديه، وكانت النسور قد أخرجت قلبه من صدره.

عاد الهندى إلى الكوخ بعدما وضع بقايا الجثة فى جوال وجلس أمامها القرفصاء قبالة باب كوخه ... أخذ يفكر فى هدوء وإمعان بينما كان الذباب يغطيه، العظايا تأخذ حمامًا شمسيًا بجواره.

نهض ثكاريس فى تشاؤم ... ذهب إلى حجرة طحن الذرة، ودحرج الحجر فاكتشف بريقًا خفيفًا من المعدن كانت ورقة الرهن أسفله مطوية أربع مرات ... عدّ ثكاريس العملات التسع دون أن يحرّك قناعه الهندى ... احتفظ بالنقود في حزامه وتهجّى الورقة: "كينثين بريدا. سلفة. بيع - شراء". عاد مرة أخرى إلى المدخل وحمل الجوال على كتفه، ثم أخذ طريقه نحو المدينة، وكان الكلب لايزال بجواره يلوى ذيله وعنقه.

دخل ثكاريس أحد الشوارع بمنازله المتواضعة ذات الأسطح والزخارف الزاهية تحت أضواء المهرجان الشعبى، وصل أماكن لعب القمار، وانتظر حتى توقف اللعب، وصوّب العملات التسع ... ضاعف الرهان ... ربح ثلاث مرات ... اعترته فكرة مجنونة، فأل آخر لا يقل فى قوته عن قوة الموت: الجوال الذى يحمله هو تميمة حظه، ذهب إلى إحدى الحانات وكلبه يتبعه. جلس ثكاريس يشرب العرقى والجوال بين قدميه.

فى الحانة كان الثنائى: الفتاة والضرير يأكلان على إحدى الموائد القريبة منه... الناس يدخلون ويخرجون فى ثياب رثة وسيدات هنديات ريفيات وعجائز حضرن بِسِنت واحد لايساوى غير قطعة خبز.

طلب ثكاريس نوعًا من الدجاج الرومى، أكل وترك قطعة للكلب، وبعد ذلك استدار يشرب وقبعته فوق وجهه، ومالبث أن اكتشف جثة طفله تدفعه للمخاطرة، وتوقع أنهم يسعون للقبض عليه فوضع الجوال على كتفه، ونهز الكلب بقدمه وتنهد قائلاً:

– سوف نزور الجاشوبين (يقصد بريديتا).

–٢–

جلس ثكاريس مرة ثانية يتنصّت على همس الثنائى الوضيع:

– ألا يمكن أن يمدّ لنا السيد بريديتا المهلة المحددة؟

– يجب أن ننتظر قليلاً يا عجوزى

– لولا مشاجرته مع السيدة كان يمكن أن يرفق بنا.

أنصت ثكاريس باهتمام وغطى وجهه بالقبعة ووضع الجوال على ركبتيه أخرج الضرير حافظة أوراقه وأخذ يفتش فيها كما لو كان يرى بأظافره الحزينة:

– اقرأى لى شروط العقد مرة أخرى، ربما نجد بعض البنود فى صالحنا، ثم ناول الفتاة ورقة مكتوبة وعليها أختام.

- والدى كم نحلم ، إن الجاشوبين يريدا لف حبل المشنقة حول عنقينا.

- أعيدى علىّ شرح العقد.

- أحفظه عن ظهر قلب نحن ضائعان ياوالدى لايمكن أن نعثر على شىء ضده

- كم يصل المبلغ المستحق؟

- سبعة بيسوهات (Pesos)

- ياله من وقت ليس فى صالحنا سبعة بيسوهات، ولايدخل لنا مليم واحد إن ضرائب مثل عشية أمس كانت تفوق هذا المبلغ ثلاث مرات على الأقل .

- إن الأوقات التى أتذكرها مشابهة تماماً.

- إنك مازلت صغيرة جداً.

- لقد صرت الآن عجوزاً.

- أليس من الضرورى أن نتوسل للسيد بريدينا مرة أخرى؟

ما رأيك لو أعدنا التوسل، وحاولنا إقناعه أنك ستغنين فى إحدى الحفلات الموسيقية .

- هل من الصائب أن نعود لرؤيته مرة أخرى؟

– لا بأس نعود

– إنك تقولين ذلك دون أمل

– لأنني أفتقد الأمل بالفعل.

– يابنيتي. السيد بريديتا هو الآخر عنده قلب.

– إنه جاشوبين.

– بين الجاشوبين رجال عندهم ضمير.

– السيد بريديتا يلف الحبل دون رحمة. إنه دنيء جداً.

– أعترف بأنه في مرات سابقة كان أكثر مراعاة للظروف من الآن .. لكنه كان ثائرًا جداً مع تلك السيدة، وما كان يجب أن يتهمها دون سبب عندما وضعوها في السجن.

– لقد دفعت هي الأخرى الثمن عن دون ميثيانو.

-٣-

تحرك ثكاريس نحو الثنائي الكئيب، تأكد الضرير أن الطفلة لم تقرأ الورقة، فاحتفظ بها في محفظته السوداء.

كان وجه البغل (الضرير) يبدو ذابلاً ذليلاً منهكًا والطفلة تقدم طبقها بعد ذلك لكلب ثكاريس.

تحدث بلونيس (Velones) الضرير بإصرار.

- لقد نكّد علينا دوميثيانو، كان يمكن أن تعطينا تراسينا (Taracina) النقود ونخرج من هذا المأزق.

- إذا كان لم يرقص.

- آه بنيتي. اتركيني أتشدق بالأمل، لو أذنت لي سأطلب زجاجة خمر، لا تخيبي أملي. سنحمل البيانو إلي المنزل، وسيهبط الوحي لأنتهي من تأليف الفالس (vals) الذي أهديه للچنرال بانديراس.

تسخر الفتاة من والدها:

- أتريد أن نضع لك نفيراً .

- يابنتي، احتاج فقط لمن يواسيني.

في هذه اللحظة رفع ثكاريس زجاجته وملأ كأس الفتاة والضرير:

- اسكر، فالسُّكْر يعيننا على تحمل هذه الحياة الخادعة، ماذا حدث للسيدة؟ هل وشى أحد بها؟ هل أبلغ أحد عنها؟

- يالها من مناسبة!

- وهل أبلغ عنها الجاشوبين الدنيء ؟

- لكي يُخلي عهدته.

- حسنًا اتركوا لي السيد بريديتا.

حمل الجوال بعد ذلك، والقبعة على وجهه، ومشى برفقة كلبه.

-٤-

ذهب ثكاريس ببطء مخترقًا أماكن الفلاحين ورعاة البقر الذى يشربون عند مدخل المهرجان ... مازال فوق حصانه متجمد الوجه ... فظ المظهر ... نافراً من الناس وثقوب مؤلمة فى صدغه. انحشر وسط المشاحنات والضوضاء فى مهرجان الأحصنة الشعبى فى المكان المملوء بأشجار الأرز والنخيل والبطاطين والعباءات وغيرها...

اقترب من طريق ترابى عريض بعربات بائعى الملح، مجموعات من الفلاحين يمتطون أحصنتهم ذات السروج اللامعة وقد دخلوا فى مخاطرة لخداع التجار والنصب عليهم، لمح ثكاريس بالقرب من أحد أشجار الأرز فلاحاً عجوزاً يجرى بحصانه. تلمس ثكاريس حزامه المليء بالنقود التى ربحها وأشار إلى هذا الفلاح:

- أتبيع الحصان؟

- نعم أبيعه.

- بكم يا صديقى؟

- ثمنه لا يساوى موهبته.

- بدون تسويف ، أتريد خمسين بوليڤانو؟

- لكل ركضة منه.

قال ثكاريس بإصرار:

– خمسون بوليڤانو إذا كنت تريد بيعه.

– لا يسدد ثمنه هكذا يا صديقى!

أنا عند كلمتى.

كان ثكاريس لا ينطق ولا يتحرك. ويكرر عرضه فى إصرار وهو يتناول قطرات الماء فى رتابة، والفلاح يحرّك الركوبة ويستعرض قدراتها فى المشى على ساقيها الخلفيتين.

– إن فوقه سرج من الجلد مربوط بحبل، انظر إلى فمه إنه ليس مغلقًا.

أعاد ثكاريس العرض بنغمة حزينة:

– لا يناسبنى إلا بخمسين بوليفيانو فقط.

ستون بلوازمه.

– سبعون يا صديقى والأقداح على نفقتى.

– سبعون مع المقعدة والحبل والمهماز

تحمس الفلاح باحثًا عن اتفاق

– خمس وسبعون يا صديقى وستأخذ هدية.

نزل ثكاريس الجوال عند قدميه، وفك الحزام، وأخذ يعد النقود، من فوق طرف العباءة وهو جالس تحت ظل شجرة الأرز. كان الجوال مغطى

بسحابة من الذباب الأسود، وكان لزجًا ملطخًا بالدماء، والكلب يتشمم حول الحصان.

نزل الفلاح من على الركوبة ... ربط تكاريس النقود فى طرف العباءة بتأن ... أخذ بفحص عراقيب الحصان وفمه ... اتكأ على المقعد وامتطى الحصان مجربًا إياه فى عدو قصير تارة ومن اللجام بعودة مفاجئة تارة أخرى كما لو كان يقذف الحبل فى لعبة (الروديو) على الثيران.

وعلى حدود الطريق المترب وقف الفلاح يراقب الموقف وهو يضع يديه على حواجبه.

اقترب تكاريس مهدئًا الحصان وتوجه نحو الفلاح قائلاً:

- تمام. إنه تحفة ثمينة.

حل تكاريس طرف العباءة وعدّ النقود فى كف الفلاح واحدة واحدة

- سنلتقى يا صديقى.

- أهكذا تمشى سريعًا دون الاستفادة من الاتفاق؟

- حالاً حالاً يا صديقى إننى مضطر للإسراع.

- رافقك الحظ وصاحبتك السلامة.

- لابد أن أعود إلى ضيعتى. أعدك أن نلتقى فى مناسبة أخرى يا صديقى.

– سوف نلتقى ! صديقى ! اعتن بالحصان.

خيام المهرجان تنبض بألوان مضيئة لحظة الشفق، والطريق يموج بقوافل الدواب والثيران وبعض الجنود من الفرسان تنعكس أشعة الشمس على قبعاتهم الفضية.

من وسط هذا الصخب خرج ثكاريس هامزًا حصانه متوجهًا إلى أركيّو دى مادرس "Arquillo de Madres"

-٥-

ثكاريس الكروثادو يغطى وجهه بحافة القبعة، خطر على باله حل خطير أفزعة فكرة لا تنفصل عن تلك الثقوب المؤلمة الى تؤلم وجهه، وتسلطت هذه الفكرة على ذهنه.

– السيد بريديتا، إنه بريديتا، تحمل انتقامى ، تحمل انتقامى منك يا سيد بريديتا.

يمر أمام إحدى الكنائس بغرفها المضيئة والمكبرة للصور فيضم على صدره على هيئة صليب. أمام أحد العنابر شعر بحصانه يرتجف، لقد هبّ نمر وأخذ يزأر خلف قضبان القفص الحديدية ويطل برأسه من بينها بعيون مشتعلة وذنب كالسوط. الكروثادو محنك فى مواجهة مثل هذه المواقف ... تراجع بحصانه ليكسب مسافة بينه وبين النمر وغطى بقايا الجثة بالعباءة ثم همز الحصان وابتعد بعيداً وكله إصرار على تنفيذ فكرته ثم سار ببطء حتى يتجنب ألم النبض العصبى لثقوب صدغه نتيجة اهتزازه فوق الحصان:

- سيد بريديتا يجب أن تتحمل نتيجة فعلتك.

الشوارع تعج بالألوان الراقصة الفاقعة والقيثارات وأعمدة الإنارة، والروايات والبيارق. موسيقى تنبعث فى الظلام ثم تُسمع فجأة صرخات طائشة مصحوبة بصخب مزعج. كان الكروثادو يتفادى الأماكن الملأى باجتماعات الهنود الذين يشربون ويرقصون على أنغام الشغب والمشاحنات، حيث يتجمع الغوغاء أصحاب البشرة البونزية تحت أعمدة الإنارة ذات اللون الأحمر الذى يعكس الوجوه المتحدية العنيدة والمخادعة فى الوقت نفسه ذلك الشعور الذى انتقل إلى أسلاك المصابيح الصغيرة التى تبدو وكأنها غارقة فى الوهم الزائف، وثكاريس غارق فى حيرته المظلمة وحقده الغاضب وضربات قلبه تتلاحق من شدة التفكير، ويحدث نفسه فى إصرار:

- سيد بريديتا تحمل اتهامى لك، يجب أن تجنى نتيجة فعلتك.

-٦-

يلمح الكروثادو من بعيد لافتة زجاجية فوقها مصباح مضيء "رهائن دون كينتين"، كان الزجاج مشروخًا فلم يستطع إن يكمل القراءة. الباب مزين بقماش قطنى له ألوان العلم الأسبانى الأحمر والأصفر. فى الداخل تنعكس أضواء مصباح مغطى بغطاء أخضر فوق المائدة، والمرابى جالس يداعب قطته، وهو يشبه شبحًا مالطيًا أشقر اللون يُفزع من يراه. نظر القط والمرابى إلى الباب، القط يجلس فوق ركبتى

الجاشوبين وتبدو عليه ملامح الرعب، وشعره المخملى يبرز من ثوبه الجديد كان السيد بريديتا يلبس أكمامًا مستعارة فوق القميص، ويعلق القلم الحبر فوق أذنه، كما يضع أمامه غطاء رأسه (المزيّت) الذى طرزته له إحدى فتيات المدرسة العام الماضى.

– مساء الخير ياسيدى

كان هذا تكاريس الكروثادو – بعباءته وقبعته وحذاء الفروسية والمهاميز – حيث دخل بنصف حصانه نحو الجاشوبين الشريف الذى نظر إليه بريبة وسوء ظن:

– ماذا تريد؟

– كلمة صغيرة.

– اربط حصانك عند الباب.

– ليس له لجام ياسيدى.

ابتعد السيد بريديتا عن المائدة وقال:

– تُرى، ما المناسبة التى أتيت من أجلها!؟

– للتعارف ياسيدى، فأنت مشهور جداً فى ضيعتنا.

– لقد تجاوزت حدودك، وأسرفت فى الشراب، وقلة حياء منك أن تهين رجلاً وقوراً ارحل قبل أن أستدعى الشرطة.

– لاتفزع ياسيد بريديتا، فلابد أن أستعيد جوهرة لى عندك

– هل أحضرت الإيصال؟

– لكى تراه فقط.

ربط ثكاريس الحصان عند الباب، ثم وضع الجوال الملطخ بالدماء فوق المائدة، نظر الجاشوبين مذعوراً:

– إنك مخمور، تأتى إلىّ لكى تهيننى فى متجرى، خذ هذا الجوال وارحل بعيداً. ضرب الكروثادو كمرات البناء برأسه وقال:

– يا سيد بريديتا أنت تريد الإيصال؟

– أجل، ولاتزعجنى.

– افتح الجوال إذن.

– ارحل وارحمنى من تفاهاتك.

كرر ثكاريس الجُمل والعبارات نفسها بإصرار وضيق، والجاشوبين يجيب:

– لايهمنى ذلك فى شىء. مجرد جدى أو خنزير تأكله بخبزك.

ثم انكمش عندما رأى الكروثادو منقضاً عليه:

– سيد بريديتا، حاول أن تفتح الجوال بأسنانك.

– أيها الفاسق، أتأتينى بلقيط سيىء مثلك وتريد منى خدمة، اذهب وارجع مرة أخرى عندما تجد نفسك أكثر ذكاءً.

– الآن ياسيدى ننهى هذه المسألة. أتتذكر السيده التى رهنت خاتماً على تسع بوليڤيات؟

اندهش الجاشوبين النبيل وتصنع النسيان:

– لا أتذكر لابد أن أراجع دفاترى. تسع بوليڤيات؟ لابد أنها لاتستحق أكثر. إن متجرى هو الأعلى سعراً.

– تريد أن تقول إنه يوجد لصوص غيرك، لايهمنى، لقد حضرت من أجلك بعدما اتهمت السيدة.

صرخ الجاشوبين:

– لا أستطيع أن أتذكر كل العمليات. ارحل وعندما تفيق سننظر فى أمر تحسين النسبة.

– هذه القضية سوف نحسمها فيما بعد، ولكننا الآن بصدد اتهامك للسيدة.

– ارحل، وعُد عندما تفيق.

– سيدى لم يعد فى الحياة أمان، ولذلك يجب أن أعرف من الذى وضع السيدة فى سجن النساء.

– ارحل، وعُد عندما تفَيق.

– ألا ترى المكان خاليًا ؟ ألم تفتح الجوال ؟ هيا أسرع ياسيد بريديتا ولاتتأخر.

– لابد أن أفعل ذلك، لأنك سكيِّر ومدمن وعنيد.

بدأ الجاشوبين يفك الجوال دون اكتراث، ولم يكن معنيًا بما يوجد فى الجوال جدى أو خنزير، ثم فزع لما اكتشف رأس الطفل المتخشبة والمتآكلة.

– هذه جريمة، هل تبحث عنى لأخفيها لك ؟ ارحل ولا تأتنى بمثل ذلك ارحل ولن أقول شيئًا، ولاتعرضنى للخطر أيها الوقح.

ما الذى تستطيع أن تقدمه لى ؟ حفنة من النقود ؟

هكذا تحدث ثكاريس بصوت بطيء غاضب عميق:

– هذه الجثة لابني بعد اتهامك الجبان لأمه ووضعها في سجن النساء صار وحيداً فأكلته الخنازير.

– إنه لمن السخافة أن تتهمني بذلك .

إنه شيء فظيع. إنها كارثة، كينتين بريد اليس له دخل في ذلك سأعيد لك الخاتم، ولن أزيد النقود بعدما استفدت منها، هيا ارفع هذه الجثة، وادفنها فأنا على يقين بأنك مخمور وتريد أن تتعزى. أرحل ومّر على صباحًا لتأخذ الخاتم ولاتنس أن تدفن الجثة دفنًا مقدسًا.

– ستأتي معي لدفنها أيها الجبان.

-٧-

قفز الكروثادو بحصانه في حركة مفاجئة، وألقى الحبل حول رقبة الجاشوبين المذعور الذي خرّ فاتحًا ذراعيه. أمسك به ثكاريس وطرحه أرضًا على وجهه ثم شدّ لجام الفرس الهائج إلى الشارع فمشى على رجليه الخلفيتين، وسحب خلفه جسد الجاشوبين مسحولاً. اصطدمت حدوة الفرس بالشارع فتعثر وارتطم وجه الدمية (الجاشوبين) بالأرض وهو مشنوق بالحبل. همز ثكاريس الفرس فأسرع في عدوه وهو يجر خلفه الجاشوبين الذي اصطدم بكومة من الزلط. وبهذا أشبع الكروثادو رغبته في الانتقام من الجاشوبين.

الكتاب السابع

السحر الأسود

-١-

تسرع الأحصنة هارية إلى مزرعة تيكومايبو (Ticomaipu) ... الكولونيل دى لاجاندرا يتناول طعام العشاء مع تينوفيلومينو ... عند نهاية العشاء أرسل صاحب المزرعة فى طلب أبنائه ... خرجت الطفلة لاوريتا للبحث عنهم وهى حزينة متحفظة.

حضر الصبية وهم يتقافزون دونما اكتراث بأمهم التى أدهشتها الحركة فوضعت يدها على شفتيها ذعراً.

استشعر صاحب المنزل شجاعته مغلفة بسحابة من الألم ... كانت عيناه مركزتين على مفرش المنضدة، لاينظر إلى السيدة أو الأبناء ... انتبه فاستجمع قوته ورفع رأسه فى إباء وشمم.

-٢-

الأولاد يجلسون فى دائرة صامتة حول المصباح، ويشعرون أن شيئًا ما سيحدث .

- أبنائى، لقد كافحت من أجلكم ... من أجل أن أخلصكم من الفقر الذى جربته من قبل ولا أريده لكم، وهذا هو منهج حياتى إلى يومنا هذا. واليوم ترون كيف أترك كل هذا، وأترك لكم المزرعة. إن والدى لم يترك لى ثروة لكنه ترك لى اسمًا نظيفًا شريفًا مثله تمامًا. كل هذه التركة أتعشم أن تقدروها وتجعلوها فوق كنوز الدنيا، وإن لم تفعلوا ذلك ستسببون لى عارًا كبيرًا.

سيدة المنزل تنتحب وتقول:

- إنك دائمًا تتركنا يافيلومينو.

أنهى صاحب المنزل الموقف ورد على السوال بحركة منه حيث كان التفاف أبنائه حول المائدة له دفء خاص ومتعة تؤثر فى العيون دون بكاء:

- أرجو أن تتحلى أمكم بالشجاعة حتى تنصت إلى ... لقد كنت أعتقد إلى اليوم أننى يمكن أن أكون مجرد مواطن صالح يعمل فى مزرعته دون التزام تجاه الوطن واليوم ضميرى يؤنبنى، وغدًا لا أريد أن أخجل من نفسى، ولاتخجلوا أنتم من أبيكم.

تبكى سيدة المنزل.

- انضممت من الآن الى صفوف الثوار المتمردين!.

نهض الكولونيل دى لاجاندرا فى برود، وبسط ذراعيه لفيلومينو:

– إنك نبيل إسبرطى (espartarro) وأنا لن أخاف بعد ذلك.

تنهدت سيدة المنزل:

– وإذا لاقيت حتفك يافيلومينو!؟

– تولىّ أنت تربية الأولاد، وذكريهم بأن أباهم لقى حتفه من أجل الوطن ثم عرضت السيدة بعض الصور الفوتوغرافية لشغب الثوار: أموات، حرائق، تعذيب، وفي إحدى الصور يظهر – من بُعد مثل اللاهوت الذى لايرحم – المومياء الطاغية.

-٣-

فى المساء، أمام أحد الأسوار الحديدية حيث يفوح عطر إحدى الزهور الزرقاء، أوقف ثكاريس حصانه حيث ظهر فجأة، مفزعًا المعسكر:

– أسرع، أسرع، كولونيل! لقد قبضوا على زوجتى، بعدما أوشى بها الجاشوبين الدنيء ، أسرع، أسرع.

أبطأ ثكاريس الحصان ... يعلو وجهه تعبير حزين قاتم، وصوته محشور فى فمه حيث يشعر بالإرهاق ... التفتت الوجوه الموجودة بالردهة نحو السور الحديدى سأله الكولونيل:

– ماذا حدث؟

– لقد حدث أسوأ شيء فى حياتى. بسبب النجمة الدنيئة التى كانت تبرق فى الخاتم، أسرع لأننى أحضرت كلبًا يحرس البقايا ياكولونيل.

-٤-

عانقت سيدة المنزل زوجها فى آخر الصالة والأولاد يبكون، حيث تبلل دموعهم (جونلة) الأم .

اقتحمت الجدة العجوز الباب وهى منزعجة لصراخهم:

لم هذا الجنون؟ إذا كان فيلومينو سيجد حظاً فى الثورة فربما سيصبح غريباً لدى .

لا تفزعونى يا أولاد.

كان ثكاريس وهو فى الظلام ينظر تجاه السور الحديدى، بينما تلمع عينا حصانه نتيجه انعكاس الضوء عليهما.

مازال ثكاريس يحتفظ ببقايا الجثة في الجوال موزعة فوق المقعد إلى ثلاثة أجزاء ... العائلة ملتفة حول صاحب المنزل بينما ترفع الأم الأبناء واحداً تلو الآخر - إلى أحضان الأب ... (ذلك المشهد الذى حرك مشاعر ثكاريس المتعب).

- إن الأبناء فلذات الأكباد.

-٥-

يقترب شينو فييخو (chino Viejo) بالأحصنة من المكان حيث يسبقه صدى حوافر الخيول، وعند أول شدّة لجام هيأ ثكاريس حصانه بجوار حصان الكولونيل عندما اقتربا من معبر النهر:

- إن معنا مساعداً كبيراً سينزعج بانديراس لوجوده!

نظر إليه الكولونيل وهو يشك أن ثكاريس مخمور:

- ماذا تقول أيها الصديق؟

- بقايا جثة ولدى، مذبحة تركت بقاياها الخنازير، أحملها معى فى هذا الجوال تأثر الكولونيل ومد يده إليه ليشدّ من أزره:

- لقد أحزنتنى ياثكاريس. لماذا لم تدفن هذه البقايا إلى الآن؟

- عندما يأتى وقتها.

- لا أوافقك على هذا التأجيل.

- هذه البقايا تميمتنا فى الخلاص من الأعداء، وستكون دافعًا لنا فى القتال.

- هذا كلام عادى.

- يا سيدى. لقد دفع الجاشوبين الحقير الثمن.

- ماذا تقول؟

- لقد شنقته جزاء ماحدث لولدى.

- لابد من دفن هذه البقايا.

- عندما نكون فى مأمن.

- يبدو كما لو كان حيًا.

- أشعر بذلك أكثر منك.

الجزء الخامس

سانتا مونيكا Santa Monica

الكتاب الأول

تذكرة ظل

-١-

معقل سانتا مونيكا سجن الثوار السياسيين أثناء مرحلة الكفاح الثورى ، كانت له أسطورة مرعبة من ماء مسموم، سجن مظلم تحت الأرض، مملوء بالزواحف والقيود والخطاطيف، ووسائل التعذيب. عرف بهذه الصورة منذ سيطرة الحكم الإسباني على أمريكا اللاتينية، وكانت فى هذه الآونة قد لاقت محسوبية كبيرة أثناء حكم الطاغية بانديراس(*).

كل مساء عند خنادق الحصون، يتم إعدام مجموعة من المسجونين الثوريين - رميًا بالرصاص - دون محاكمة، فقط مجرد أوامر سرية من الطاغية.

-٢-

اخترق ناتشيتو والطالب طابور الجنود ... استقبلهم مأمور السجن دون إجراءات ... تركهم للشاويش الــذى اصطحبهم من الحانة بأمر من

(*) ويقصد هنا بمحسوبية كبيرة حكم الطاغية ، لسيطرة الحكم الإسباني فى أمريكا اللاتينية

المايوردل ڤاى El Mayor del Valle ... أثناء عبورهما الباب الصغير رفعا رأسيهما وألقيا نظرة إلى السماء الزرقاء القاتمة المضيئة.

الكولونيل إيرينيو كاستانيون (Irineo Castañón) مأمور سجن سانتا مونيكا واحد من أقسى السفاحين المتعطشين للاستبداد ... عجوز دمية لكنه سيء الحظ .. يدخن الغليون، ويمسك عصا يسحبه كذيله، ذو بنطلون مفتوح، مرح وقاس فى وقت واحد، ويشبه كثيراً الشخصيات الروائية فى تلك الفترة ... يسمح للسجينين بالدخول.

– أهنئ نفسى باستقبال صفوة منتقاة.

استقبل ناتشيتو هذه السخرية بابتسامة مصطنعة، وقال موضحا:

– نعانى من عدم فهم مايحدث ياكولونيل لماذا جئنا إلى هنا؟

فى هذه اللحظة كان الكولونيل إيرنييوكا ستانيون يفرغ الغليون وهو يدق به فوق رأس العصا:

– بالنسبة لى ليست لدى أية معلومات عن هذه القضية، لو كانت هناك قضية أصلاً. الليسنسيادو كاربايدا "El Licenciado carbaIleda" هو الذى يعطى التعليمات. والآن بما إن المسألة لاتعدو كونها اعتقالاً بسيطًا فقط ستحدد إقامتكما.

شكره ناتشيتو بابتسامة مجاملة ثم أفرغ مخاطه، وقال:

– إن هذا الإزعاج يشبه المشى أثناء النوم.

من جهة أخرى كان الكابودى ڤارا "El Cabo de Vara" عند الباب يلعب بسلسلة مفاتيحه، كان من أصل مولّد ... له تلقائية سخيفة ... يغطى وجهه بقبعه فرنسية مفرطحة ويرتدى سروالاً بألوان متناسقة وقميصًا هنديًا غارقًا فى العرق، وحذاءً من الجلد اللامع قديمًا وغريب المنظر، كما يرتدى قفازًا مملوءً بالثقوب. التفت إليه المأمور بوجه باسم، وقال فى سخرية:

- دون تريني (Don Trini) هذان هما عازفا الناى اهتم بهما.

- لن تكون هناك شكوى ياسيدى، ولو كانا مؤقتين سنعطيهما النظارة المكبرة ، بعدما بحث دون تريني عن السلاح ، ساق السجينين لإحدى القباب، وهو يسير خلفهما ببندقيته، ثم فتح إحدى النوافذ، وبعد ذلك تركهما خارج الزنزانة بين الأسوار:

- تستطيعان التنزه فى هذا المكان

لأن ناتشيتو مجامل وخدوم فتح فمه وقال:

- شكرًا جزيلاً ياسيدى تريني.

خبط دون تريني النافذة دون اكتراث وابتعد قائلاً:

- يوجد هنا حانة، لو أردتم شيئًا عليكم دفع ثمنه.

ناتشيتو يقف عند السور ويقرأ ما كتب على النصب التذكارى، ومن ورائه يظهر الطالب المكفهر وهو يلف سيجار ... عيناه يغلفهما بريق

ساخر، وعلى فمه الداكن بلون التوت تكشيرة وشجاعة. فى تلك اللحظة كان بعض السجناء يتنزهون متفرقين، ويسمعون من بعيد هدير الأمواج الصاخبة، وكانت الحرائق تصعد عند الأركان المظلمة، وأسراب النسور السوداء ترفرف عبر السماء الزرقاء الصافية.

ناتشيتو يمشى ببطء واختيال ثم نظر إلى الطالب معاتباً:

– هذا الصمت لا يليق بك، إنك بخيل حتى فى الكلام مع رفيقك، ما اسمك يا صديقى؟

– ماركو أوريليو (Marco Aurelio).

– ماركيتو، ماذا سيفعلون بنا؟

– من يدرى؟

– إنه لشىء مخيف أن نسمع صوت هدير الأمواج ونبدو كما لو كنا فى مركب.

حصن سانتا مونيكا قلعة محكمة منذ زمن نواب الملك، مشيدة على صخور قريبة من الشاطئ أمام البحر الشاسع الاستوائى المظلم الهادئ كثير الأعاصير، عند المتاريس توجد بعض مدافع الهاون القديمة والمتآكلة من الصدأ وسرطان الحديد بسبب ملح البارود، ونرى قمصان المساجين وهى منشورة بعد الغسيل مصفوفة كالبقع فى المكان ... عجوز يجلس عند إحدى الصخور على الساحل قبالة البحر، ويقوم بترقيع لحافه الحقير، فى أقصى المكان عند الحصن، إحدى القطط تصطاد السحالى،

ويعض الجنود حليقو الرأس يقومون ببعض التمرينات فى بونتا سربينتيس (punta Serpientes).

-٣-

عند المنعطف الملئ بزبد الأمواج تتأرجح أسلاك السور بما عليها من جثث القتلى ... أحشاؤهم منتفخة ... جلودهم زرقاء بلون الرصاص .. الأمواج تحركها وتطوقها من كل جانب. بعض السجناء المتمردين يصرخون ويتسلقون الأسوار العالية ... السماء بعيدة وملتهبة ومغطاة بأسراب النسور ... لونها التركوازى يعكس عدم مبالاة قاسية، السجين الذى يرقع اللحاف كُسرت إبرته وهى فى شفته السفلى الغليظة، فتمتم بسفالة وسخرية لاذعة:

– أسماك القرش الدنيئة ستسأم كثرة لحم جثث الثوار، وبانديراس الجبان ابن العاهرة لم يقتنع بعد.

وجه السجين العجوز يشبه فراء الماعز بالتجاعيد المحفورة عليه والتى توحى بالصبر وكذلك بشعر ذقنه النابت بعد الحلاق. كل هذا يغلف وجهه العبوس بإحساس جنائزى.

ماركو أوريليو وناتشيتو يتنزهان فى ريبة وخوف، وعندما يمر أحد السجناء بجوار ناتشيتو يبتعد بحذر ويفسح الطريق بابتسامة وبود. وصلا عند السور، وألقيا نظرة على البحر الفرح بأضواء الصباح والذى ابتلى بالسحر الأسود وصفوف الجثث الجنائزية وهو يتمايل بزبده الأخضر نتيجة شدة التيار، وعند السور يعلو صوت السجناء المتمردين

بحركاتهم الغاضبة وأياديهم المرتفعة وهم فى القوارب فى طريقهم إلى السجن. ناتشيتو مذهول وخائف:

– هل سيغرقون؟

نظر إليه عجوز اللحاف بازدراء:

– إنهم الزملاء الذين أحضروا مؤخرا من فوسو بالميتا (Foso Palmita).

قال الطالب:

– ألن يدفنوهم؟

تعجب العجوز قائلاً:

– ماذا تقول؟ إنهم يلقون بهم فى عرض البحر. هل رأيتم سمك القرش وهو يفترس لحم الثوار، يجب أن يقوموا بدفن الذين يحل عليهم الدور. كانت له ابتسامة مريرة شديدة الغيظ. أغلق ناتشيتو عينيه وقال:

– هل أنت محكوم عليك بالإعدام أيها العجوز؟

– وهل يعرف نمر ذمالبوه (Zamalboa) (*) عقوبة أخرى أكثر رأفة من ذلك؟ طبعًا إعدام، ولن أقطب جبينى، ولن أتراجع خوفًا. فليسقط الطاغية.

يصعد المساجين على السور، ويمعنون النظر فى الزبد الأخضر المتلاشى أسفل السور، والمساجين يسيطر عليهم غضب شديد فيعلو صراخهم، ويشتد هياجهم، وتعلو شتائمهم.

(*) يقصد الطاغية باندیراس .

دكتور ألفريدو أوكانيا (Dr Alfredo Ocana) شاعر هجاء وسياسي مفوه، وثوري مشهور. يجيد تهييج الجمهور في خطابه بلغته الفصيحة وحركات يديه، كما إنه غير راض عن الجيش، ويعلن ذلك تحت سمع الحارس وبصره:

– أبطال الحرية شهداء نبلاء، أسماؤكم مكتوبة بحروف من ذهب سوف تتألق في صفحات تاريخنا.

إخواني من يستشهد منكم له خالص تحياتي، وسوف أقدم لكم السلاح.

ثم خلع قبعته في حركة صارخة، وقلّده الجميع.

رفع الحارس بندقيته وقال:

– إلى الخلف، ليس لدي أوامر بوجودكم هنا عند الأسوار.

وجه دكتور أوكانيا شتائمه إلى الحارس:

– إنك عبد خسيس

إحدى السفن المزودة بالجنود المسلحين تنزل شراعها ... كانت تتحرك نحو الجثث لالتقاطها، فلم يستطيعوا إلا التقاط ست جثث فقط.

السجناء لا يزالون على تمردهم ... لم يتزحزحوا من عند السور فاضطر الحارس أن ينفخ البوق.

-٤-

ناتشيتو حامل الراية يمسك بذراع الطالب:

- لقد استهزئ بنا.

نظر إليه عجوز اللحاف شذراً، وشفته السفلى الغليظة تهتز وهو يضحك مثل الماعز:

- الآن، سريعًا، كل هذا الحزن يملأ هذه الحياة الحقيرة.

تحشرج صوت ناتشيتو رغبة في النحيب:

- إنه لمن الحزن الشديد أن ترى موت إنسان برىء. إن الأرواح تتهمني.

لايزال العجوز يردد كلامه بإصرار، وتعلو وجهه تكشيرة هزلية ساخرة:

- أنتم لستم ثواراً إلا لو كانت نهايتكم مثل نهاية الرجال الأشراف.

يلتفت ناتشيتو - في حزن - نحو السجين العجوز وهو يدرس هندسة الرفع الموجودة في لحافه المفروش على ساقيه ويحاول أن يستعطفه دون جدوى:

- لقد جمعتنا الصدفة تحت شجرة التين في أحد أركان الفناء.

- ما كنت لأنسجم مع الفكر الثورى وأبكى عليه، أعلم أنكم أبطال لكم مكانة في التاريخ.

فأنتم شهداء للمبدأ ، أتعلم ياصديقى أن دكتور أوكانيا نو حديث جميل شيق.

ردد من خلفه - الطالب بانحياز

- إن أكفأ العقول هى التى تمارس العمل الثورى.

علق ناتشيتو:

- نعم الأكفأ.

عجوز اللحاف المتشامخ، فظ الطباع يحكى فى بطء وهو يضع الخيط فى الإبرة:

- إذن فالمصير إلى سانتا مونيكا. إن ما يدرسه الشاب ليس ثوريًا.

أوضح ماركو أوريليو بصرامة:

- إننى نادم على أننى لم أكن ثوريًا فى يوم من الأيام، ولكننى سأكون هكذا لو وجدت نفسى خارج هذه الأسوار.

عقد العجوز الخيط، وضحك ضحكته الماعزية:

- خلقت جهنم من أجل الأهداف الجميلة.

ماركو أوريليو ينظر إلى العجوز المتشائم ويشهد بصحة كلامه، إنه لا يشعر الآن بالإهانة، ويبدو أنه قد وجد بُغيته فى سجن المتهمين السياسيين الفخورين بالموت.

كان يتذكر عندما يجلس على حجر أمه، وعندما كان يسعى وراء اللعب باستهتار الشباب الطائش. وصمة عاره هى عدم اهتمامه بالسياسة، وهذا ما جعل السجن يكدره ويشعره بتفاهة حياته ما بين حنان أمه وجوائزه الدراسية. شعر بأنه مشوّش الفكر فانتبه إإلى العجوز الذى كان يدخل إبرته ويخرج خيطها من اللحاف:

– هل مجيئك هنا مجرد مصادفة أم جئت لتتجسس علينا دون شك فيك، فتتجول بين العنابر وتبحث عن ضامن أو كفيل. ألم تقل إنك طالب؟ نحن هنا لسنا فى حاجة إلى جامعيين، إذا أردت أن يكون لك أصدقاء هنا ابحث عن طريقة أفضل، فالثوار الأفلاطونيون مثلك لا يستحقون الثقة.

شحب لون الطالب، ابتهل ناتشيتو رحمة وبعيون ماكرة وقال :

– إن بانديراس الطاغية يرعبنى أيضًا لأنه سفاك دماء لكن ليس من السهل علىّ تحطيم القيود. إننى لا أساوى شيئًا حتى يكون لى الاختيار فى حياتى، فأين أذهب، وكيف يقبلوننى فى أى مكان وأنا غير مفيد، لدرجة أننى لا أتمكن من كسب لقمة عيشى. إن الچنرال بانديراس كان يعطينى عظمة لكى ألعقها، ويستمتع وهو يرانى ويسخر منى ويهزأ بى مع أنه فى أعماقه كان يقدرنى فما العيب فى ذلك؟ إننى دنىء ولا كرامة لى، ولكن يجب أن أفكر بهدوء. ماذا يفعل رجل مثلى محروم من حرية الإرادة، والفضل فى ذلك لقانون الميراث، إن والدى كان مدمنًا، وأمى كانت تعانى الهذيان الهستيرى، كان الچنرال بانديراس يستمتع

بسخريته منى وأنا أتفحش فى القول وأخدش الحياء بحديثى. فأنا لا ينقصنى حسّاد والآن أسقط من على القمة بكل سهولة.

استمع ماركو أوريليو والعجوز الجاسوس للرجل فى صمت وهما يتبادلان النظرات أنهى العجوز الحديث قائلاً:

– فى هذه الدنيا يوجد أشخاص أكثر سفالة من العاهرات.

كتم ناتشيتو حزنه فى نفسه:

والآن، فقد انتهى كل شىء ، والسخرية فاقت الحدود، لم أكن أتصور أبدا أن إعدام يتيم سىء الحظ أمرٌ يدعو للاستمتاع إن هذا لايليق إلا بنيرون (Niron) (*)

سأكون شاكراً لكما (يقصد ماركيتو والعجوز) لو أنجزتما هذه المهمة وقتلتمانى قبل صدور الحكم فأنا أعانى أشد المعاناه فما قيمة أن أحيا بضع ساعات إذا كان الخوف يقتل كل شىء. إننى أعرف نهايتى، لقد أخبرتنى الأرواح بذلك لأنه فى خداع الحواس المزعج تسير القدّيسات .

ماركيتو اعطنى خنجراً وأعفنى من هذا العذاب، أريد أن أغادر الحياة مبكراً، وأنت يا شيخنا، ماذا تفعل لو لم تسل دمائى؟

مارأيكما أيها الصديقان: اصنعا لى معروف وطمئنانى بأى وسيلة.

(*) نيرون Niron ، شخصية تاريخية وهو الذى أمر بحرق روما .

-٥-

يبدو على وجه ناتشيتو رد فعل نباحه وبكائه التافه مثله، ترتسم هذه الآثار على وجه ذلك العجوز، المتآمر، ويبدو على الطالب سهد واضح وحركة مبهمة من الشفقة.

هذا المهرج (ناتشيتو) الذى وقع فى هذه الكارثة كانت له احتفالية سخيفة على نحو مضحك.مهزلة قصيرة فى نهاية الكرنفال بينما كانت أجنحة النسور المقرّة فى ذلك الوقت تتكسر فوق شجر التين.

الكتاب الثانى

الرقم الثالث

-١-

كانت الزنزانة رقم ٣ عبارة عن عنبر واسع ذى سقف عالٍ متهالك، أضواؤه ضعيفة، وتفوح منه رائحة كريهة من الكحول، والعرق والسجائر.

هذه الأضواء كانت فى الشارع معلقة واحدة تلو الأخرى على الجوانب . أسرة المساجين الشبكية ملأى بالمتهمين السياسيين الذين يشكل الحديث عن ذلك اللص الأبله الدموى الأشقر الشجاع والمنافق المتوحش قاسمًا مشتركًا بينهم فيصير السجن أكثر حزنًا وكآبة، كانت هذه الصحبة تسخر من باتا دى بالو Pata de palo الكولونيل إيرنيو كاستانيون.

كان الضوء مليئًا بالغبار الذى يعلو النوافذ وينزلق من أثر الجير القذر على الأسوار - يعطى المساجين إحساسًا باردًا فى هذا المكان الجاف والمهجور.

دكتور سانشيز أوكانيا، خطابى فصيح، تبدو قبضته خارج أكمامه، وذراعاه دائمًا مستعدتان للانفعال والتلويح، يضخم صوته عندما يوجه شتائمه إلى الطاغية:

– إن الطائر المشؤوم الخرافى المستبد ينبعث من رماده الذرى على الرياح الأربع محرضًا الأشباح وشياطين جهنم ضد الأحرار العظماء، نعم عظماء، وهم المثل فى حياتنا، ويجب أن نقتدى بهم فى طريقنا فى هذه اللحظات التى ربما تكون آخر ما تبقى فى عمرنا إن البحر يعيد أبطاله إلى الأرض، كل جبار شره للمناجم الزرقاء يبدو أرحم من الچنرال بانديراس ... أعيننا ...

من الصالة يأتى لاباتا دى بالو المأمور، ويقطع الحديث عليهم، وهو يدخن غليونه، يمشى رويداً رويداً ثم خف الانتباه لخطواته العرجاء.

–٢–

كان أحد السجناء يستلقى فى سريره ويقرأ أحد الكتب وكان أخفاه عند مروره وبعد انصرافه عاود القراءة من جديد. ومن السرير المجاور له سأله دون روكى ثيبيدا:

– دائمًا أراك مع "الحيل الشهيره

– يجب علينا أن نهتم بالأدب الكلاسيكى.

– لدرجة أن تقرأ هذه الرواية دائمًا. هل تحلم بالهروب؟

– ومن يدرى!

– يكون ذلك جيداً لو استطعت تنفيذه فى وجود الكولونيل باتا دى بالو .

أغلق الكتاب الذى يقرأه وتنهد وقال:

– لا يجب التفكير فى الهرب لأننا سنعدم هذا المساء رميًا بالرصاص.

رفض دون روكى هذا الكلام بشدة وقال:

– من الجائز أن يعدموك، ولكننى على يقين من أننى سأشاهد انتصار الثورة.

ربما يكلفنى هذا حياتى، ربما فالقدر ينتصر دائمًا .

– بدون شك لكن هل تعلم قَدَرك ياعزيزى؟

– إن نهايتى لن تكون فى سانتا مونيكا. إننى أحمل فوق رأسى نصف قرن ولم أفعل شيئًا بعد، لقد صرت أحلم، ويجب علىّ أن أفعل شيئًا من أجل حياة أكثر رفاهية للشعب، وسوف أموت عندما تأتى أجيال جديدة تعمل من أجل الوطن.

كان يتحدث بهذه الغيرة وكأنه يحتضر، إننا أقوياء لأننا نعتقد ونأمل فى مستقبل أفضل، عندما يُتَقبل القربان المقدس، كان يشبه

القديس الريفى برأسه البرونزية التى يحاول رفعها من فوق الوسادة كما لو كان يريد النهوض، بينما يعتصر ألمًا ويتصبّب وجهه عرقًا تحت لحاف السرير. نظر إليه السجين الآخر بتعبير ودود ويحمل سخرية وشكا فى الوقت ذاته:

– أتمنى أن أمتلك عقيدتك، يادون روكى، لكننى أخشى أن يعدمونا معا فى فوسو بالميتا Foso-Palmita . إن قدرى يختلف عن قدرك، ويجب عليك أن تتخلّى عن هذا التشاؤم، ولتبق لتحلم بالهرب.

– بالفعل نحن مختلفان، سيادتك دون أن تشترك فى المقاومة تنتظر أن تأتيك قوة خفية لتفتح النوافذ. أما أنا فأخطط من أجل الهرب، وأعمل جاهدا دون أن تغيب عن مخيلتى نهايتى المقبلة. إننى أعيش على هذه الفكرة وفى الوقت نفسه أحترس من أى مناسبة غير متوقعة.

– الشفافية وقوة القدر تحثنا أن نستجمع كل قوانا الكامنة، إن كل إنسان داخله قوة خفية، قوة لاتعرفها، ولكى تعرفها أنصحك بالبحث عن رواية أخرى أكثر روحانية من رواية "الحيل الشهيرة". سأبحث لك مثلاً عن كتاب"طريق الصوفية" لأنه سيفتح لك آفاقًا خفية.

– ألم أخبرك أننا مختلفان. إن تعقيدات مؤلفيك تصيبك بالتبلد وتصيبنى أنا أيضًا كذلك ربما لأننى ليس لدى الوازع الدينى وأعلم أن نهايتى ستكون فى فوسو بالميتا.

– إذن تعترف بأنك لا تملك وازعًا دينيًا، لذلك فأنت ثائر عادى ولن تكون على المستوى المرجو. يجب أن تعلم أن الحياة مثل البذرة المقدسة،

وتعتقد فى ذلك أيضًا. إننا نعيشها من أجل أن نرعاها حتى تكون أكثر نفعا للبشرية، إن الرجل الثورى إنسان ذو بصيرة.

– وممن نأخذ هذا الوجود الذى يشعرنا بإحساس معين؟ من الذى يطبع الحياة بهذه الالتزامات؟هل نستطيع أن نخونها دون عقاب؟ تصور لو لم يكن هناك حساب.

– أهو بعد الموت؟

– نعم بعد الموت.

– إننى أطهر نفسى للإجابة عن هذه الأسئلة كلها.

– من الجائز لأنك لا تصوغها بإصرار كافٍ.

– ربما.

– والألغاز التى تصادفنا فى الحياة. ألم تفكر فى حلّها؟

– إننى أسعى لنسيانها.

– وهل تستطيع؟

– نعم. لقد استطعت.

– والآن.

– إن السجن يعدى ... ولو واصلت الحديث معى ستجعلنى أسبح فى العقيدة المسيحية.

– فلنترك الموضوع إذا كنت أغضبتك.

– كلاً يادون روكى، إن أحاديثك سارة جداً، ولكنك وسط زهورك الكثيرة أصبتنى بخنجر مازال يؤرقنى. لماذا تحكم على ثورتى بأنها غير ناضجة ؟ وما العلاقة بين الوعى الدينى والفكر السياسى؟

– إنهما شىء واحد ياشيخنا.

– شىء واحد. هل هذا معقول ! إننى أرى العكس.

– احرص على التأمل فى الكون، وسوف تكتشف حقائق كثيرة. عندئذ ستفهمها..

– كل شخص بمفرده عالم، وكلانا يختلف عن الآخر. دون روكى إنك تحلّق فى السماء وأنا أمشى على الأرض. واتهامك لى بعدم نضج ثوريتى ليس إلا تشويشًا تعانى أنت منه. إن الدين بعيد تمامًا عن كفاحنا السياسى.

– قناعتنا بالخلود لايمكن أن تبتعد عن أفعالنا، الرجال الذين يضيئون خطواتهم بهذه المصابيح هم الذين يستحقون الاحترام الفائق من التاريخ.

إن عقيدة الخلود هى الوعى الدينى. وفى فلسفتنا: خلاص الهندى من الذل والخضوع هو حجر الزاوية. وهذا – فى الأصل – إحساس مسيحى عميق.

– وعلى ما أتذكر فإن الموضوعات التى شكّلت عصب الثورة الفرنسية هى: الحرية، الأخوة، والمساواة. دون روكى نحن

صديقان حميمان، ولكن لم يفهم أحدنا الآخر. مثلاً: ألم تدعُ الثورة الفرنسية للإلحاد؟ مارا Mara ، دانتون Danton(*) ، وروبسبير Robespierre(**) ...

– إنها نفوس دينية عميقة، حتى ما كانوا يجهلونها أحيانًا.

– إنه جهل مقدس دون روكي، أتقر بهذا النوع من الرجال لتنزع الخنجر الذى طعنتنى به فى صدرى.

– أعترف لك، ليست عندى أحقاد.

بعد ذلك، تصافحا، ونظر كلٌّ منهما للآخر من فوق سريره، وظلا صامتين برهة. ومن جهة أخرى كان الدكتور سانشيز أوكانيا مستمراً فى خطابه الطويل، وثرثرته المتدفقة من مجازات واستعارات متكلفة فى هذا الجو اللزج المثقل بالعرق، ومشروب العرقى، وسجائر الزنزانة رقم (٣). كل هذا وسط الغرفة الشاسعة بين مجموعة من السجناء.

كان دون روكى قد نظم – حول سريره – حلقة فى دروس الأمل الواهم للهروب من السجن ... كان يتحدث بهمس وابتسامة هادئة .. كان عميق التدين ذا حس صوفى خصوصا الصوفية الهندوسية ... حماسة المتوقد وأسفاره العديدة كانت تملؤه بشحنة غيبية لا يستطيع

(*) دانتون سياسى فرنسى (١٧٥٩-١٧٩٤) كان أحد زعماء الثورة، وخطيب بارع.
(**) روبسبير سياسى فرنسى أيضًا (١٧٥٨-١٧٩٤) أحد أعضاء الحزب الديماجوجى المتطرف أيام الثورة الفرنسية.

الفكاك منها فكان يدور في فلكها: فلك المذاهب الصوفية، فكان دائمًا يبحث عن شيء في أعماقه، شيء يربطه بضمير الكون بأسره.

إن المسؤوليات الخالدة للأفعال الإنسانية كانت تذهله، وكان يشعر أنها تسير بقوة دفع إلهية، الرجال في نظره ليسوا إلا ملائكة منفيّة متهمين بجريمة إلهية ، البشرية في جميع مراحلها تعبّر عن إيقاع دائم ينتهي حتمًا بالموت الذي تترتب عليه مسؤوليات لا حدود لها. إن الروح عندما تتجرد من دنيويتها تتصرف بشفافية ورؤية يحكمها ضمير نقي، وهذا التأمل الدائم – سواء كان مبهجًا أو مؤلمًا – هو النهاية الأكيدة للأقدار البشرية: الحج للأماكن المقدسة حتى جنور القُربان يطبع في النهاية رقم مُقدس. كل حياة مهما كانت متواضعة تخلق عالمًا ما، وبالمرور تحت قوس الموت، نجد الضمير الدائر لهذا الخلق يستسلم للروح، والروح بما إنها سجينة لمحورها تصير بعد ذلك متسامحة.

كان دون روكي صاحب روايات متنوعة جدًا ومشوشة جدًا بسبب صوفيته التي كانت تتجاوز التكهنات، وعلوم السحر والتنجيم، والفلسفة السكندرية.

كان يقارب الخمسين من عمره، تتهدل حواجبه الداكنة فوق وجهه فترسم خطوطًا من الطاقة الصارمة تحت جبينه العريض، وصلعته اللامعة تشبه قديسًا رومانيًا. له جسد هزيل، وجلده يشبه أشجار الزيتون والكروم العتيقة، آراؤه الثورية مثل مصباح مقدس يضيء الطريق.

الكتاب الثالث

اعتقالات

-١-

حوالى ثمانية أو عشرة سجناء يشكلون دائرة فيما بينهم، ويلعبون القمار تحت أضواء أعمدة إنارة الأسوار، وشوشو الروتو يقذف بالورق، لقد كان صعلوكًا مشهوراً بسرقة المواشى واختطاف أصحاب الأملاك، وقطع الطريق على قوافل البضائع، وجرائم أخرى فاضحة تصل إلى حد القتل. كان يقذف الأوراق ببطء ويداه فى وضع مثلث وعلى خده أثر جرح عميق على هيئة ثلاث أسنان نتيجة عضة من أحد منافسيه فى لعبة (البورى) .

تتشكل الدائرة من سجناء مختلفين ويشترك فى اللعب بعض الفرسان (المكسيكان) و (الدكاترة)، ورجال العصابات، والحراس.

كان ناتشيتو فيجياس حاضراً، ورغم أنه لم يلعب لكن عينيه لم تفارقا اللعب، مدّ يده فى الحقيبة وعرض النقود .

أقبل الولد الرابع فى اللعبة (أى ورقة اللعب التى فيها الولد الذى يربح) :

- لن يخطئ أحد منكم.

عاد (ناتشيتو) وإبتسم للاعب المجاور له وانهمك فى التفكير ، الذى ظل غير مبال : كان هذا اللاعب شبحًا يرتدى سترة مترهلة من الكتان تتدلى من حول رقبته كالمسمار الملتوى كالخطّاف. يركز ناتشيتو انتباهه على حركة اللعب، وبحركة مفاجئة يرفع يده وهى مملوءة بحفنة من النقود، ويلقى بها فوق البطانية التى لا يعرفون صاحبها، تلك البطانية التى يستخدمونها أحيانًا للجلوس مثلها مثل البساط الأخضر:

- نرمى بعشرة سوليسات على الملك الجبان.

يقترح الروتو:

- نضاعف المبلغ.

اشطب العلامة.

- ذهب!

أزاح الروتو الباب، وحضر ملك اللعبة زاحفًا، انغمس ناتشيتو تمامًا فى لعبة الألبور وهو يحلم بالأرباح الطائلة.

كان ناتشيتو مبتسمًا بوجه ملائكى، وكان الشبح المستغرق - دائمًا - فى التفكير مريضًا بداء الكبد يواسى ناتشيتو على حظه السيء بابتسامة غامضة، فنظر إليه ناتشيتو فى حزن وقال:

– فى حالتنا البائسة هذه لافرق بين المكسب والخسارة.

رفض الآخر هذا الاستسلام بامتعاض وتجشأ قائلاً:

– مادمنا أحياء، فالنقود عامل مهم جداً، يجب النظر إليها هكذا.

تنهد ناتشيتو وقال:

– هذا الكلام لإنسان محكوم عليه بالإعدام، ما عزاؤه فى النقود؟

– على الأقل يلعب لكي يستطيع النسيان، النقود شيء لايمكن الاستغناء عنه حتى آخر لحظة.

– هل عقوبتك الإعدام أيضًا ياصديقى؟

– ومن يدرى !

– لن يقتلوا الجميع لسبب واحد.

– من فضلك، لا تعطنى بصيصًا من الأمل. سوف أضع خمسين سوليسا فى التوفير.

كسب ناتشيتو الرمى فى لعب القمار، وقطب الآخر وجهه بحركة مترهلة وقال:

– ونلهمك أيضًا التشدّق بنفس الكلام.

– إننى لا أشتكى.

– هل تريد أن تعمل مركبًا ورقيًا من خمس سوليسات؟

افعل ما تريد.

- خمس ضربات

- كما تريد

- هيا بنا نحو الولد الأعرج فى الورق.

- هل يطيب لك هذا الوجه؟

- إنه اللعب.

- ستتغلب عليه!

- فلنذهب إليه إذن.

كان الروتو يرمى ببطء، وتجرى الكرة لكى يراها الجميع ، مكث برهة، ويده مرفوعة. أتت الورقة. قبض نانتشيتو على النقود موزعة بين يديه الاثنتين، ثم همس فى أذن الزميل الأصغر قائلاً:

- ما رأيك؟

- يبدو أنهم شاهدوا!

- والآن يأتى دورنا فى السابع.

- إذن ما هذا الورق الذى تحمله؟

- لاحيلة لى فيه، قبل ذلك كنت ألعب ما أريد أن ألعبه، والآن يأتى دور السابع الذى لايحثنى على شىء ولايقول لى شيئًا.

- أتُسمى هذه اللعبة مذاق وغير مذاق، إننى لم أسمع بهذا من قبل.

- سأنتهى من اكتشافه حالاً.

- الآن خسرنا

- انظر، السابع على الباب.

- فى العشر سنوات الماضية من حياتى، لم أر حظًا بهذه الاستمرارية.

- هيا بنا إلى الضربة الثالثة فى الحصان.

- هل تعجبك؟

- شكرًا. لقد ربحنا ، يجب أن نوزع هذا المكسب.

- هيا بنا لنعطيه الضربات الخمس.

- سوف نخسر هكذا.

- أو نكسب، (الكارت) الرابع هو الخامس، علينا الدور فى الخاسر

- إنها لعبة تصادمية، ادخّر النصف يا صديقى.

- لا تدخر شيئًا، ثمانية سوليسات تحمل الثلاثة.

- لايجوز.

- أحيانًا لابد من الانكسار.

- انصرف.

يركز شوشو الروتو عينيه على اللعبة، توجد ورقتان معاكستان بين ورق لعبة الألبور. صفّر بإشارة تدل على الاحتقار:

- بِس(*) ... كلّ على حد سواء.

أنزل ورق اللعب فوق البطانية، وجفّف جبينه من العرق بمنديل زاهي اللون. بدأ يقذف اللعبة وتكشيرة متمهلة تعلو وجهه الذي يبدو معوجًا من أثر الجرح، وفي الوقت نفسه يلاحظ اللاعبين بخبث. حضر بعد ذلك الثالث الذي كان قد لعبه ناتشيتو. انتفض الشبح بجواره وقال:

- لقد ربحنا .

أعلن ناتشيتو ذلك ضاربًا بالخشبة على اللحاف.

- مائة وستون سوليسا.

أمعن شوشو الروتو النظر في سخرية وقال:

- فاسق آخر أقل وطأة، بهذا الحظ ربح جميع نقود القمار، كما لو كان معه ملاك حارس.

جمع ناتشيتو النقود في رضا ووجّه شكره للجميع.

(*) صوت يدل على الضجر .

- كوا كوا !

همس شخص ثقيل الظل يدعى كابتن فيجورى:

- إن العذراء تظهر دائمًا للرعاة.

وفى الوقت نفسه ينفخ الشبح المريض بداء الكبد فى أذن ناتشيتو هامسًا:

- يجب أن نتقاسم.

رفض ناتشيتو ذلك مقطبًا وقال:

- بعد "الخبطة" الخامسة.

- إن هذا هو التهور بعينه.

- لو خسرنا سنعوض خسارتنا من ناحية أخرى، من يعلم؟ حتى يستطيعوا قتلنا، لأننا لو ربحنا سيكون لنا معارضون وحاقدون فى فوسو - باليتو.

- دَعْك ياصديقى من المداعبة، وحاول مع الحظ.

- هيا بنا مرة أخرى مع الولد الأعرج فى الورق.

- إنها ورقة خاسرة.

- إذن فلنمت من أجلها أيها الصديق، مائة وستون سوليسا فى (الكارت).

أجاب الروتو:

- اذهبوا

قال ناتشيتو بلهجة أرق :

- شكرا جزيلا.

أعاد المقامر (الكارت) ومعه تكشيرة احتقار:

- إنهم الذين يعلقونني!

بعدما أعاد ورق اللعب ظهرت ورقة اللعب بصورة "الولد" الرابحة عند الباب، مماً أثار همس اللاعبين، وبدأ على ناتشيتو الارتباك وارتجفت يداه:

- كنت أود أن أفقد هذا الكارت، آه يا صديقى إن المعارضة تقذف بنا فى فوسو - باليتو.

شجعه الشبح وقال فى هدوء:

- الآن سنقبض.

- إنها مائة وسبعة وعشرون سوليسا لكل لحية.

- لقد أزعجتنا هذه الجلسة!

- من الأفضل أنها أزعجتنا، ففى هذه الأحوال يعد الربح فى اللعب نذير شؤم.

– إذن اترك النقود للروتو.

– إنها ليست المعارضة بالتحديد.

– هل ستستمر فى اللعب؟

– حتى أخسر، وبهذه الطريقة أستطيع أن أهدئ من حماسى.

– إذن فإنى لن آخذ شيئًا، شكرًا جزيلاً لمساعدتك، وتأكد أننى مثل الخادم برناردو آرتس.

ابتعد ناتشيتو، ويداه ترتعشان وهو يكوم النقود. لقد امتلأ رعبًا من تعليق ذلك المؤذى الذى يعتقد فى القضاء والقدر، وتدبير الله لكل الأمور، فقد أعطاه حظًا قويًا فى اللعب، لقد أصدر أمرًا بالموت.

لقد كان يجلس تحت قدرات خفية، والتفت حوله فإذا بخلافات ومزاح، أخذ حفنة من النقود، ووضعها على أول (كارت) ظهر له، الفوز والخسارة عنده سيّان، أغمض عينيه وفتحهما مباشرة. أعاد شوشو الروتو اللعبة، وأشار إلى الجلسة، وجرت النقطة.

تضايق ناتشيتو. لقد ربح مرة أخرى.

اعتذر بابتسامة شاعر بالنظرة الشرسة للمقامر اللص:

– من المحتمل أن أكون آخر واحد هذا المساء.

-٢-

فى الجانب الآخر من السجن ينصت بعض السجناء لرواية كان يسردها أحد الجنود، كان يتحدث فى ملل وهو يجلس فوق بعض العظام، ويحكى هزيمة الجنود المتمردة فى كوربايتيه وكانوا حوالى خمسة سجناء يفترشون الأرض:

- انضمت إلى مجموعة دورونيو روخاس، أى خدمة ملعونة تلك التى لا نترك فيها السلاح أبداً، نحن دائمًا على استعداد، لا أنس السابع من يوليو، كان يوماً أسود عندما اخترقنا أحد المستنقعات لما بدأ الفيدراليون تبادل إطلاق النيران، لم نرهم لأنهم كانوا يختبئون فوق أشجار الصمغ المتلاصقة فى السهول المرتفعة، خرجنا بعد ذلك من المستنقع بفضل العناية الإلهية، وعند خروجنا أمطرونا بوابل من النيران لفترة قصيرة بكل شراسة من فوق تلك السهول التى لا نهاية لها تحت ضوء الشمس اللافحة التى تحرق الرمال، وهناك انسحبنا سريعًا من خلال حقل موحل، والفيدراليون يتبعوننا، وأكثر من ذلك لم ينقطع أزيز الرصاص ونحن نسرع فى الجرى.

الهندى يواصل حديثه وهو متجمد فى مكانه، ثابت على وضع واحد، بينما ينتبه الدكتور أتلس لروايته بشدة .. دكتور أتلس خطيب مشهور من الثوار، وهو معتقل منذ شهور عديدة، إنه رجل شاب ذو وجه شاحب، وشعر رومانسى، ويستلقى فى سريره ولكنه من وقت لآخر يدون بعض الملحوظات فى كراسته ثم يعود مرة أخرى إلى مواصلة الاستماع.

كان الهندي يهدئ من لهجته قائلاً:

كل يوم كان يمر علينا سريعًا من مشرق الشمس إلى مغربها، كانت تشرق علينا ونحن مختبئون في أحد المخيمات إلا ذلك اليوم عندما أدركونا عند إحدى السواقي وتبادلوا معنا النيران مرة أخرى بشكل أكثر كثافة، تقع رصاصة هنا وأخرى هناك، وبدأت الأرض في الغليان، كانوا يرغبون في التخلص منا، وبعد برهة قليلة دوى الانفجار الهائل، فرقعة واندلاع ألسنة اللهب كما كان يحدث مع زوجتي وهي تحمّص الذرة، كان زميلي يمشي من جانب لآخر ويقول:

– حتى يلاقوا صعوبة في مواجهتنا.

ثم ينظر للنجوم.

وفي الصباح وصلنا أحد الجبال مشياً على الأقدام، وهناك تصعب الحياة حيث لا ماء ولا طعام ولا حقول الذرة للاختباء.

وأنهى الرجل حديثه بينما السجناء مستمرون في التدخين دون تعليق على الرواية، يبدو أنهم كانوا غير منصتين إلا دكتور أتلس الذي يراجع مذكراته من آن لآخر واضعًا قلمه فوق شفتيه، وفجأة سأل الجندي:

– ما اسمك؟

– إنداليسيو.

– – لقبك؟

– سانتانا.

– من أى جهة أتيت؟

– لقد ولدت فى مقاطعة شامولبو وأرسلونى وأنا شاب صغير مع رجل طيب إلى سهول زمالبوه عندما اندلعت حرب الثوار، وهربنا نحن العمال البسطاء إلى مناجم أحد الرأسماليين الإسبان المستغلين ، وذهبنا مع دوروتيو. رسم دكتور أتلس بعض الخطوط ودون بعض الملحوظات فى كراسته، ثم استلقى فى سريره، وأغمض عينيه، والقلم فوق شفتيه يطبع علامة مريرة.

-٣-

ما أشبه الليلة بالبارحة .. أشعة الشمس تنفذ من بين الأسوار، وخلت حجرة السجن حيث ينتشر دخان (التوباكو) ورائحة العرق الكريهة التى تشبه الشحم اللزج. معظم السجناء نائمون، وعندما يستيقظون تعود سحب الذباب من جديد لتعاقب الشبح(*) الذى يظل هادئا.

سجناء آخرون ينتشرون – فى صمت – فى جوانب السجن يبحثون عن أماكن ظليلة تحميهم من الشمس.

(*) يقصد هنا بشبح الروتو .

كـانت الحـوارات نادرة ويغلب عليـهـا طـابع من الملل على عكس أحاديث الثروة.

إن النفوس تشـعر بقرب نـهايتـها في الدنيا، وهذا نوع من التفكير المميت الذي يعذب أثناء ساعات الانتظار الهادئة .. ابتسامات فاترة.. ضـوء خـافت لقلة زيت القناديل، والعيـون يشع منهـا التـفكيـر في الموت، والوجـوه يكسـوها الحـزن والتسـامح، كـان القدر المشـترك يخلق نبـرة مشتركة في الحديث ولغة واحدة، بل وتعبيرات واحدة فوق الوجوه، كانوا يشـعرون كأنهم ذاهبون إلى شـاطئ بعيد، الضـوء المثلث للشـمس يرتفع مرة أخرى في وحدة قياس حديثة وتكعيبية، ومن حين لآخر ينعكس على ملامح هذه الوجوه الحزينة.

الجزء السادس

كعك وسموم

الكتاب الأول

درس المعبد

(فصل من الكتاب المقدس)

-١-

يتغلب الهندى الحزين على آلامه ويجرى بقوة، ينتشر الهمس ويختلط بالضوضاء، بيوت دعارة متراصّة، قوة ساحرة لنينوسانتوس (Nino Santos) تنين القديس سان ميجيليتو San Miguelito (إشارة إلى كرامة هذا القديس) يخبره بالمؤامرات، ويكشف له الدسائس، لقد كان هو وبانديراس الطاغية صديقين تعاهدا على ذلك، الجنرال بانديراس أعلن أنه محصن من الرصاص إذ تحرسه العناية الشيطانية فى مواجهة تلكَ القوى الخفية غير المرئية، والهنود الحمر عادة - يعيشون فى جو لاهوتى تفرضه حتمية دينية مشحونة بالذعر.

-٢-

ظهر الحرس فى سان مارتين دى لوس مونتنسس ... الحلاق يضع الصابون على وجه الطاغية ... المايور دل ڤاى يقف متجمدا عند باب

الغرفة ويؤدى التحية العسكرية ... يستدير الطاغية بظهره ليسمع البيان المعتاد متظاهراً بأنه يعلم بواطن الأمور ويقول :

- إن أخانا ليسنسيادو فيجياس ذو قلب أبيض بينما هذا الطيب ثقيل الظل خسيس (موجهاً حديثه لدل ڤاى).

مـايور دل الڤـاى، إنك تسـتحق وسـامًـا على هذا، إن هذا التبـاطؤ اللعين فأل سيء.

تصـدر عن دل ڤـاى همـهـمـات سـاخطة أثناء تبـادله النظرات مع مساعديه المنتشرين فى القاعة.

اثنان مــاكــران، يرتديان الزى الرســمى اللامع المزين بالأربطة والريش. كانت الغرفة عبارة عن صومعة كبيرة وخاوية، يملؤها شعاع الشمس الأحمر المترب، بينما تنتشر أعشاش الحمام قرب السقف. التفت بانديراس الطاغية وقناع الصابون يكسو وجهه. ظل المايور عند الباب عـاقـداً يديه فـوق صـدره: كـان فى حـاجـة إلى أربعـة كـؤوس لكى ينتعش، ويتغلب على حزنه حيث كان يشعر بزيف وخداع يؤلمه.

الوجوه تكسوها الحيرة، وتشعر بكسل وإحباط لعدم صدق الموقف. نظر إليه الطاغية فى صمت، وأشار بعد ذلك إلى الخادم بأن يستمر فى حـلاقـة ذقنه، الخـادم دون كـروث (Don Cruz) رجل زنجى لئـيم، عـجـوز زنديق، ذو شـعـر رمـادى مـجـعّـد، وُلد عـبـداً، نـظراته باردة مـثل الكلاب عندما تُعاقب، يتحرك فى مسكنة وغباء حول الطاغية :

– كيف كانت الأمواس يا سيدى ؟

– لا تصلح إلا للحلاقة للأموات .

– إنها إنجليزية.

– هذا يعنى أنها مستعملة يا دون كروث .

– سيدى إن حرارة الشمس جعلت الجلد ضعيفاً للغاية .

لايزال المايور ثابتًا فى وقفته العسكرية، نينو سانتوس يميل إلى المرآة الصغيرة التى أمامه، كان يرى بروز الباب وجزءًا من الغرفة بشكل مشوّش :

– إنه ليحزننى حقًا أن يخرج الكولونيل دى لاجاندرا عن القانون. أشعر حقيقة بفقدان الصديق، لأنه هدم ذلك برعونته، كنت أود الصفح عنه لكن عناده حال دون ذلك، إنه عاطفى شفوق. لقد كان يستحق وسامًا آخر: وسام نهاية الخدمة.

ما يوردل القاى قدم طلب حضور أمام المحكمة لاستجواب هذا القلب الساذج، والطالب الشاب حول سبب وضعه فى السجن.

يجتهد المايور دل القاى – وهو في موقعه – لتوضيح الأمر:

– لقد أعطى معلومات خاطئة، وعرقل القبض على المتهم عندما أتاح له الهروب من النافذة.

مطّ بانديراس الطاغية شفتيه، وتغيرت نبرات صوته تلقائيًا واختفت نبرته الشفافة فى التو واللحظة:

- إنها ملحوظة جيدة جداً، بما إن سيادتك سترتخى (أى سيدركك الحين) أمام السور بعد ذلك ما عائلة هذا الشاب؟

- إنه نجل المرحوم دكتور روسالس (Dr. Rosales)

هل أوضح لكم - أكثر - تعاطفه مع دى لاجاندرا؟ من المناسب أن نطلب من قسم البوليس معلومات أكثر، قم ونفذ هذا الإجراء القانونى دل ڤاى.

اتجه المايور نحو الملازم مورثيواً (Morcillo) قائلاً:

- عليك اتخاذ التدابير اللازمة للقبض سريعًا على الكولونيل دى لاجاندرا، و مقابلة القائد الذى سيدبر خروج القوة سريعًا لضرب كل المنطقة. لابد من تنفيذ هذا الأمر بهمة ونشاط. إذا لم تستطع أن تقبض عليه اليوم سنجده غداً فى معسكر المتمردين. ملازم ڤالديڤيا (Valdivia) إنك سوف تواجه جنوداً كثيرين فى معسكر المتمردين. اعلم جيدا أنك سوف تواجه جنوداً كثيرة فى معسكر المتمردين.

أخذ الخادم الغبى يساعد بانديراس فى ارتداء سترته بينما يلتف المساعدون فى نصف دائرة، ويخرجون من جوانب متفرقة ملتقطين سيوفهم اللامعة.

– شاك ! شاك !

كان الطاغية يتلصص من خلف النافذة التى يخترقها الضوء، وينعكس على صلعته.

نفخ فى الأبواق، عند قرية التين الجبلية أمام بوابة الدير مما تسبب فى هياج الجنود والأحصنة حول العربة الأثرية المحملة بعتاد البغال، والتى ستستخدم فى زيارات التشريفة لنينو بانديراس .

–٣–

خرج بانديراس الطاغية متجهًا نحو قاعة مجلس المحادثات بخطوة فئرانية ناعمة متلصصًا وهو يضع معطفه على يده:

– سالويتم بلوريمام (Salutem Plurimam) (*)

ترامت دونيا روزيتا بنتادو (Doña Rosita Pintado) تحت قدميه منهارة:

– ما فعلوه مع ولدى ليس عدلاً

أشار المومياء الهندى وهو عابس الوجه:

– انهضنى يادونيا روزيتا. إن المجلس الأول لقضاة الدول من المستشارين ليس خشبة مسرح كوميدى. اشرحى بهدوء ما حدث للمأسوف على شبابه نجل دكتور روزاليس. هذا النبيل المشهور سيكون خير عون لنا، وقيمة كبيرة لدعم النظام. اطرحى دعواك يادونيا روزيتا.

(*) التحية الدينية باللغة اللاتينية .

– چنرالى لقد وضعوا ولدى فى السجن هذا الصباح.

– اشرحى ظروف اعتقاله.

– المايور دل ڤاى كان يطارد أحد الهاربين.

– هل رحّبت به؟

– لم يحدث .. إنه صديقك دوميثيانو، حسب ما فهمت.

– صديقى دوميثيانو يادونيا روزيتا، أتقولين صديقى على الكولونيل دى لاجاندرا؟

– لقد ظلمنى عندما طلب منى أن أحميه.

– إن المجلس الحاكم لأى شعب ليس له أصدقاء يا دونيا روزيتا.

وكيف تتم زيارة الكولونيل دى لاجاندرا فى ساعات غير مناسبة مثل هذه؟

– دخل علينا كالصاعقة، وخرج من النافذة دون تفسير، ليس إلا يا چنرالى.

– ولماذا يختار منزلك بالذات يا دونا روزيتا.

– چنرالى، إنه القضاء والقدر الذى لا حيلة لنا فيه.

– اتفق تمامًا معك، وانتظرى قدر نجلك الذى لن يحدث له شىء خارج نطاق القانون، دونيا روزيتا، اتركينى الآن فأنا مشغول. كم كنت

مـسـروراً لرؤيتك مـرة أخـرى لكى أتذكـر الأيام الخـوالى، عندمـا كـان المرحـوم لوربياتو روزاليس يحتفى بنا. إننى أرى فيك دائمًا تلك المهرة الجميلة لمزرعة تلاباش (Talapachi) . اذهبى واطمئنى لأنه لا توجد قوة تستطيع أن تفرق إنسانًا فى حدود ما نعلم.

– چنرالى لا تحدثنى بغموض.

– انتبهى: إن الكولونيل دى لاجاندرا تحايل على القانون بقفزه من النافذة، لقد تجاوز جميع الأحداث فى هذه القضية، وفى بعض الأحوال نستطيع أن نتخذ إجراءً قانونيًا يجعلنا نتخلى عن هذا العقاب. نحن متفقان يا دونيا روزيتا على أن أحوالنا فى هذه الدنيا مثل أطفال متمردين يمشون بأيد مقيدة تحت لهيب سوط الأحداث. لماذا اختار الكولونيل دى لاجاندرا منزلك بالذات؟ فلتأذنى لى، لا أستطيع التأخر على المحكمة، لكن تيقنى من أننا سننصف ولدك، وفى النهاية سيكون القدر هو الذى يحكم فى القضية.

– سنرى

ابتعد بانديراس فى وقار صارم ... نادى على مساعده الواقف عند الباب، وأشار له فى عبوس:

– لقد أنهت المحكمة أعمالها، هيا بنا إلى سانتا مونيكا.

لهيب الشمس يلمع فوق أسطح الأكشاك المتشامخة عند منعطف الميناء، والبحر الاستوائى الشاسع غارق فى الضوء ولا يتحرك. هكذا يبدو من فوق أرصفة الشحن حتى الأفق.

أسوار السجن لها متاريس تشبه الاستحكامات الأمنية القديمة الخشنة البارزة التى لا تخفى على الأعين.

في ميدان الأسلحة يقف عامة الناس يتسلون بموسيقى خفيفة من آلات نفخ لامعة ومبتذلة فى أكشاك ميدان الأسلحة (Plaza de Armas) (وفى زرقة السماء الموحشة والتى يغمرها الضوء والعنف الذى يمثل الظلم والإهانة والتطرف)

مشاجرات الهنود أصحاب الملاءات تعود مرة أخرى إلى الأروقة والأرصفة، ويرتفع صوتهم على سلالم الكنائس والأديرة ... كانوا ينحنون احتراماً لموكب الطاغية عند مروره، وكان المومياء ذو الرداء (الردنجوتى) يلوح مبتسماً:

- شك، شك ويقول لنفسه: مظهرهم ينبئ عن خضوعهم وهم فى الحقيقة لا يمكن السيطرة عليهم، كان العلماء على حق عندما قالوا إن أهل البلد من العرق الهندى كانوا يتعرضون لعناء وعنف من قبل الإسبان ، وهذا جذر من جذور زعامتنا، إن قيادة الزنوج المولودين فى أمريكا، وعدم مبالاة الهندى ابن البلد بفسقه ومجونه ، وحكم رجال الدين الاستعمارى، كل هذه الأمور هى التى جعلت الأمريكيين الشماليين بمالهم من تفوق صناعى يحطون من قدرنا، وكانت سبب الإتاوة التى تفرضها علينا الدبلوماسية الأوروبية. كل ذلك خلق طبقة من القراصنة الثوريين لكى يخربوا قيمنا، ويستولوا على امتيازات المناجم والسكك

الحديدية والجمارك .. (هيا بنا نلعب معه لعبة(*) شجار الديك بعد أن تخرج من السجن يريد أن يصبح رئيس للجمهورية) شد الجنرال فمه بطريقة مزيفة.

وقف المساعدون وقفة عسكرية، ويحس عسكرى يلتف موكب الفاسدين حول العربة ... ابتعد السوقة من أمامها خوفًا من أن تدهسهم، وفجأة خلت الأماكن، وامتلأ الشارع بالصمت ... على حافة الرصيف يقف هندى أشعث الشعر يؤدى التحية منحيًا بركبته ومصافحًا بصلبان دينية.

لاعبو البلياردو يطلون من شرفة الكازينو الإسباني يهتفون ويصفقون، والمومياء يرد عليهم في عظمة وشموخ رافعًا القبعة العسكرية، والمساعدون يؤدون التحية.

-٤-

ظهر حصن سانتا مونيكا بهندسته المضطربة في المنحدر البحرى اللامع. تشكلت القوة الاحتياطية لتعزيز الدوريات عند باب الاستحكامات الصغير، لم يحرك الطاغية رأسه ولم يبدُ على وجهه الهندى المستعار

(*) لعبة شجار الديك : هى عبارة عن هواية مشهورة بها دول أمريكا اللاتينية مثل كوبا، شيلي، وبيرو، عندما يحضروا ديكين وسط حلبة للمبارزة بمنقاريهما وعندما يتغلب صاحب أحدهم على الآخر يفوز بالانتصار، وهى لعبة تتسم بالعنف حيث يفقد أحد الديوك حياته فى النهاية.

شيء للرد على تحية الكولونيل إرينو كاستانيون (Irinco Castañon) باتادى بالو (Pata de Palo) وبدا مثل الأحجار الزجاجية أو الأصنام المنحوتة:

- فى أى زنزانة يوجد دون روكى ثيبيدا؟

- زنزانة رقم (٣)

- هل عومل بالتقدير الذى يستحقه نبيل مشهور مثله هو ورفقاؤه؟

المعارضون السياسيون - قانونا - يستحقون كل الاحترام من السلطة. إن شدة القانون وصرامته لابد أن تكون حازمة مع الثوار. نفذوا التعليمات بانتظام. هيا بنا نرى مرشح المعارضة لرئاسة الجمهورية كولونيل كاستانيون، اختراق عسكرى.

استدار الطاغية ويده على حافة القبعة ذات الإطار الخشبى الشامخ، رسم نصف دائرة فى الهواء، وتأهب للخروج، التفت إلى حامل المفاتيح الأبله وقال:

- تقدم أمامنا ياسيد ترينيداد (Don Trinidad) جرى دون ترنيو بمكر تبدو العظمة الفائقة في قدمه.

انفتحت البوابات الحديدية، [illegible] حامل المفاتيح الخُطى: رقصت الأسلاك، لحست بركة سريعة عند الرقص طلاء الأحذية اللامعة ، الكولونيل إيرينو كاستانيون يمشي بخطوات رنانة (تك ، تك) أمام الحاشية، والطاغية ماكر كالثعبان يحرك فمه بين مساعديه الثعابين، وألقى نظرة على مدير السجن .

– زنزانة رقم ٣

كان الطاغية عند المدخل خالعًا قبعته يصافح الناس ويمد عينيه ليعثر على دون روكى، كان السجن مزدحمًا عند الباب ... غارقًا فى حزن صامت ومتجمد بينما تعود الطاغية أن يلقى نظرة على ضوء الزنزانة الخافت، اخترق صفوف الأسرة المزدوجة، وأشار بالتحية لحلقة من الناس يتوسطهم دون روكى ثيبيدا:

– سيدى دون روكى، لقد علمت هذه اللحظة – فقط – باحتجازك فى هذا المعتقل، لقد أسفت لذلك، صدقنى أرجوك لأننى بعيد تماما عما حدث لك من مضايقات ولا دخل لى بها.

سانتوس بانديراس يحترم شعبه، واختلافنا الفكرى لايمكن أن يكون كما تفترض – مقدمًا – على المستوى السياسى يا دون روكى، فى كل الظروف سيادتك تمثل بالنسبة لى الخصم السياسى الذى يعى واجباته الوطنية، ويشارك الجماهير فى الاستفتاء، ويناقش ويجادل دون أن يخرج عن حدود الميثاق والدستور.

لقد أصدرت أوامرى – علنًا – وبشدة للتحقيق فيما يرتكبه أولئك المغامرون الخارجون عن القانون، لن أرحم هؤلاء الزعماء الذين لا يتكاسلون فى التحريض على التدخل الأجنبى فى البلاد، ومع ذلك فأنا لا أغضب منهم وأحترمهم، لأنهم يدافعون عن حق كفله القانون لهم.

دون روكى أريد أن أراك هكذا، إننى أعترف بوطنيتك، وكم يسرنى أن تهتم بالدعاية لنفسك لكى تلهب حماس المواطنين من أجل الجنس

الهندى، مازلنا نستطيع التحدث فى هذا الأمر، ولكن ما أريده الآن فقط - أن أقدم اعتذارى عن خطأ البوليس المؤسف الذى أدى إلى انحراف سجن العبيد وكذلك الفساد المتزايد بواسطة الرجل المحترم الذى يحدثنا عنه اللاتينى أوراسيو(*) (Horacio).

كان دون روكى مشرقًا بين أصدقائه البائسين، وتعلو وجهه ابتسامة قديس ريفى، يبدو معها بعض الظلال والتجاعيد فى ثنايا وجهه اللامع:

- سيدى الجنرال - أرجو ألا تؤاخذنى على صراحتى- إننى أستمع إليك كما لو كنت أستمع إلى ثعبان سفر التكوين (من أسفار التوراة) .

قال ذلك وبريق عينيه وانعكاس ابتسامته على وجهه تخلع عليه سذاجة الشرفاء ونزاهتهم، بينما كانت قسمات وجه بانديراس الطاغية جامدة محايدة:

- سيدى دون روكى، لم أنتظر منك هذه الشفافية.

من جانبى كنت أعرض عليك صداقتى المخلصة، وأشد على يديك مصافحًا ولكن من الواضح أنك لا تعدنى صديقًا؟ لذلك أكتفى بأن أكرر اعتذارى.

رفع قبعته، وأشار لمساعديه، واتجه نحو الباب.

(*) أوراسيو Horacio أو هوراس كما نعرفه كاتب لاتينى صديق فرخيليو Virgilio كتب قصيدة تعبر عن العائلة والقومية والدين، وكان المثل الأعلى للفضائل الكلاسيكية فى التوازن والوقار بين علماء الأدب والإنسانيات فى عصر النهضة.

-٥-

قفز الليسنسيادو ڤيجياس (El Licenciado Vegillas) بين الصف المزدوج من الأسرّة، وهو يبكى:

– كوا ، كوا Cua Cua

التفت إليه المومياء:

– كاذب.

– كوا، كوا!

– لاتمزح مثل المهرج.

– كوا، كوا.

– إن هذا التهرج لم يعد يمنعنى.

– كوا، كوا.

– لابد أن أبعده بطرف حذائى.

– كوا، كوا.

يلتقط الليسنسيادو سترته، ويربطها على خصره فى عناد وهو يبكى، يقفز القرفصاء بوجهه الضخم المستعار، وقسمات القناع المبالغة، وعينيه المتوسلتين:

– إننى أخجل من رؤيتك، لأن اتهاماتك ووشاياتك لا تعتقنى، وأنتم تطربون الضفدعة.

– جنرالى، اقترح بدلاً منها:

– جنرالى، نحن متنافران مثل قطبى المغناطيس المتشابهين.

أشار بانديراس الطاغية للحارس الواقف عند الباب شاهراً سلاحه أن يسحب الرجل إلى الأمام:

– سوف أهديه خوذة من الجلاجل.

– جنرالى، لماذا تزعجون أنفسكم!؟

– لا تكثر من الكلام، خذه إلى سان بدرو (San Pedro) سريعًا، سوف تأخذ عربتى إلى لوس مونتنسس (Los Montenses)، لا أريدك أن تذهب إلى العالم الآخر وأنت غير مسرور من سانتوس بانديراس.

لماذا كنت وقحًا معى ليسنسيادو، لن يرى أحدنا الآخر بعد ذلك، من الذى لقنك إذاعة القرارات الرئاسية، والدوافع التى جعلتك تنساق لمثل هذا التصرف المستنكر؟ من شركاؤك فى هذه الجريمة، شرفنى بصعودك عربتى، واركب على يمينى، حتى الآن لا عقوبة عليك، ولكن ربما يتكشف فيما بعد أنك كنت مدانًا فى جريمة كبرى، ولا أريد أن أقضى فى الأمر قبل معرفة حقيقة انتهاكك القانون.

الكتاب الثانى

الضعف الإنسانى

-١-

دون ماريانو إيزابيل كريستينو كيرالت وروكا دى توجوروس Don Mariano Isabel Cristino queralt y Roca de Togores الوزير المفوض من قبل جلالة ملكة إسبانيا الكاثوليكية فى سانتا فيه دى تييرا فيرمى (Santa fe de Tierra Firme) .

رجل يعلق أوسمة الخيل ويشبه رجلاً غجريا أبله. كان الوزير يبقى فى مخدعه حتى الثانية عشرة ظهراً، يرتدى قميصاً حريرياً وردى اللون، ويضع فوق رأسه طاقية من الدانتيل، ويحتضن (مرلين) كلبه الصغير كثير النباح وكان الكلب يلعق وجهه وقناعه بطرف لسانه، وكان الوزير يمسح على وجه كلبه بتصنع ومرح مثل شخص مخنث.

جاء إلى الغرفة كوريّتو مى ألما Corrito Mi Alma مساعد الوزير دون موعد سابق، دخل مسرع الخطى، ثم وقف الطفل الأندلسى

(المساعد) عند الباب، وبينما هو يقرع باب الجناح القرطبي الكبير كان يرفع السيجار على طريقة كأس كنيسة إشبيلية، ثم دخل الغرفة واستهل حديثه على الطريقة الإشبيلية الأرستقراطية وهو يلثغ في حرف الثاء:

- يا ظريف، هل تزينت من أجل احتفالات أسبوع آلام المسيح؟

مالك يامرلين تزمّ فمك مثل ناسك متعبد؟!

التفت صاحب السعادة الوزير المفوض معطيًا ظهره للشاب :

- إنك لا تصلح، لقد اختفيت بالأمس.

- قدّم احتجاجًا دبلوماسيًا، وسأخرج من المأزق حالاً كما نقول نحن الكلاسيكيين.

- دعك من السخرية الآن كورّيتو. إنني مستاء للغاية.

- سوف ترى إيزابيليتا(*)

- إنك لا تصلح سوف تتسبب لنا في فضيحة.

- إنها أحقاد، لقد نمت في المفوضية على حصيرة من السعف، وليس هذا بالأمر الهين، لقد استولى البوليس على إدارتي، وكذلك على كل المراسلات.

(*) يقصد الوزير المفوض .

اعتدل الوزيرالإسبانى من رقدته مذهولاً، تاركًا كلبه معلقًا من ياقته الصوفية:

– ماذا تقول؟

ردّ عليه ألكورّو غاضبًا:

– إيزابيليتا، أعطنى دواء الخردل من أجل عينى.

– أين أخفيت رسائلى؟

– إنها حقيبة دبلوماسية بسبعة أقفال معدنية.

– لقد تعرّفوا علينا إذن ياكوريّتو. إنك تكذب لكى تبتزّنى.

– لا تخلط الأشياء إيزابيليتا فأنا لا أكذب.

– كوريّتو. إنك وغد لا حياء عندك.

– شكرًا على هذا الغزل إيزابيليتا، لكن الليسنسيادو لوبيز دى سالمنكا هو الوحيد الذى سعى لذلك.

– كوريّتو أنت سافل.

– فليدهسنى ثور إن كنت أكذب.

– هذه الخطابات يجب حرقها. وهذا هو الأصوب.

– جرت العادة على أن نحتفظ بها.

– لو وقعت هذه الرسائل فى يد الرئيس، آه لا أريد أن أفكر فى هذا. إنه موقف صعب للغاية .. إنه معقدّ جداً.

– أيحدث هذه للمرة الأولى؟

– لا تعاكسنى فى هذه الظروف من الممكن أن أفقد منصبى.

– أطلب زيادة المهلة .

– إننى مغضوب علىّ من الحكومة.

– إذن اقترب من الغبى، وقدّم له وجبة خفيفة.

– يا روحى ، إنك لا تعرف صعوبة ذلك.

فى هذه اللحظة شد ممثل صاحبة الجلالة قدميه ونزل من السرير ممسكًا برأسه:

– إذا نشرت الجرائد ذلك سأكون فى مأزق.

– إذن اخدع بانديراس الطاغية.

نهض وزير إسبانيا وهو يضغط على قبضة يده:

– لماذا لم أنشب مخالبى فيك؟

– إنه شك يستحق التقدير.

– كورّيتو أنت سافل، تريد أن تبتزنى.

– إيزابيليا، أحلف بهذه الصلبان المقدسة.

كرر النبيل خائفًا:

- أنت سافل.

- أقسم لك بالأيقونة المقدسة الذى وضعتها لى أمى المسكينة عند خروجى من الحبيبة إسبانيا (قال ذلك، وهو متأثر بالحنين إلى الوطن على طريقة التواشيح الشعبية الأندلسية).

كان سعادة الوزير المفوض يلحظ لهيبًا ساخراً فى زرقة عينيه الجاحظتين :

- حسنا الآن انهض ومارس دور الوصيفة.

- أنت يا خبيثة.

-٢-

ذهب ممثل صاحبة الجلالة - بكامل زينته وعطره الفواح - إلى الصالون حيث كان ينتظره دون ثيليس (Don Celes) ، يسيطر عليه التشاؤم والإحباط ويتلفظ بشعارات رنانة.

كان الوزير قد وضع اللمسات الأخيرة على مظهره فحلق ذقنه مرة أخرى. هذا الوزير الذى عرف عنه ضميره الميت، وانحرافاته الأخلاقية، وعاداته الاجتماعية المنحرفة واستهتاره الأخلاقى غير المحدود، إنه يشبه شخصاً جاء من لاتسيو(*) يجيد عدة لهجات يتفاخر بها أمام الآخرين ..

(*) لاتسيو Lacio منطقة فى إيطاليا الوسطى على البحر يتحدث أهلها لهجات مختلفة.

يسخر .... يهجو .... يتلطف مع رفقاء شباب.... مغرور طائش .... لا يتحلى بالشفقة، ومع ذلك يقال عنه: راهب هيبى (*)

كان شريف بنى كارلس يمارس هذه الهواية المصطنعة بزيه الدبلوماسى، متغزلاً بين السيدات: يثرثر ... يهمس ... يضحك .... يسحر السيدات أحياناً بعباراته المعسولة، وابتسامة أسنانه الذهبية، وتمثيله على طريقة سكان لندن (**) .

"كان يستخدم هذا الذكاء للتغرير بالنساء على اختلافهن: متوسطة العمر، العجوز، والرشيقة والممتلئة، ويوهمهن بأنه يستطيع أن يوفر لهن عيشة أفضل.

كان من الأفضل أن يكون عدد الأغنياء فى العالم أقل من ذلك، حتى لا تتوجع أسنانهم، ولا كان أصحاب البنوك يلغون اعتماداتهم. كان يجب أن يصير عمر الموت واحداً بالنسبة لجميع البشر، مثل سن قُرعة التجنيد العسكرى، وكلها إصلاحات دون أمل، وليس لها صلة بالتقنيات الحديثة. إن فن الهندسة العظيم مثلاً عتيق جداً منذ الأزل. يوجد رجال صناعة أمريكيون وألمان يدعمون الإصلاحات الكبيرة فى العالم لو تواجدوا فى مجلس إدارة واحد"(***)

(*) Hebe : إله الشباب عند الإغريق..

(**) ويقصد هنا بطريقة سكان لندن (الذين يهتمون بارتداء القفاز والمبالغة فى التحية به).

(***) هذه الفقرة تعتبر تعليق من الكاتب أو الراوى على أمور مختلفة الجوانب ويريد طرحها على القارئ فتأتى كجمل اعتراضية بعيدة عن تسلسل القصة.

كان وزير صاحبة الجلالة ذا شهرة بين السيدات بأنه روحاني، وكن يحاولن معه عبثًا بعيونهن الدامعة.

-٣-

- عزيزى ثيليس

أخفى الوزير همّه عند دخوله الصالون، وأخذ يخطط بسوء ظنه: دون ثيليس - الخطابات - تكشيرة الطاغية، أفكار تتوالى والشيخ الهرم يتذكر مجموعة رسائله الغرامية، والقلق المؤلم بسبب اضطرابات بعيدة فى أحد قصور أوروبا، كان الإسبانى اللامع فى قاعة الاستقبال يرتدى قبعة من القش ويضع قفازه فى حزام سرواله، وقف مذعوراً من نباح الكلب الصغير الشرس والمدلل، كان صوته يخرج من بين ساقى سعادة الوزير الطويلتين كالناى المرهف:

توجه دون ثيليس نحو الكلب:

- ألا تريد أن تصادقنى.

شدّ دون ثيليس على يد الشيخ الهرم كما لو كان فى عزاء، ورد عليه الرجل فى شىء من اللامبالاة:

- عزيزى ثيليس، يبدو على وجهك أنك تحمل أخباراً سيئة.

- صديقى العزيز إننى مهموم حقيقة.

سأله شريف بنى كارلس بنبرة عدم احترام:

- ماذا حدث؟

- عزيزى ماريانو إنه ليحزننى أن أقدم على هذه الخطوة، صدّقنى، إن الظروف الاقتصادية الحرجة التى تمر بها البلاد تجبرنى أن آخذ النقود.

شدَّ وزير جلالة الملكة الكاثوليكية على يد الإسبانى الشهير متصنّعا:

- ثيليس إنك أحسن رجل فى العالم. إننى أشعر بمعاناتك بسبب النقود.

لقد اكتشفت قلبك الكبير اليوم.

هل تعلم سيادتك آخر أخبار إسبانيا؟

- هل توجد طرود؟

- أقصد تلغرافات.

- وهل يوجد تغيير سياسى؟

- إن حقيقة السياسة فى القصر.

- أهذه حقيقة. إنها ليست مفاجأة، بالنسبة لى. لقد كانت هى الأنباء التى عندى لكن الأحداث توالت سراعًا.

- ثيليس ستصبح وزيراً للمالية، تذكر ذلك (قال ذلك وعانقه).

- عزيزى ماريانو.

- ياله من ختام كريم لحياتك ياثيليستينو، وأشار له بالجلوس، ثم جلس بجانبه على حافة الأريكة وردفه بارز متظاهرًا بالشباب.

انتفخ الجاشوبين الإسبانى لهذا الإطراء من الوزير المفوض.

إميليو (Emilio) سوف يتصل بك تليفونيًا .

الوطن الأم (إسبانيا) شعر دون ثيليس بالتزام أدبى غامض وسيطرت عليه مشاعر العظمة والوقار، كان يشعر أن طيفه يعلو ويعلو بينما جسده يتضاءل. سيطر الحنان على قلبه فأخذ يردد كلمات موزونة فى صوت عذب تغلفها الرهبة .. مجلس النواب ... التضحيات .. تبنى السياسات كل شىء من أجل وطنى. تلك السيدة التى تدخل بجسدها الممتلئ، وتاجها ، وشعارها ووصيفاتها ، كل ذلك أهاج مشاعره مثل ممثلة المسرح التى تقطع أبيات الشعر تحت تأثير ضوء المسرح، والديكور والستارة.

شعر دون ثيليس بأنه مغلف بكبرياء مقدس، وتخيل الرداء المناسب لوظيفته الجديدة رداءً مزركشًا مثل ذيل الطاووس، صور بلهاء لتاجر اختصر قناعه الزخرفى على الطراز العربى فى هروب (أى فرار) وفر من الأصداء.

كان الإسبانى الشهير يخشى نقصان أرباحه لو صار استغلال الهنود الحمر والزنوج لصالح الوطن الأم. أمسك صدره وأخرج محفظته:

– عزيزىماريانو، في مثل هذه الظروف التى يمر بها البلد مع قلة استقرار رأس المال أتوقع خسارة باهظة فى إسبانيا، سيادتك تعرفنى جيدًا، إنك تعلم كل ما يضايقنى، سيادتك تعلم نواياى الحسنة فلا تضعنى فى موقف حرج.

كان البارون يشد كلبه من أذنيه بابتسامة مكتومة:

– ثيليستينو الثمين، تخيل نفسك تقوم بمهمتى ، عذرك، كلماتك، اجعلها كلماتى ليس من المفروض أن يحدث هذا. ضع نفسك فى مكانى من فضلك. فلا تهددنى بالمحفظة التى تُخيفنى أكثر من المسدس، أدخلها ودعنا نكمل حديثنا، عندى مزرعة فى مقاطعة أليكانت (Alicante) أريد بيعها ، لماذا لا تشتريها؟ إنها تصلح هدية لصديقك الخطيب السياسى الفصيح. فكر سوف أتساهل معك فى ثمنها.

أغمض دون ثيليس جاليندو عينياه ، فاتحا ابتسامة الوحى والإلهام من بين اللحية القرفية اللون .

-٤-

كانت دائرة أفكار الإسبانى اللامع سريعة ساخنة وغريبة الأطوار، إذ كان يتسم بالعظمة وتسيطر عليه الهموم فى الوقت نفسه، كان يدرك أن مجموعة رسائل وزير صاحبة الجلالة الكاثوليكية لكورّينو الإشبيلى تعد انحرافًا وعارًا إسبانيًا أحمر وأصفر.

فجأة وردت على ذهنه إيماءة الاحتقار الخضراء التى ستصدر عن بانديراس الطاغية: أُو، شذوذ !!! إيماءة الاحتقار تسحق الخطابات.

يحدث هذا من الوزير المفوض فى الوقت الذى يقدم فيه دون ثيليس رأسه فداء للوطن الأم. انتابته نوبة من الكرم والحماس وهو يندفع لسلب أموال الآخرين بالحيلة وتحمس للإفراط فى الهدايا أثناء الاحتفال بالعيد القومى للبلاد. وانتفخ أكثر فى ملابسه حتى ضاقت عليه. من ناحية أخرى، يجلس البارون نصف جلسة فى الأريكة، تصدر عنه ابتسامة بروتوكولية عذبة وغامضة. ودون ثيليس يشد على يديه مشفقًا ورحيمًا، كما لو كان منديله فى القياكروسيس لاماريا ڤيرونيكا:

* El Viacruces la Maria Veronica

– لقد عشت عمرًا طويلاً وعندما يعيش الإنسان كثيرًا تكون له خبرته فى فهم أفعال البشر. أتفهمنى عزيزى ماريانو.

– مازلت لا أفهمك

شخصت عينا البارون الجاحظتان الزرقاوان، وتغيَّر وجه دون ثيليس فى إشارة كبيرة محايدة وكتوم:

– بالأمس تجاوز البوليس الحدود المعقولة من وجهة نظرى، ونفذ أمر الاعتقال فى أحد الرعايا الإسبان، وقام بتفتيش حقائبه... لقد تجاوز الحدود المعقولة من وجهة نظرى.

وافق الشيخ الدبلوماسى الهرم بتصنع وجفاء:

(*) ماريا ڤيرونيكا Maria Veronica سيدة يهودية من القديسات حسب ماجاء فى الأسطورة نظفت وجه المسيح عندما صعد لطوق النجاة بمنديل فصار هذا المنديل رمزًا للنجاة.

لقد علمت بذلك الآن، فقد زارني كورّيتو وأخبرني بهذه الواقعة.

ابتسم مندوب جلالة الملكة الكاثوليكية، وتشقق قناع زينته فوق وجهه، فقد كان يملك وجهاً مستعاراً ساخراً لاذعاً.

نظر له دون ثيليس مذعوراً:

– ماريانو إنها قضية خطيرة جداً، يجب أن نتكتمها.

– ثيليستينو العزيز، إنك تشبه العذراء الخجول، كل هذا ليست له أدنى أهمية، قالها ووجهه مقطب وقناع وجهه لا يزال منتفخاً متشققاً بينما همس دون ثيليس:

– عزيزي ماريانو، من واجبي أن أحتاط من أجلك، هذه الرسائل تحت يد الچنرال بانديراس الآن، ومن الممكن أن تهدد مستقبلك السياسي، لكن ماذا عن الوطن عزيزي ماريانو يجب ألا ننس الوطن، فهذه الرسائل تحت يدي الجنرال بانديراس.

– هذا الخبر يرضيني، السيد الرئيس يعرف جيداً كيف يحتفظ بها.

قال ماريانو ذلك في ترحاب وغموض مثل قس إغريقي عندما يتحدث عن الفساد.

ألح عليه دون ثيليس وصار أكثر وداً في كلامه:

– عزيزي ماريانو، تعلم أنني لا أحكم عليك من خلال تلك الرسائل، لكن من واجبي أن أحذرك.

- أشكرك على هذا أيها الصديق ، اترك ولعك بالخيالات وثق أن هذه الرسائل ليست لها أدنى أهمية.

يسرنى سماع ذلك لكنى أخشى الفضيحة ياعزيزى.

- هل من الجائز أن يكون عدم تهذيب فى الوسط الاجتماعى؟

سيصير ذلك سخيفًا تمامًا .

أومأ دون ثيليس موافقًا على ذلك.

- بدون شك، لكن يجب السكوت على الفضيحة.

أغمض شريف بنى كارلس عينيه مفرطًا فى التألق من الازدراء:

- إنه هذيان! أعترف لسيادتك بأن كورّيتو هو الذى جعلنى ألتفت إلى هذا الأمر، أتعرفه؟

كان يتكلم وابتسامة لطيفة تصاحبه بلكنة بريطانية وعدم مبالاة لدرجة أن الجاشوبين المذهول لم يتحمس لكى يخرج من القناع إيماءات كبيرة. أفلسوا جميعًا، همس لاعبًا بالقفاز:

- لا لم أعرفه، نصيحتى ماريانو أن تأخذ الجنرال صديقًا.

- أتعتقد أنه ليس كذلك؟

- أعتقد أنك لابد أن تراه.

- أفكر فى ذلك، سأفعل

– مـاريانو أفـعل ذلك، أتوسل إليك باسم الوطن الأم، من أجلهـا، ومــن أجـل المستـعمـرة، فــأنت تعـرف أهـلها، إنهـم غيـر مـهـذبين، لا تقاليد ولا ثقافة. آه لو حمل التلغراف أخبار سياسية جديدة ....

– سأكون على اتصال بك، وأكرر تهنئتي، فأنت رجل عظيم.

إلى اللقاء عزيزى ثيليس.

– اذهبْ سيادتك لرؤية الرئيس.

– إذن سأذهب الآن وأنا مستريح بعد هذا الوعد.

جاء كورّيتو مي ألما من الداخل يجرّ ذيله، ليقول بطلاقة، وهو أكثر زهوًا من الطائر:

– لقد كنت أكثر من رائع إيزابيليتا.

رد عليه بارون بني كارلس فى تأثر .

– يخيل إليّ أن هذا تجسس غير لائق.

– انظر إلى عينى

رد عليه جادًا:

– لا تكن أبلهًا.

أشجار الأرز والريحان تنشر ظلها على أحواض الحديقة الخضراء وعلى حافة الصالون تنساب نسمة الفل المعطرة.

كانت حديقة الڤيرينا (Virriena) عبارة عن أشكال هندسية أنيقة من الينابيع وأحواض الريحان والطرق المتساوية، شريط ثابت من المرايا السوداء، تصطف الصهاريج بين أشجار الأرز. أعطى وزير جلالة الملكة الكاثوليكية ظهره للقواد (دون ثيليس) وظل محبوساً فى شرفة المستعمرة المضيئة، ووضع نظارة بعين واحدة تحت حاجبه.

أشجار اللبلاب تزين الحديقة الجميلة، ونبيل بنى كارلس يستند بوجهه على نافذة زجاجية ضخمة ورشيقة، على الطراز الإنجليزى، وارتسمت على وجهه علامة كبيرة من القلق.

الكورّو ومرلين: كل منهما يتأمل الرجل من زاويته فى ظل ضوء الحوض الأزرق فى المنحنى المستدير بأخشابه من الصمغ الشرقى الخاص بالعائلة المالكة ورائحة زهرة المنويت الفرنسية بواسطة الملوك والأميرات فلوردى الميدرو (Flor de Almedro) كسّر الكورّو سحر المكان فتفته عندما بصق متقززاً:

– إيزابيليتا، ثيابك، ارفع شعرك على هيئة ذيل حصان لكى تعتاد الكذب، الشىء نفسه موجود بإنجيل الأب كارويا ، إيزابيليتا، يجب أن تمارس حياتك وتخرج لسانك لبانديراس الطاغية.

– أنت حقير.

– إيزابيليتا، هكذا تمنع هنا المحاكمة.

الكتاب الثالث

المذكرة

-١-

كان سعادة الوزير المفوض لدولة إسبانيا - شريف بني كارلس - قد طلب السيّارة في تمام السادسة والنصف. وتهيأ لذلك، فارتدى ثيابه الأنيقة، وتزين وتعطرّ ووضع (مكياجه) وبدا مخنثًا. وضع القبعة والعصا والقفاز فوق الكونسول(*) وشدّ حزام الخصر، وعاد إلى الغرفة .. رفع ساق البنطلون حتى لا يتجعد، وحقن نفسه بالمورفين، ثم نهض بانحناء خفيف. وعاد إلى الكونسول، فارتدى القفاز ووضع القبعة فوق رأسه ... كل ذلك أمام المرآة حيث بدت عيناه جاحظتين، وفمه منهك يرتعش معبراً عن ذهنه المشوّش. عندما كان يرتدي القفاز أبصر قفاز دون ثيليس الأصفر.

فجأة قفزت إلى ذهنه تهيؤات أخرى مع وجيب قلبه المضطرب وشعور ببعض المشاكل والأزمات .. كان الكلام يخرج من فمه مختلطاً

(*) المائدة الصغيرة المستندة إلى الحائط وراء باب المنزل .

مضطربا دون التزام بقواعد النطق والكلام بينما تنتشر تماثيل الثيران الجرانيتية فى الهواء الطلق ... شعر بلغط واضطراب وألم فى قلبه وظل ذهنه مشوشا، وقال لنفسه:

– دون ثيليس. مرح وغبى! مدهش . . (شعشع) ذهنه وسط شروده ومرحه، ثم توالت على ذهنه أفكار أخرى دون منطقية أو ترتيب.

كان دون ثيليس منافقًا متملقًا يأتى بحركات مجاملة أشبه بحركات القرود فى حلبة سيرك أمام العربة ذات اللون الزاهى.

فعلاً كان الجاشوبين المنتفخ، ياله من إنسان جاهل. لقد أوهمه كاستلار (*) أنه سوف يستدعيه ليجعله وزير المالية عندما يعتلى الحكم.

ابتعد البارون عن الكونسول ... اجتاز غرفة الاستقبال والصالة وأصدر أوامره لمساعده، وهبط السلم فى غمرة أضواء الجدول الصغير الصاخب.

وصلت العربة مجتازة سوق البلدة، والسائق يمسك بالخيول ووجهه تبدو عليه ملامح الجدية، عند السلم كان الخادم يقف ثابتًا ويؤدى التحية ... تماثيل الحديقة الجرانيتية متباعدة ضاحكة يشع منها لون أزرق داكن يكسو حوافها بينما يبدو من السقف الفتحات الزجاجية الخضراء.

(*) Castelar كاستلار: سياسى وكاتب إسبانى (١٨٣٢–١٨٩٩) كان وزيراً للدولة، ورئيساً لأول حكومة جمهورية عام ١٨٧٣.

عندما وضع الوزير قدمه على سلم العربة بدت أفكاره داخلة أكثر عقلانية ووضوحًا: "لو حلّت هذه المشكلة لن أكون وحيدًا (قالها ساخرًا)، سأكون موضع سخرية من أربعة بقالين.

إنه لشيء سخيف أن يتعرض أحد رجال السلك الدباوماسي للخطر.

حقا إنه أمر سخيف.

كانت العربة تهدئ سرعتها إيذانًا بوصولها، حمل البارون قبعته بطريقة آلية، ثم قال لنفسه: "لقد قاموا بتحيتي من هم ؟"، ومن زاوية مظلمة رأى الشارع صاخبًا بموسيقاه وأضوائه، والأعلام الإسبانية ترفرف على الحانات وبيوت المرابين، تذكر إحدى الحفلات الماجنة العامرة بالنبيذ في الكازينو الإسباني... استشعر وحدته مرة أخرى وعاد عقله يضخّم له الأفكار والتصورات بما يشبه الألعاب (الأكروباتية) في السيرك، وقال لنفسه: "ليتهم يرسلونني للعمل في وسط إفريقيا حيث لا توجد مستعمرة إسبانية ... مازح نفسه: "دون ثيليس شخصية غير معقولة وسخيفة ... ما أجمل فكرة كاستلار! لقد كنت عديم الشفقة معه.

لقد أحزنني ذلك، إنها نكتة سمجة (لكن ذلك لن يكون دون سند إذني ، كان حسنًا ذلك كونه أوقف فجأة)

والدّين يجب أن يزيد مبلغًا زهيدًا .... إنه مزعج، إنه لشيء مهين يضيّع الكرامة ... إن المرتبات زهيدة، تافهة حتى بدلات السفر.

-٢-

كـانت العـربة تتـأرجح وهى تدخل لارينكو نادا دى مـادرس (La Rinconada de madres) . كـانوا فـى جـدال شـديد، يتـشـاجـرون، والمشـهد بارز وسط الصـمت الشـديد الذى قطعتـه سـحابة من الضـجيج الشعبى.

رفع البارون نظارته ذات العين الواحدة لينظر إلى عامة الشعب، ثم تركها تسقط بعد ذلك بحركة مهذبة، الأمر الذى دفعه لتذكر حياته فى القصور الأوروبية.

داعبه نسيم زهر البرتقال عندما اقتربت السيارة من أسوار حديقة الراهبات الصـغيرة، كـان ضـوء السمـاء أخـضـر مـثل بعض سمـاوات فـيـرونيس (Veronés) (*) ، القمر هو فى كل الأمـاكن دائرة مضيئة من الأشعار الإيطالية أو الإنجليزية أو الفرنسية.

تخيل الشـيخ الدبلومـاسى خـواطره الغـامـضـة على هيئة مـثلثـات متشابكة كثيرة العدد منها ذكريات تشاؤمية وحنين رقيق واعتذار، لماذا كل هذا؟ رؤوس من الجرانيت، تحـولات متتـالية، كلام مشـحـون بالمعـانى، مجرد تصـورات مثل كلمات مسحـورة عرف عن طريقـها حُلمه فى السفر لبلاد غريبة. توقف عند مجموعتـه العـاجية كان يشبـه دون ثيليس وهو يضحك ببطن عارية.

(*) (Veronés) فيرونيس: رسام إيطالى مشهور ولد فى فيينا عام ١٥٢٨ وتوفى عام ١٥٨٨ وبرع فى تصوير منظر السماء.

عاد يعبّر عن خواطره مرة أخرى بصوت مسموع:

سوف يؤلمنى ترك البلاد، سأحمل معى ذكريات كثيرة، صداقات لطيفة جداً، أعطتنى الحلو والمر. الحياة فى حقيقتها تشبه جميع الأماكن. الرجال دائمًا متفوقون على النساء. حدث هنا كما حدث فى لشبونة. يوجد بين الشباب أبو لليون(*) حقيقيون... من المحتمل أن يصاحبنى الحنين الدائم لهذه الأجواء الاستوائية. قلب المحروم دائمًا يخفق! كانت العربة قد اقتربت من بورتاليتوس دى خيسوس **Portalitos de Jesus**

بلاثا دى أرمس **(Plaza de Armes)** ومونو تومبو **(Monotombo)** ورنيكونادا دى مادرس **Rinconada de Madres** حيث كان ضوء صناعة الحمائل وشغل الفضة المتقن وكذلك (المطاوى) والسكاكين ورقع الشطرنج وعقود الكريستال.

-٣-

وصلت العربة إلى المفوضية الإنجليزية التى يقع قبالتها مسرح عرائس للحفلات المنزلية، اقتربت العربة من الرصيف وشد السائق لجام الأحصنة بينما الخادم يقف بثبات على سلم العربة لتحية البارون الذى لمح - عند نزوله - إحدى السيدات وكانت تضع (طرحة) فوق رأسها وفتحت ذراعيها مثل الكماشة السوداء، ربما تطلب منه شيئًا. تلاشت

(*) أبو لليون: نسبة إلى أبولوس Apolas اله الجمال.

الصورة. ربما صارعت العجوز حتى تصل إلى العربة فتمهّل البارون لحظة على حافة سلم العربة ملقيًا نظرة على حفلة الرنيكونادا ثم دخل المفوضية. اعتقد فى بادئ الأمر أنهم ينادونه، بدون شك إنهم ينادونه فعلاً، ولكنه لم يستطع النظر إلى الوراء.

أوقفه وزيران للتحية برفع القبعات طبقًا لأصل البروتوكول وكانا يقفان على السلم تحت النجفة اللامعة أمام المرآة التى تبرز الوجوه بهندسة منحرفة.

كان بارون بنى كارلس يرد التحية يرفع قبعته أيضًا بينما هو شارد الفكر مشتت الذهن. بدأ يتخيل العجوز ذات الذراعين المفرودتين مثل الكماشة تحت (طرحتها)، ربما كانت هى الصوت الذى يناديه، مشى شاردًا بينما تنهال عليه تحية الوزراء. كان يبتسم شكليًا للوزيرين تحت النجفة اللامعة. صعد السلم بين وزيرى شيلى والبرازيل، وهما يتبادلان التحيات وعبارات المجاملة، همس ضاغطا على أحد حروف الكلمة من أنف لطيفة بروتوكولية.

- أعتقد أننا نحن أول من وصل.

نظر إلى قدميه بقلق شارد خشية أن يكون بنطلونه قد تجعد. شعر بلدغة المورفين. لقد انحلّ رباطه، تشاءم لأن وزير البرازيل يضع يديه فى قفاز يشبه قفاز دون ثيليس الأصفر.

-٤-

عبَّر عميد السلك الدبلوماسى سير جونس سكوت (Sir Jonnes H.Scott) وزير ملكة بريطانيا عن استيائه وارتيابه التزمت بلغة فرنسية ركيكة تجاه الجميع لا فرق بين هذا وذاك.

كان السير صغير الحجم ذا كرش ونفس مرحة، وصلعة كبيرة لشيخ وقور، رأسه أشقر ناصع مشتعل، وفى زرقة عينيه ريبة وسوء ظن، فى النهار كان يمارس ألعابًا طفولية:

- لقد صرّحت إنجلترا فى مناسبات عديدة بعدم رضاها عن الإخلال بابسط القواعد الأساسية فى الحروب، إنجلترا لا تستطيع أن تكون شريكًا فى عدم المبالاة إزاء إعدام المسجونين، إنه انتهاك صريح لحقوق الإنسان ولكل المبادئ والاتفاقيات المبرمة بين الشعوب المتحضرة.

كان دبلوماسيو أمريكا اللاتينية يصدرون همهمة متفقًا عليها فى كل مرة يشرب فيها سيرجونس سكوت البراندى المثلج بالصودا.

كان وزير إسبانيا منشغلاً بمغامرة عاطفية إذ وقعت عيناه على الوزير المفوض لإكوادور دكتور أنيبال رونكالى (Dr. Anibal Roncali) أحد الأوروبيين المهاجرين لأمريكا: كانت الجاذبية تشع منه بشعره الداكن المجعّد وعينيه المتوقدتين ووجهه اللطيف ذى التأثير الرقيق وذقنه التى تشبه خيال الظل الصينى.

كان ڤون إستروج Von Estrug الوزير الألماني يتبادل الحديث مع وزير السويد إلكوندكريسبي Elcond Crispi بصوت خفيض وكلمات لا تنتهي. أما وزير فرنسا فكان يرفع رأسه بتكبر وانتباه مصطنع، ويبدو نصف وجهه في انعكاس النظارة ذات العين الواحدة وهو ينشف شفتيه ويتابع حديث سيرجونس الفاضل:

- يلزمنا الشعور المسيحي بالتضامن الإنساني لكي نتناول القربان المقدس، ونشترك جميعًا في عمل جماعي، نرجو الالتزام بالأعراف والقوانين الدولية التي تنادي باحترام المسجونين وتبادل الأسرى.

أعتقد أن حكومة الجمهورية لن تخالف رغبات السلك الدبلوماسي. هكذا وضع ممثل إنجلترا خطًا لأفكاره على المائدة، ولكنه مهتم في الوقت نفسه بسماع رأي باقي أعضاء السلك الدبلوماسي، فهذا هو الغرض من اجتماع كل أولئك الوزراء:

- بصفتي عميد السلك الدبلوماسي أقدم لكم عظيم اعتذاري لاستدعائكم جميعًا لأني أرى أن اجتماعنا أمر واجب.

أمَّن رجال السلك الدبلوماسي على هذه اللياقة وهنئوا عليها ممثل صاحبة الجلالة سير سكوت.

بعد ذلك أخذ وزير البرازيل الكلمة، إنه رجل ذو وجه مستدير، كهرماني اللون، ذو ملامح أسيوية لموظف رفيع في الإمبراطورية الصينية القديمة، أبدى تقديره لما قاله سيرجونس سكوت الفاضل. كان كثير

الحركات، يكوّر يديه ويرفعهما لأعلى، بينما بارون بنى كارلس يشعر بضيق وقلق بسبب قفاز دون ثيليس الأصفر، الذى يمنعه من المداعبة.

ترك مقعده واقترب من وزير إكوادور بابتسامة ومزاح:

- إن الزميل البرازيلى جاء بضوضائه كأنه يرقص الكناريو القديمة.

بعد ذلك تحدث السكرتير الأول لمفوضية فرنسا (نيابة عن الوزير):

- إن هذا قناع. إنها آخر صيحة فى قصر سانت چيمس.

أثار مشاعر بارون بنى كارلس شيء من الإعجاب الساخر حين تذكر دون ثيليس.

هَمّ وزير إكوادور بالوقوف بينما تهتز تجاعيده الأبنوسية. كان بارون بنى كارلس معروفًا بخبرته العظيمة فى البروتوكول فارتسمت على وجهه ابتسامة عناء، وخفة ظل أمام تلك الإيماءات والحركات، وذلك التيار البلاغى الجارف لوزير إكوادور.

لقد اقترح دكتور أنيبال رونكالى أن يعقد دبلوماسيو أمريكا اللاتينية اجتماعًا خاصًا بعد ذلك برئاسة الوزير الإسبانى، الذى يمثل الشباب الواعى الذى يبسط جناحيه للبطولة تحت علم إسبانيا الأم.

أبدى دبلوماسيو أمريكا اللاتينية موافقتهم فى هدوء، بينما حياهم بارون بنى كارلس بانحناءة وقال:

أشكر لكم هذا الشرف نيابة عن الوطن الأم. ثم شدّ على يد وزير إكوادور الداكنة بين يديه اللتين تشبهان أيدى الجوارى.

وفى تصنع وابتسامة معسولة وعناق بالغ أبدى موافقته قائلاً:

- زميلى العزيز. أوافق على هذا بشرط أن تكون أنت سكرتيراً بجوارى. شعر دكتور أنيبال رونكالى برغبة جارفة فى سحب يده التى مازال وزير إسبانيا ممسكًا بها فى حرارة وإصرار.

انزعج وزير إسبانيا خائفًا باشمئزاز صبيانى، وتذكر العجوز التى نادته عند ناصية الشارع عندما كان ذاهبا إلى الليسيه.

تلك العجوز المرعبة لامهرب منها مثل مادة النحو التى كان يخشاها، ولا يزال ممسكًا بين الرجل كما لو كان سيدفنها فى صدره، ثم تحدث مادحًا بعينين وقحتين بينما وزير إكوادور يعمل جاهداً لسحب يديه:

- لحظة سيادة الوزير. لابد أن أصافح سير سكوت.

انتبه بارون بنى كارلس ووضع النظارة ذات العين الواحدة وقال:

- إنك يا زميلى مدين لى بكلمة.

وافق دكتور أنيبال ، وابتعد إلى الخلف يسيطر عليه إحساس غريب كما لو كان يستمع إلى تلك العجوز المبتذلة عندما كان يذهب إلى فصول الليسيه، ثم توجه إلى حيث كان الوزير المفوض الإنجليزى يتلقى التهانى

انتصب البارون ... شعر (بالكورسيه) ضاغطًا عليه ... أردافه تهتز واقترب من سفير أمريكا الشمالية، (وتدفقت الأفعال الشاذة على النظام الذى يقدم بخور على الدبلوماسية البريطانية، جذبت انتباه دون إستروج العظيم ممثل إمبراطورية ألمانيا)

كان إلكونة كريسبى الزعفرانى اللون ممثل هنجاريا سابحًا فى ملكوته. ثم تحدث بعد مع الوزير الأمريكى سراً:

– سيرچونس سكوت المحترم عبّر عن الأحاسيس الإنسانية فى أسلوب بليغ ألهب حماس رجال السلك الدبلوماسى، ولكن أمن المحتمل أن يكون هذا مبرراً للتدخل – ولو على سبيل النصح – فى الشؤون الداخلية للجمهورية؟

بالفعل تعانى الدولة اضطرابات ثورية، والضغط فى مثل هذه الأمور يكون فعالاً. نحن نقدم الإنجازات والحلول، نشعر بوطأة تخفيف الأعباء، نغلق آذاننا، نغمض عيوننا، ثم نتحدث بعد ذلك عن النصائح. نحن عاطفيون أكثر من اللازم ياسادة.

إن حكومة الچنرال بانديراس مسؤولة مسؤولية كاملة وواضحة للعيان لذلك يجب الحث على ضرورة الشدة، وهل من الممكن أن يجدى نصح السلك الدبلوماسى فى مثل تلك الظروف؟

وافق على ذلك وزير ألمانيا مع أنه من عرق سامٍ كثير الثراء فى مناطق بوليڤيا الصخرية، وفى سفاهة تحدث بعدة لغات:

الإسبانية والإنجليزية والألمانية.

كما وافق ألكونة كريسبى الأصلع الصارم ذو الشارب الزعفرانى اللون وتحدث - متلعثمًا بلغة فرنسية صافية.

بينما تردد وزير جلالة الملكة الكاثوليكية.

لقد وضع الدبلوماسيون الثلاثة: الأمريكي والألماني والنمساوى أيديهم على مكيدة مما جعلهم يشعرون بالألم ويعترفون بأن كل الدسائس تحاك دون علم وزير إسبانيا.

عاد سيرجونس سكوت المحترم وأخذ الكلمة:

- اسمحوا لى زملائى المحترمين أن أعرب لكم عن رغبتى فى أن تعودوا لأماكنكم. المتحفظون على الصلح يتفرّقون.

تحدث السادة الوزراء فيما بينهم بصوت *خافت أثناء الجلوس.*

عاد سير سكوت واستعرض المشاعر الإنسانية الفياضة للسلك الدبلوماسى المحترم بكلمات تنبئ عن ضمير شريف عفيف.

بعد مناقشة طويلة أصدروا بيانًا صدّق عليه سبع وعشرون دولة وذلك أمر هام جداً.

كتب البيان بتركيز واختصار مثل أسلوب التلغراف ونشرته صحف العالم الكبرى.

سانتا فيه دى تيرّا فرمى (Santa Fe de Tierra Firme) أجمع رجال السلك الدبلوماسى على تقديم مذكرة لحكومة الدولة توصى بامتناع الصرف على المشروبات الروحية وتطالب بتعزيز الحراسة على المفوضيات والبنوك الأجنبية.

الجزء السابع

التكشيرة الخضراء

الكتاب الأول

نزهة الطاغية

-١-

الچنرال بانديراس أدخل قرميدة (اللعب) فى فم الضفدع بينما تجلس دونيا لوبيتا بين الفرن والرحى التى تطحن عليها الذرة ... تتصدر اللعبة متأنقة بخاتمها الجميل وعقدها المرجانى، وهى تجلس تحت شمسية مخططة تتوسط حصيرة صغيرة ملونة:

– ! ضفدع.

-٢-

– كوا، كوا

جاء ناتشيتو إلى الأصدقاء مبتذلاً يتملق الطاغية ويثنى على مزاحه الخبيث. تبث التكشيرة الخضراء سمومها فى استهزاء يملأ صاحبها الذى ترتسم على وجهه مسحة من السخرية اللاذعة لذات مصابة بمرض الوهم:

– ليسنسيادو فيجياس، ستكون شريكي في الطبعة المقبلة، فحاول أن تكون على مستوى سمعتك ولا تفسدها . لقد صرت مهتزاً مثل النبات المتسلق. لماذا أصبحت ضعيفًا هكذا يا صديقي. كوب من (الليمونادة) سيجعلك أفضل. إذا لم تكن هادئًا ستفقد سمعتك الطيبة. لا تكن عبوسًا يا صديقي، فالليمونادة ستعيد لك حيويتك. تفاهم فقط مع صاحبة الحانة (دونالوبيتا)

هيا اشرب نخب الأصدقاء وودّع الجميع، وسنصلى من أجلك عندما تشد الرحال.

كان ناتشيتو يتنهد ويهز أردافه على إيقاع الموسيقى المتثاقل، كان متورد الخدين، ووجهه القبيح مليء بالدموع:

– لقد دفعني حبي للدنيا – بجنون – إلى الانتحار .

– جنرالي، اترك لعبة خادعة من الأرواح الشريرة تحكم عليّ بالإدانة أستغيث بك من عذابي الطويل، وأعطني فرصة واحدة، مجرد أمل.

إن أشجار الورد في الكثبان المهجورة تنبت زهوراً، زهور الأمل فالإنسان لا يستطيع العيش بغير أمل، حتى الطيور لها آمالها، وتغرد بالرغم من اعوجاج الغصون وتشابكها لأنها تعلم قدرتها على الطيران وتدرك أن شعاع الفجر يأتي معه أمل الغد.

جنرالي إن البشر جميعًا يتزينون بعباءة الإلوهية الخضراء. إن صوت الإله ينشد مغرداً في آذان البشر، وشعاع نظرته يصل حتى

أعماق السجون ليطمئن المسجونين أثناء الصلاة، ويقدم لهم الوعد بالصفح من جانب السلطة.

مسح نينوسانتوس صلعته بمنديل الادعاء الذى أخرجه من سترته:

– شاك ! شاك لقد كنت بليغًا فصيحًا فى حديثك المصطنع ياليسنسيادو، لقد استفدت من دروس دكتور سانشيس أوكانيا – دون شك – عندما كنت فى سانتا مونيكا. شاك! شاك!

ضجّ المكان بتصفيق الأصدقاء لقوة الطاغية الخبيثة.

-٣-

دونيا لوبيتا تحت شمسيتها المخططة تقدم المرطبات فى تملق . يأخذ نينوسانتوس – رشفة من كوب الليمونادة مرة ، ويسخر من الإشبينة القوادة دونيا لوبيتا مرة أخرى بالتناوب:

– إن أقداحك الخشبية الأربعة تسبب مضايقات كثيرة للدولة.

ما لأنفك يبدو مثل أنف الملكة كليوباترا، لقد تورطت أكثر من رجال السلك الدبلوماسى المحترم. كم من الأقداح أفلستى بسببها الكولونيل دى لاجاندرا؟ لقد جعلته فى صفوت الثوار بأقل من بوليفيانو واحد(*) . لا تتشبهى بعد ذلك بالملكة كليوباترا وتتصنعى عزتها وشموخ أنفها. إن الدّين الذى قاضيتى به الكولونيل صار بالنسبة له خليطًا من الظروف المشؤومة، وهو ما جعله يتصرف مثل المتمردين .

(*) بوليفيانو : عملة قديمة جدًا كانت تستخدم فى بوليفيا .

كما دفعت نجل دونيا روزا بنيتادو إلى سجن سانتا مونيكا، وكنت السبب في إغلاق بيت الدعارة الذى تمتلكه كوكارتشيتا لاتاراسينا ، والتى طالبت بحقها واعترضت على الإغلاق، ولدينا الآن مذكرة من وزير جلالة الملكة الكاثوليكية للعرض، ومن المحتمل أن يصل الأمر إلى انقطاع العلاقات بيننا وبين الوطن الأم.

وأنت كما أنت هنا ياعجوزتى لا تؤثر فيك الكوارث والأحداث وتعيشين دون قلق!

أخيراً أربعة أقداح من مائدتك الصغيرة لاتمثل شيئًا أصبحت عبئًا ماليًا لقد وضعتمونى فى موقف حرج لرفض الاتفاقيات الضفدعية لليسنسيادو فيجياس.

- كوا، كوا.

أخذ ناتشيتو يغنى فى دلال على إيقاع رقصة الضفدع محاولاً أن يستدر عطف الطاغية. ولكن الطاغية نهره فى حزم وغضب:

- لاتكن مهرجًا ياسيد ليسنسيادو هؤلاء الأصدقاء الذين سيحاكمونك لن يتأثروا بحماقاتك، إنهم مثقفون، وأقلهم كان عضواً فى مجلس نواب أوروبا القديمة.

خوفينال وكيبيدو (Juvenal y Quevedo) (*) ربت الإسبانى الشهير على لحيته التى بلون القرفة وبدلة المهرج الضخمة، ونفخ وجهه

(*) خوفينال وكيبيدو Juvenal y Quevedo الأول أديب لاتينى والآخر كاتب إسبانى، اشتهرا بنقدهما اللاذع للعادات السيئة فى مجتمعيهما روما وإسبانيا.

كالصقر مؤكداً نفاقه وتزلّفه، بينما رسمت صاحبة الحانة الصليب على صدرها بيدها وهى مفزوعة وتحلف بالعذراء:

– لقد لعبها باتياس (Patillas).

– إذن قام بضربة ركنية

– لن يسلم الإنسان من التورط فى الفساد فى هذه الدنيا حتى القديس سيرى جهنم.

– إنه عقاب مناسب يا دونيالوبيتا، لكن ألا يشعر ضميرك بالألم من جراء تحريضك على الشغب والحروب لمرات عديدة؟

– سيدى الرئيس لا تفزعنى.

– ألا تعرفين حجم مشاكلنا ومسؤولياتنا؟

– إننى أصلى من أجل ذلك،

ثبت بانديراس الطاغية نظره على الطريق!

– شاك، شاك. من يملك من حضراتكم رؤية أفضل يقدم وثائقه ومستنداته ويقول لى أى جندى هذا الفارس الذى يرتدى زيًا مميزًا ويأتى فى الأمام؟

أليس هو الموهوب دون روكى ثيبيدا؟

توقف دون روكى بموكبه المؤلف من أربعة هنود يتبعونه على الجانب الآخر من السياج، على الطريق عند مدخل الحواجز.

كان دون روكي داكن الوجه، يمسك في يده قبعة ذهبية اللون، ومهرته يكسوها سرج مغطى بالفضة، كل ذلك كان يجعله فارسا مثل القديسين الرومان.

كان بانديراس الطاغية يتصنع الرصانة والود عند استقباله:

- كان لزاماً على سانتوس بانديراس أن يستقبلك.

لماذا أزعجت نفسك يا سيد دون روكي؟ كان يجب على العبد لله "ويقصد نفسه" أن يحضر إلى منزلك، ويعتذر نيابة عن كل أعضاء الحكومة، لقد أرسلت إليك أحد مساعديّ لهذا الغرض راجيا منك أن تستقبله، وبالغت سيادتك في المجاملة وجئت بنفسك. بينما الواجب يحتم على سانتوس بانديراس أن يسعى إليك.

نزل دون روكي من على مهرته، واستقبله الطاغية بالأحضان والإطراء. كان الحديث طويلاً وسرياً على مائدة مراقب القساوسة أمام بحر إكوادور الهادئ فوق طريق الشمس ولهيب الغروب الشاسع.

- شاك شاك أنا سعيد جداً لرؤيتك.

- سيدى الرئيس لم أرد أن أتخلف عن الحملة دون المرور لزيارتك، أما مجاملتى فهى من منطلق شعورى بالحب والولاء تجاه الدولة، لقد قابلت مساعدك سيدى الرئيس منذ وقت قصير وكان مع زميلى القديم ساورو ميندث Sauro Méndez سكرتير العلاقات العامة.

لقد تصرفت طبقاً لما دار فى حديثنا، والذى أفترض أنه أخبركم به .

- السيد السكرتير أخطأ إذ لم يقل لك إنه ينفذ توجيهاتى، إننى أحب الصراحة.

صديقى دون روكى إن استقلال البلاد فى خطر، نحن معرضون لخطر التدخل فى شؤون البلاد من الجشعين الأجانب الطامعين فى خيراتنا.

إن رجال السلك الدبلوماسى المحترمين مجرد حثالة يعملون لمصالح المستعمرات ويقفون بجانب الثوار ويؤيدونهم بمذكرات يذيعونها عن طريق الكابل الدبلوماسى ولها وكالاتها الخاصة لتشويه سمعة الدول، واليوم يوجهونها ضد جمهورية سانتا فيه حيث المطاط والمناجم والبترول، كل ذلك يثير شهية أمريكا وأوروبا ويزيد من أطماعها.

أتوقع وقتًا عصيبًا قادمًا لكل نفس وطنية مخلصة من المحتمل أن يهددونا بالتدخل العسكرى، ولكى أقترح على سيادتك طلب هدنة طلبت مقابلتك شاك . شاك.

قال دون روكى فى دهشة:

- هدنة؟!

- هدنة، حتى يحل النزاع الدولى. حدد لى شروطك.

أما أنا فسأقدم عفوًا شاملاً للمسجونين السياسيين الذين لم يتورطوا فى الحرب أو التجسس من قبل.

دمدم دون روكى.

– العفو أمر منصف وعادل أصفق له دون تحفظ. لكن كم من المسجونين اتهم ظلماً بالتجسس؟

– سيكون العفو شاملاً.

– وهل ستصبح الدعاية الانتخابية حرة كما عرفت؟ ألن يكون هناك تدخل من عملاء الحكومة السياسيين؟

– حرة وتحت رعاية رجال القانون، وأقول لك أكثر من ذلك، أريد أن أصلح بين البلاد وأشرب نخب ذلك.

سانتوس بانديراس ليس الرجل الطماع السوقى الذى لقبته دوائر المنشقين بما يكره من صفات إننى فقط أريد أن أعلى شأن الدولة.

إن أسعد يوم فى حياتى سيكون اليوم الذى أعود فيه لأرضى الزراعية مثل ثينثيناتو (*) Cincinato.

باختصار سيادتك وأصدقاؤك سوف تستردون حريتكم، وكامل حقوقكم المدنية، ولكن بوصفك رجلاً مخلصًا وذا روح وطنية يجب أن تعمل على إخماد الثورة والعودة إلى الشرعية، وعندها ساكون أول من يحترم إرادة الشعب ويستجيب لرغبة ولإدارة الدولة المستقلة.

(*) Cincinato شخصية رومانية عرفت بالبساطة والتقشف.

دون روكى إننى معجب بمثاليتك وأشعر بالحزن لأننى لست مثلك فى تفاؤلك وهدوئك وهذه مأساتى كحاكم ، وسيادتك بوصفك أحد أبناء الأوروبيين المهاجرين الذين يمثلون أعرق السلالات تبغض هذه الصفة.

أنا على العكس هندى من أصولى الأربعة وأكفر بقدرة بنى جلدتى، إنك تمثل بالنسبة لى الإلهام ومن خلال ثقتك فى مستقبل أهل البلد من الهنود الحمر تذكرنى بالبادرى دلاس كاساس (*) (El padre de las Casas)

إنك تريد طرد أشباح الماضى التى خلفتها النظم الاستعمارية جاثمة فوق صدر الهنود من ثلاث مائة عام وهذا هدف نبيل ولو استطعت تحقيق ذلك تكون قد حققت رغبة سانتوس بانديراس العظمى.

دون روكى اذا اجتزنا الظروف الراهنة وانتصرت علىّ اقض علىّ، بادر بإظهار رد فعل هذا الانتصار وسأكون أول من يحتفل بالقوة الكامنة فى أبناء ذريتى.

وبعيداً عن هزيمتى سيكون انتصارك هو المحرك الدائم للهندى فى تاريخ هذا الوطن.

(*) Bartolomé de las casas أحد رجال الدين المسيحى الإسبان من إشبيلية ولد ١٤٧٤ وتوفى فى مدريد ١٥٦٦، رحل إلى كوبا بعد اكتشاف امريكا اللاتينية ١٥٠٢ وعرف برئيس الرهبان العسكرية قديمًا وترك هذا المنصب للدفاع عن الهنود الحمر ورفع الظلم عنهم من قبل الاستعمار الإسبانى ذهب لفنزويلا ١٥٢٠ وسانتوبو منيكا ١٥٢٢ وفى نيكاراجوا وجواتيمالا عين كبير الأساقفة من ١٥٤٤-١٥٤٦

دون روكى عجل بدعايتك وافعل ما تشاء فى نطاق القانون، وثق تماماً أننى سأكون أول من يصفق لك.

أشكرك على إنصاتك لكلماتى وأتوسل إليك أن تقدم اعتراضاتك على أى شيء بصراحة تامة.

لا أريد أن تعدنى الآن بشيء لايمكنك الوفاء به مستقبلاً، شاور أعوانك من الثوار وقدم لهم غصن الزيتون باسم سانتوس بانديراس.

كان دون روكى ينظر إلى الطاغية بهدوء وصدق وسذاجة ثم ساوره شك من كلام بانديراس.

– نريد هدنة!

– هدنه واحدة فقط يادون روكى ننقذ بها استقلال الوطن إنه اتحاد مقدس.

فتح بانديراس ذراعيه بود وتأثر واحتضن ثيبيدا.

قطعت دعابات الأصدقاء ومزاحهم عصف الريح القادمة من الحقول وقت الغروب وهم يتسلون بالسخرية من ليسنسيادو فيجياس .

–٤–

خرج دون روكى إلى الطريق مسرعًا بحصانه وملوحًا بمنديله، رد بانديراس الطاغية التحية بقبعته وهو يفك من بين الحواجز ثم اختفى الحصان والفارس بين حقول الذرة ولو أن ذراعه كان لايزال ملوحًا بالمنديل الأبيض.

– شاك، شاك! حماقة

تمادى المومياء فى فكاهته السامة، ونظر إلى دونيا لوبيتا صاحبة الحانة العجوز التي كانت فى الميدان تداعب خرز المسبحة وهى مندهشة ومذعورة من رعب ليلة مقدسة، التفتت إلى الطاغية وقالت:

– چنرالى. إن أكاذيب الدنيا تدخل أكبر قديس نار جهنم

– يا عجوزتى لابد أن تبترى أنفك الذى يشبه أنف كليوباترا

– إذا كان هذا سوف يصلح العالم فلن أتردد فى بتره الآن

– شجار على أربعة أقداح فوق مائدتنا شخص متكبر وشرير يربح

فى اللعب. انظرى إلى هذا الصديق المولع بالموسيقى لقد وقع فى مصيبة إنه متهم بالخيانة ومن المحتمل أن يحكم عليه بالإعدام.

– وهل الذنب من قدمى الأمامى؟

– هذه مشكلة لابد أن يناقشها مؤرخو المستقبل.

ياليسنسيانو فيجياس ودّع هذه السيدة العجوز، وامنحها عفوك، تقمص معطف الإغريق، وفاجئ هؤلاء، هؤلاء الأصدقاء الذين يسخرون منك برحابة صدر.

– خوفينال وكفيدو

نظر المومياء إلى الجاشوبين (دون ثيليس) بسخرية لاذعة ومزاج معتل:

- دون ثيليس البراق، لقد جعلتني أمزح.

لاكفيدو ولاخوفينال: سانتوس بانديراس شخصية فى قارة أمريكا الجنوبية.

الكتاب الثانى

فى شرفة النادى

-١-

استمع دكتور كارلوس إسبارتا وزير أورجواى إلى حديث زميله العزيز دكتور أنيبال رونكالى وزير إكوادور بما فيه من سخرية وهما يتناولان عشاءهما فى ميدان الذخيرة:

- لقد سبب لى بارون بنى كارلس موقفًا حرجًا. أخبرنى من فضلك.

هل أنا على حق؟ هل حكمى صائب وشجاع. إننى أخشى همسات الآخرين والقيل والقال. ألا توافقنى على أن وزير إسبانيا مصدر ضيق بالنسبة لى. ثم ماهذه الابتسامات، وماتلك النظرات؟ أخبرنى ياصديقى.

- شىء ، إنها حالة عاطفية.

دكتور إسبارتا رجل أصلع، مصاب بقصر النظر، متأنق، يضع على وجهه النظارة ذات العين الواحدة من الصدف الأشقر، يضعها على عينيه، بينما ينظر إليه دكتور أنيبال رونكالى ما بين الشك والضحك:

- هل تمزح ياسيدى؟

اعتذر وزير أورجواى فى سخرية قائلاً:

- أرى أنك ربما تسبب أزمة دبلوماسية يمكن أن تصل إلى حد الشكوى من الوطن الأم.

اضطرب دكتور رونكالى وبدا الاستياء على وجهه وقال:

- لايزال مزاحك مستمراً.

- فيم تفكر؟

- لا أدرى

أعتقد أنك لن توافق - دون تردد - على منصب السكرتير بخصوص المشروع العظيم الذى عرضته هذه الليلة حتى لاتتعاون معه.

- دون شك.

- من أجل الدقة..

- أرجوك لاتلعب بالألفاظ.

- دون لعب بالألفاظ أكرر على مسامعك: لست محقاً فى أن تفرط فى جائزة يانصيب كهذه. إنه أمل جميل جداً.

الأذكياء هم الذين يفتحون أجنحة الشباب للوصول إلى هذا الشأن العظيم. إنك محظوظ جداً. إنك عاطفى جداً.

– أرجوك. لا تسخر مني يادكتور.

– إنك شاعر عاطفى. حساس، رقيق المشاعر. إنك تذكرنى بشاعر نيكاراجوا البارع(*) لذلك لم تستطع الفصل بين الموقف الدبلوماسى، ومداعبات وزير إسبانيا.

– دعنا نتحدث بجدية يادكتور. مارأيك فيما قاله سيرجونس بخصوص المبادرة التى طرحها؟

– إنها أول خطوة للأمام.

– وما أقصى رد فعل تتوقعه بالنسبة للمذكرة؟

– لا أدرى. ولكن ربما تكون رائدة لمذكرات أخرى، وهذا يتوقف على تصرف الرئيس. إن سير چونس ودود جداً وملائكى جداً، ويصر على ضرورة تعويض شركة الغرب المتحدة (West company Limited) بعشرين مليون.

إن هذه الباقة من المشاعر والأحاسيس الإنسانية تخفى وراءها مدفعاً.

– إن المذكرة – دون شك – عبارة عن جس نبض . ولكن ماذا تتوقع من الرئيس؟

(*) شاعر نيكاراجوا البارع هو روبين داريو Ruben Dario رائد الحداثة فى أمريكا اللاتينية، ويعدونه أهم شعراء الجيل وأشهرهم. وقد أثر كثيرا فى شعراء إسبانيا وأوروبا.

أتوافقني على أن الحكومة سترضى بالتعويض؟

- أمريكتنا ستبقى دائما مستعمرة أوروبية بكل أسف. لكن حكومة سانتنا فيه من المحتمل ألا ترضى بالإكراه فى هذه الحالة هل تعلم أن مبدأ الثوار هو الصراع الدائم والوقوف فى وجه احتكار الشركات. بانديراس الطاغية لن يموت بطعنة دبلوماسية، وسوف يتحد أبناء أوروبا المهجرين، الأنانيين والذين لهم مصلحة فى ذلك من أجل مساعدة بانديراس. إنهم أصحاب الأراضى ورؤوس الأموال الأجنبية، وإذا حدث هذا من المحتمل أن ترفض الحكومة التعويض لأن الثوار المتطرفين سيحظون بمساندة السفارات.

على أية حال يجب أن نسلم بأن تحرير الهندى عامل مصيرى وليس من المعقول أن نغمض أعيننا عن هذه الحقيقة التى يُعد الاعتراف بها - فى حد ذاته - خسارة فادحة.

وهذا الاعتراف لا يمنع قرب حدوثه، فالموت شىء حتمى، وحياتنا قائمة على السعى لإبعاده.

إن السلك الدبلوماسى يتصرف بتعقل، ويدافع عن الأنظمة السياسية القديمة التى توشك على الانقراض.

نحن بغال صغيرة لهؤلاء الأخيار السقماء.

كانت نسمة الهواء تداعب الستائر، وزرقة البحر تبدو من بعيد كالأشباح المتوهجة بمصابيح براقة وأضواء غامرة.

-٢-

بلل وزير إكوادور ووزير أورجواى السيجار من شفتيهما، وخرجا للشرفة، انضم إليهما بعد ذلك وزير اليابان تو - لاج - ثى (Tu-Lag - Thi) ألقى عليهما تحية دبلوماسية لطيفة تعكس دبلوماسية الشرق، وهو يراهما جالسين على كرسيين من البامبو الهزّاز ... ارتشف مشروب الموكا ... وضع نظارته الذهبية على عينيه وبدأ فى قراءة الجريدة الإنجليزية بينما يقترب منه وزراء أمريكا اللاتينية وبدأت المجاملات، والابتسامات والنكات البذيئة، والتمايل الراقص على أنغم الموسيقى كذلك بدأت الثرثرة الفرنسية وأمور أخرى.

كان الخادم المخلّط الأبله متيقظًا لكل هذه الحركات الدبلوماسية وزحف الكراسى الهزازة.

انتفض دكتور رونكالى وانتابته حالة من الهياج الخطابى فغنى للقمر والبحر. ظهرت تكشيرة حزينة على وجه تو - لاج - ثى وزير اليابان بشفتيه البنفسجيتين وأسنانه ناصعة البياض وعينيه الزائغتين اللتين يطل منهما الشك والخبث. غمز دكتور إسبارتا بتطفل وحديث تافه:

- أتصور أن الليالى فى اليابان لابد أن تكون ممتعة.

- بالتأكيد. هذه الليلة أيضًا لا ينقصها وجاهة اليابان وأناقتها.

كان تو - لاج - ثى ذا صوت حاد بنغمة مشروخة وحركة صارمة كالدمية الأتوماتيكية، كثير الحركات عند الحديث، شرس الطباع، ذا تفكير ملتو ودائمًا يبتسم فى تكلف وسوداوية:

– زملائى الأعزاء. لم أعرف رأيكم فى أهمية المذكرة.

– إنها الخطوة الأولى.

كان هذا تنويه دكتور إسبارتا على كلامه. قاله بابتسامة غامضة ملأى بالتحفظ.

عاد وزير اليابان وقال:

– لقد فهمنا جميعًا ذلك – دون شك – إنها الخطوة الأولى . ولكن :

ما هى الخطوات التالية إلى أين نذهب؟

وزير إنجلترا يتصرف من منطلق مشاعره الإنسانية. لكن هذا التحرك ربما يكون مُربكًا . إن مصالح المستعمرات الأجنبية قد تفرض تعاطفًا قليلاً مع الفكر الثورى. إن المستعمرات الإسبانية كثيرة جدا ومؤثرة جداً، إنها ترتبط بأبناء الأوروبيين المهاجرين فى نشاطهم ومشاعرهم. إن رؤيتهم للمشاكل الاجتماعية لا تتفق مع نظام الاستصلاح الزراعى فى خطة زامالبوا (Zamalpoa) .

إن تقاريرى فى هذه الآونة تركز على وضع خطة عمل تعمل على التطابق مع وجهة نظر الحكومة وتؤكده. ألن يحدث بعد ذلك خذلان لإنسانية سير سكوت الفاضل؟

غمز دكتور إسبارتا بعينيه فى مكر وذكاء:

– زميلى العزيز. نحن مقتنعون بأن العلاقات الدبلوماسية لا يمكن أن تبيع الأنظمة الإنجيلية الواضحة.

رد تو – لاج – ثى فى حزن مفتعل:

– إن مصالح اليابان الطبيعية والأساسية هنا تقوم على مبدأ حقوق الإنسان، ولكن بهدوء وبدون خطابة أنا لا أخفى تشاؤمى بالنسبة للتعاطف المعنوى الذى وضح من بعض الزملاء، وكذلك المشاعر الجديرة بالثناء التى ظهرت من الوزير الإنجليزى كرجل شريف، ولا أستطيع أن أعتمد على التلميحات وسوء النية لبعض الصحف الموالية – بشكل ساخر – لحكومة الدولة . إن الشركة الغربية منحرفة.

اخترقت الكلمة الأخيرة القاسية آذان الحاضرين، وأعطت إنذارا بسيل من القيل والقال فى ثنايا الابتسامة الآسيوية الماكرة لتو – لاج – ثى.

فى هذه اللحظة كان دكتور أنيبال يداعب شاربه وعلى شفتيه الورديتين ارتعاشة خفيفة، وهو يحاول أن يرتجل حديثًا مملوء بالمشاعر، وبدت العصبية على ملامحه بينما وقف شعره المجعد مثل أذناب السحالى وقال:

– دكتور بانديراس لا يستطيع إن يصدر أمرًا بمصادرة المشروبات لأنه لو فعل ذلك سيتمرد عليه الشعب. كل هذه المناسبات والمهرجانات الشعبية ليست إلا حفلات عربدة وتناول مشروبات وتهتك من قبل الهنود والغوغاء.

أثناء ذلك كانت أصوات المهرجان الشعبى تصل إلى أسماعهم. أحبال المصابيح تتراقص فى صفوف على طول الشارع، وفى نهايته تدور أرجوحة الخيل وسط صياح هستيرى وإضاءة حادة تنوّم القطط مغناطيسياً فوق الجدران.

كان الشارع مليئًا بغمازات ضوئية طائشة، متطابقة مع حفيف الشجر والتمرينات الأكروباتية للريح فوق أحبال المصابيح وأعمدة النور على طول الطريق، بعيداً، فوق ضفاف النجوم، يرسم البروفيل الأسود لهندسة سان مارتن دى لوس مونتينسس (San Martín de las Montenses).

الكتاب الثالث

خطوة المهرجين

-١-

كان بانديراس الطاغية يصوب نظارته المعظّمة نحو مدينة سانتافيه ويحدث نفسه:

- ياللذوق الرفيع لهذه المصابيح! ياله من جمال، يا أصدقائى !

حلبة الأصدقاء والزملاء تتحلق المنظار المقرّب وسلم التنجيم،

المتنقل مع تكشيرة بانديراس الخضراء - مرفوع أعلى البناء:

- لا يمكن أن نمنع الخبز والسيرك عن الشعب. كم هى جميلةٌ جداً تلك المصابيح.

رياح البحر القادمة من سانتا مونيكا تحمل أخباراً حزينة عن إعدام المساجين رمياً بالرصاص، كما تحمل أخباراً عن رغبة المتهمين فى الهروب من عقوبة الإعدام .

- إن الشعب طيب بطبيعته، برىء من الدعايات المشؤومة ، والصرامة شيء مفيد جداً.

ثالوث الأصدقاء يقف على هيئة دائرة، وكل انتباههم مركز على الطاغية.

-٢-

خرج بانديراس الطاغية عن وقاره، وانحشر في دائرة الأصدقاء. شدّ أذن ليسنسيادو فيجياس قائلاً:

- هيا أسمعنا لآخر مرة موسيقاك الضفدعية. كيف حال حنجرتك اليوم؟ أتريد تنظيفها بسائل غرغرة؟

ضحك الثالوث من تلك السخرية - في تملق - وبدأ عليهم الذعر والابتذال.

رد ناتشيتو مندهشاً:

- ما الذى يمكن أن يصدر عن شخص محكوم عليه بالإعدام؟ أى نغمة عذبة يمكن أن يطلقها؟

- أنت مخطئ إذ ترفض استعطاف قلب قضاتك بالموسيقى. ياسادة هذا الصديق الحميم متهم بالخيانة، ولاننا لم نكتشف اشتراكه فى الجريمة، استطاع أن يسخر منا جميعاً.

مساء أمس كان موضع ثقتى. لقد أوضحت له بعدالة وإنصاف ما فعله الكولونيل دى لاجاندرا لقلب نظام الحكم، وكان الأصدقاء شاهدين على ذلك.

والآن سترشدونني حضراتكم إلى العقوبة التى يستحقها هذا الرجل الذى فشا أسرارى.

لقد استدعى الشهود، ولو قررتم سنستدعيهم للمثول أمام المحكمة، وسماع مرافعاتكم.

هذا الرجل تكهنت له إحدى العرافات أثناء سيرها وهى نائمة بما يحدث له الآن. إن الفتاة كانت خاضعة لتأثير التنويم المغناطيسى لشخص يدعى دكتور بولاكو. نحن أمام رواية لأليخاندرو دوماس (Alejandro Dumas) (*) .

هذا الدكتور طوّر الرؤية فى فتيات بيوت الدعارة إنه قادم من سلالة خوسية بالسامو José Balsamo (**) ولكنه أقل مستوى منهم.

هل تتذكرون الرواية؟ إنه مسلسل ممتع، نحن نعيشه الآن! لقد فضّلت ليسنسيلدو فيجياس على الأسمر الموهوب (يقصد نفسه). الآن سيذكر لنا مكان اختفائه بصحبة الكولونيل دى لاجاندرا المتمرد.

كان ناتشيتو يلهث:

- خرجنا نتحدث فقط عن بعض المؤسسات.

(*) Alejandro dumas روائى وكاتب مسرحى فرنسى (١٨٠٢-١٨٧٠) كتب العديد من الروايات والمسرحيات التى تتسم بالطابع التاريخى ومن أهم أعماله رواية الفرسان الثلاثة.

(**) José Balsamo بطل إحدى روايات دوماس.

– وأنتما مخموران؟

– أيها القائد. لقد كانت سانتافيه كلها لهوًا صاخبًا يتدفق من المهرجان.

نعم كان ذلك مجرد مزاح ودعابة، هكذا كنا نتحدث، وفجأة أفزعنا ودخل من الباب مسرعا بافتتاح الحفلة الليلية، وانخدعت به كالمغفل.

– هل يمكن أن تكشف لنا عن المؤسسة التي اجتمعت للصخب فيها؟

– جينرالي لا تخجلني. إنه مكان دَنِس لا أستطيع ذكره في المحكمة الموقرة، أمام شخصكم النبيل، إن وجهي مُجَلل بالعار.

– أجب عن سؤالي. في أي مكان عربيد كنت موجوداً مع الكولونيل دي لاجاندرا، وما الحديث الذي دار بينكما في ذلك المكان المزعوم؟ ليسنسيادو تعلم أن الاعتقال والحديث أثناء السُكر يجعل الهارب مشبوها.

– ألايشفع لي عندك اخلاصي لك سنوات عديدة؟

– من الممكن أن نعد ذلك عملاً طائشًا، لكن حالة الإدمان ليست أمرًا هينًا في محكمة سانتوس بانديراس. سيادتك سكّير تقضي الليالي الحمراء في استباحة الأعراض. اعلم أن كل خطواتك يعرفها سانتوس بانديراس. إنني أمد لك يدي فأرجو أن تصارحني بالحقيقة حتى ترضيني

وأخرجك من هذا المستنقع حيث تموت في الوحل لأن جريمة الخيانة عقوبتها قاسية جداً في قانون البلاد.

- السيد الرئيس. في الحياة مآزق تروّع الإنسان، وتشغل باله، هذه المآزق لا فرق بينها وبين أحداث الروايات بالفعل. مساء الحادثة كنت في زيارة إحدى النشّالات التي تقرأ الغيب.

- وهل مثل هذه النشالة التي على دراية بالغيب توجد في بيت دعارة لكي تحتفل بها؟

- هذا ما حدث في الليلة الماضية بالنسبة لكوكارتشا. أريد أن أعترف بشيء وأريح ضميري، لقد كنا نمارس الخطيئة. ليلة مهرجان الوفيات كانت بالأمس ياسيدي. أراهن بشرفي أن تلك الزنجية لديها شمعة تكشف لها عن أسرار. إنها تقرأ الغيب.

- ليسنسيادو، كل هذا من تأثير الخمر؛ لأنك في الليلة الماضية كنت مخموراً عندما دخلت السيدة.

أنت خائن . تفشي أسراري أثناء معاشرة جنسية بغيضة مع إحدى السوفيات، ومن أول قرار قضائي سأوضح لك الفخ الذي وقعت فيه حتى يرتعد هذا الجسد المتوقد.

ليسنسيادو، ابتعد إلى أحد الأركان، اركع وابتهل إلى الله.

هؤلاء الأصدقاء سيحاكمونك، وربما يحكمون عليك بالإعدام، وساعتها سأكون راضياً تمام الرضى.

ياسيد كولونيل لوبيث دى سالامنكا Senôr Coronal Lopez de Salamanca ستنفذ القانون فيما بعد حتى يكون أمامنا وقت للاستماع إلى دكتور بولاكو والفتاة السوقية.

-٣-

احتجز الكولونيل لوبيث دى سالامنكا إحدى الغوانى وسمح لدكتور بولاكو بالدخول. ظهرت لوبيتا رومانيكا Lupita la Romanica خلفه تدوس عقب سيجارة.

دكتور بولاكو طويل القامة ذو لحية تشبه لحية إبليس، جبينه عريض، شعره مسترسل، يرتدى بدله رسمية بشارتين على صدره وجوهرة صغيرة معلقة فى عروة القميص. واضعا قبعته تحت إبطه، وصافح الجميع بانحناءة مسرحية:

– أقدم تقديرى لصاحب المقام الرفيع للدولة. ميخائيل لوخين Michael Lugin أستاذ فى جامعة القاهرة، رائد فى الغيبيات لبراهمة بنجالا بالهند.

– هل تمارس مذاهب آلان كارديك؟

– أنا أحد تلاميذ مسمر (Mesmer) (*) المتواضعين . مناجاة تحضير الأرواح عند آلان كارديك بدعة سيئة صبيانية من السحر الأسود القديم.

(*) Mesmer فيدريكو أنطونيو مسمر طبيب ألمانى (١٧٣٤–١٨١٥م) مؤسس النظرية المسماة باسم مسمريسمو Mesmerismo .

إن تحضير الأرواح ثابت في البرديات المصرية، ومنقوش باللغة الكلوانية على الحجر الأحمر في جبال الحبشة.

والمصطلح الذى يدل على هذه الظاهرة مكون من كلمتين يونانيتين .

– هذا الدكتور يشرح تخصصه بمنتهى الدقة.

وتتربح سيادتك من ذلك كأحد أولياء القاهرة.

– سيدى الرئيس، إن موهبتى ليس الهدف منها التربح وتكوين ثروة، لقد أخذت على عاتقى مهمة نشر المذاهب الصوفية، وإعداد الشعوب لعهد قادم من المعجزات. طيف المسيح الجديد يزحف فى الأفلاك.

– هل تعترف بأنك نوّمت هذه الفتاة مغناطيسياً؟

– أعترف أننى أجريت بعض التجارب. إنه موضوع حيوى جداً .

– تحدث عن كل تجربة عل حدة.

– السيد الرئيس. بإمكانك رؤية تجاربى فى الجامعات والمراكز الأكاديمية لسان بتسبورج (San Petesburgo) إذا أردت، وفى مدن عديدة: ڤيينا، نابلس، برلين، باريس، لندن، لشبونة، ريودى چانيرو.

فى الآونة الأخيرة نوقشت نظرياتى حول الكرما Karma(*) والتنويم المغناطيسيي فى صحف شيكاغو وڤيلادلفيا الكبيرة، نادى

(*) الكرما : هى فى الأديان الهندية ، عبارة عن الحدث وتتابع الأفعال وعواقبه .

هافانا للنجمة الصوفية منحنى شهادة الأخوة الكاملة. إمبراطورة النمسا دائمًا تشرفنى بتفسير أحلامها وكم لها عندى من أسرار لن أكشف عنها مطلقًا. رئيس دولة فرنسا وملك بروسيا أرادا رشوتى أثناء عملى فى هذه العواصم ولكن بلا فائدة . الصوفية تعلم الإنسان ازدراء الشهرة والثراء، لو إذنت لى فإن ألبوم صورى والجرائد التى تحدثت عنى تحت تصرفك سيدى الرئيس.

– ولكن كيف تحصل على الدكتوراه فى المذاهب الصوفية بأعلى الدرجات . وتوجد فى هذه الحفلات الليلية المخمورة فى بيوت الدعارة فسّر لنا ذلك ووضّح تصرفك هذا .

– اسمح لى سيدى الرئيس أن أستشهد بالآنسة ميديوم "La Señorita Medium" تغلبى ياآنسة على خجلك الطبيعى وأظهرى للسادة إذا كنت تستطيعين العمل فى تلك الأجواء الشهوانية.

سيدى الرئيس إن الاهتمام العلمى بتجارب المغناطيسية مبدأ مهم فى عملى. لقد قمت بزيارة ذلك المكان لأنهم حدّثونى عن هذه الآنسة ميديوم، وكنت أرغب فى معرفتها وتوجيه حياتها لمسارات أكثر فعالية.

آنسة. ألم أقترح عليك أن تتخلصى من شهوانيتك؟

– هل أدفع الثمن وحدى. إن الليسنسيادو لم يتوقف طوال الليل عن تفاهاته الشهوانية.

– آنسة جوادالوبى (Guadalupe) تذكرى كيف اقترح عليك أحد الرهبان مرافقتى فى أسفارى البعيدة لنعمل معا فى مجال المغناطيسية.

– تعرضنى على المسرح!

– نعرض للجمهور الذى لا يصدق الخفية الخلاّقة الكامنة خلف أخطاء البشر. سيادتك رفضت طلبى وابتعدت وأنا أعتصر من الألم لفشلى فى إقناعك.

سيدى الرئيس. أعتقد أننى أزلت الشك وأوضحت طهارة أفعالى. فى أوروبا لا يتصدى لهذه الحالات إلا رجال العلم المتفوقون، فالتنويم المغناطيسى انتشر اليوم فى جامعات ألمانيا انتشاراً كبيراً.

– ستقدم لنا التجارب التى أجريتها مساء أمس مع هذه الفتاة مرة أخرى .

– رهن أمرك سيدى الرئيس، ولكننى أستطيع تقديم برنامج ممتاز من التجارب المشابهة.

– هذه الفتاة الشهوانية ستكون أول من يُحقق معه. لقد صرّح الليسنسيادو فيجياس أنه – فى ظروف معينة – كان مسلوب الإرادة بسبب التنويم المغناطيسى للمتوفاة.

غضّت فتاة الدعارة بصرها وأرخت عينيها على الأحجار المقلدة فى إصبعها وقالت:

– لو كنت أمتلك قوة خفية، ما كنت جارية مدينة لكوكارتشا. إن ليسنسيادو يعلم ذلك جيداً. هل تنكر ذلك؟

– لوبيتا . لقد كنت بالنسبة لى شيطانة مغناطيسية.

– أهكذا تتهمنى سيادتك برغم ما قدمته لك من مشورة.

– لوبيتا اعترفى بأنك – مساء أمس – كنت تحت تأثير مغناطيسى هستيرى، وأنت تقرأين الغيب لى عندما أثار ذلك التافة دوميثيانو الاضطراب أثناء الرقص، وأنت التى أعطيته الأيقونة لكى يختفى.

– ليسنسيادو. لقد كنتما مخمورين حتى الثمالة. لقد أردت – فقط – أن أراكما خارج الحجرة.

– فى تلك الساعة بالذات أتت لوبيتا وتكهنت بما كنت أفكر فيه. لوبيتا أنك تتعاملين مع الأرواح. هل تنكرين أنك قد تكشفت عن وسيطة عندما نوّمكى دكتور بولاكو مغناطيسيا؟

– حقًا. إن هذه الفتاة حالة خاصة جداً من البصيرة المغناطيسية.

تساعدنا على إدراك الظاهرة بطريقة أفضل. ستجلس الآنسة الوسيطة على مقعد وسط الحجرة تحت ضوء النجفة الرئيس. تفضلى يا آنسة ميديوم. شرفينى هنا.

أخذها من يدها – فى حركة مسرحية – أوصلها إلى وسط الصالة. والفتاة تبدو عاقلة جداً، شبه طائرة عن الأرض، فقط تلمسها بأطراف

أصـابعها وعيناها إلى أسفل وهى تضع أنامل يدها على قفاز دكتور بولاكو.

- شاك ، شاك.

-٤-

تبدو قسمات الوجه الساخر للمومياء الهندى وقد زحفت عليها شيخوخة خضراء بينما يخرج دكتور بولاكو عصاه السحرية من بزّته الرسمية. هذه العصا المكونة من سبعة معادن لمس بها جفون لوبيتا، فعل ذلك بتمهل شديد وبملاطفه كبيرة وتقديم التحية للعصا السحرية بعد ذلك.

أخذت لوبيتا تتنهد ثم غابت عن وعيها. ولايزال فيجياس راكعًا فى أحد الأركان ينتظر المعجزة: سوف يسطع ضوء براءته:

كانت لوبيتا والمدعو دكتور بولاكو يثيران الحماس فى تلك اللحظة برواية ساحرة مقدسة. وبكآبة يأملون فى إعادة حظوة الطاغية من تلك الأسرار، ثم خرقت التكشيرة الخضراء صدى الصمت:

- شاك! شاك. ستقوم سيادتك بإعادة التجارب التى أجريتها خطوة خطوة كما أجريتها ليلة أمس مع هذه الفتاة المدنّسة كما ذكرت لك من قبل على ماأعتقد.

- سيدى الرئيس. هناك ثلاثة قوالب للتخاطر: الماضى، الحاضر، المستقبل وهذه الثلاثية نادرًا ماتتم عند الوسيط فى مناجاة الأرواح. إنها

تبدو متفرقة فى حالة الآنسة جوادالوبى، فقوة التخاطر عندها لاتتجاوز الحاضر أما الماضى والمستقبل بالنسبة لها أبواب مغلقة. ، وداخل رؤيتها التخاطرية فإن الأمس القريب بالنسبة لها ماض بعيد. هذه الآنسة عاجزة تمامًا عن إعادة تجربة مضت، إنها وسيط غير محنك. إنها قطعة ماس بدون تاجر مجوهرات.

سيدى الرئيس. يمكن أن أقدم برنامجًا ممتازًا من التجارب المشابهة فى حدود الإمكانات.

ملأت التكشيرة المتجهمة تجاعيد وجه الطاغية وقال:

– يا دكتور لاتراوغ. أريدك أن تنفذ رغبتى وتعيد لى التجارب واحدة تلو الأخرى كما أجريتها بالأمس فى بيت الدعارة.

– سيدى الرئيس. فقط استطيع إجراء مشابهة. فالآنسة الوسيطة لن تخطو خطوة للخلف. إنها عرّافة محدودة القدرات، بإمكانها الوصول لقراءة الغيب، إحضار حدث بعيد، تخمين رقم يفكر فيه السيد الرئيس.

– لديك كل هذه المواهب والإمكانات العلمية وتمارس البغاء فى أحد بيوت الدعارة.

– العصب الهستيرى الكبير للعلوم الحديثة يستطيع توضيح هذا.

يا آنسة السيد الرئيس سيتفضل باختيار رقم فى ذاكرته. اذهبى إليه، أمسكيه من يده وأخبريه بالرقم بصوت عالٍ نسمعه جميعًا، صوت عال وواضح يا آنسة ميديوم.

- سبعة ، رقم ٧.

- سبعة خناجر . شاك ، شاك.

تأوه ناتشيتو في ركنه البعيد:

- بهذه اللعبة الخادعة تكهنت بالأمس.

تحول بانديراس الطاغية إلى إنسان مهموم وفكاهي في الوقت نفسه:

- لماذا كنت تزور هذه الأماكن ياصديقي؟

- قائدي حتى في الموسيقى يكون موضع القدم خفيفًا.

رفع الطاغية إيماءته الضغينة، وركّز عينيه بإصرار وسوء ظن. كانت الفتاة تتململ في مقعدها، فكت شعرها وبدا ملتويًا كما لو كان حية سوداء.

دخل بانديراس حلبة الأصدقاء:

- عندما كنا شبابًا كنا نشاهد هذه المعجزات بريالين فقط.

كل هذه الشهادات، كل هذه العصابات، لست على ما تدعي من الكفاءة إنك تبدو لي محتالاً له نزواته أو مجرد دجال طموح. سأصدر

أوامرى ليحلقوا لك لحية العالم الألمانى التى تتستر وراءها لأنه ليس لك الحق فى إطلاقها.

– سيدى الرئيس. إننى أجنبى لاجئ تحت راية دولتك النبيلة.

أعلّم الشعب الحقيقة والروحانيات، وأبعده عن الماديات. بتجاربى البسيطة أوضحت لطبقة العمال الكادحين المفهوم الحقيقى لعالم خارق العادة. إن حياة الشعوب تعظُم عندما ترتكز على عمق غامض.

– يادون كروث (Don Cruz) نظراً لحديثه الظريف احلق له نصف حلاقة فقط لاغير.

أظهر الطاغية تكشيرة ساخرة مهمومة وانتظر من خادمه الحلاّق أن يقدم له عنقود الشعر عالقًا بأصابعه:

– إنه شعر مستعار يا سيدى.

–٥–

استيقظت فتاة البغاء وهى تتنهد، لقد خرجت من حدود الدنيا مندهشة، كان المومياء الهندى يصوب نظارته المعظّمة إلى المدينة من أعلى البناء، وضوء المصابيح يقصف الحشد الصاخب من الأتربة. وفجأة: لهيب ... أجراس ... بوق عسكرى:

– شاك ، شاك. تخريب وتدمير. أسرع دون كروث وأحضر لى متعلقاتى العسكرية.

كان الحارس الليلى قد نزع سنجه البندقيه وأطلق النيران فى الظلام إنذاراً بالخطر. وساعة الكاتدرائية تدق اثنتى عشرة دقة بينما يصدر الطاغية أوامره من فوق الدرج:

– مايور دل ألفاى. خذ بعض الرجال وامسح الحقول، واعرف لماذا أطلقت النيران من ثكنات الجيش.

عندما خرج المايوردل ألفادى من الباب دخل الخادم فى فخر مصطنع وهو يحمل على يديه صينية فوقها الرداء الرسمى يقدمه إلى جنراله في خشوع. انبطح الجميع أرضًا ودوت المشاجرات.

علا صراخ فى غضب: لقد وقع الشقاق بين الناس. ضرب الأرض بقدميه مما جعل السلم المتحرك والمنظار المقرب يهتزان:

– وقاحة، خِسّة، لن يتحرك أحد منكم. ياللشؤم، ما هذا اللغز الذى يصعب حله عليك يا دكتور السحر؟

نظر دكتور بولاكو الساخر بهدوء، رأى الصالة مضاءة، والفزع يملأ الوجوه، وغضب مهول على وجه الطاغية، فاستأذن وقدّم التحية مودعًا:

– فى مثل هذه الظروف ليس بإمكانى قراءة طالع الغيب.

– وهذه الشابة العفيفة التى عرضت علينا رؤيا ممتازة فى مرات سالفة ألا يمكن أن تفيدنا فى أمر الشعب المتمرد فى سانتافيه؟

يا دكتور هيا نوّم الآنسة ميديوم واسألها.

سأذهب لارتداء الذى الرسمى العسكرى. لا يقترب أحد من سيفى.

كان صوت المعركة يرتفع ويدوى حول الأروقة والأركان، قوات احتياطية لتعزيز الحراسة وسمراء بيت الدعارة تتنهد تحت تأثير التنويم المغناطيسى للساحر الأصلع: ماذا تشاهدين يا آنسة ميديوم؟

-٦-

سكتت ساعة الكاتدرائية، ومازال صدى دقاتها الاثنتى عشرة فى الهواء ... الديوك تفزع ... القطط تتشاور فوق الأسطح ... أشباح ترتدى قمصانا تطل من أعلى السطح.

على جانب ميدان الأركيو (El Arquillo) يتناطح قطيع صغير من الثيران وسائقى الدواب فى مشهد هروب .. ضوضاء ... انفجارات ... التراب يرتفع، وصوت الأبواق العسكرية يعلو ويعلو.

جمع من الراهبات حليقات الرؤوس هربن من الهجوم الليلى المفاجئ وجئن إلى الدير الذى انتهكت حُرمته ومازال تبادل إطلاق النيران مسموعًا من اتجاهات مختلفة.

أحصنة ملقاة على الأرض ... شغب وفزع وبكاء ... زحام وحشود أشبه بالمد والجزر ... النمور هربت من أقفاصها وتزأر بعيون ملتهبة نحو أركان المنازل.

من فوق سطح صغير يكسوه ضوء القمر يهرب شبحان يجران بيانو أسود اللون خلفهما، ويبدو وراءهما باب مسحور ضيق يفصلهما عن ألسنة اللهب وسحب الدخان. ظل الشبحان يجريان وملابسهما مشتعلة ويداهما متشابكتان نحو حافة سطح المنزل وألقيا بأنفسهما إلى الشارع بينما يغرب القمر خلف سحابة ضبابية كأنه يلعب مع النجوم لعبة الدجاجة العمياء فوق سانتافيه دى تييرا فيرمى الثائرة.

-٧-

تتنهد لوبيتا فى لحظة مغناطيسية ويظهر بياض عينها الذى يرى الأسرار دائماً.

ختام

- شاك ، شاك.

بانديرس الطاغية حذر مرتاب، يراقب دفاع الجنود الذين أصدر أوامره بحشدهم لبناء الحواجز وإصلاح الحصون وحفر الخنادق:

- شاك ، شاك

الطاغية غاضب من الفتور الذى يبديه الجنود ويحلف ويتوعد الجبناء والخونة بأشد العقاب. لقد ضايقه فشله فى أول موقعة، كان يريد أن يلقن المدينة درسًا فى العقاب الدموى. يلتف مساعدوه حوله وينسحب من المواجهة والغيظ يسيطر عليه بعدما ألقى خطابًا على الرفاق المحاربين من الطلائع فى الكامبو دى لا رانيتا (El Campo de la Ranita).

- شاك.

-٢-

وجد نفسه قبل الفجر محاطًا بجموع الثوار الذين ملأوا ربوع سانتافيه، صعد إلى البرج فى هدوء ليدرس مواقع المهاجمين:

العدو فى أنساق غير واضحة المعالم، اكتشف حشداً عسكرياً منظمًا يتجه نحو الطرق الغربية، الخناق يضيق على المكان المحاصر، إنهم يقتربون من الحصن.

بالغ بانديراس الطاغية في تكشيرته الخضراء عندما أدرك الخطر. سيدتان من العامة تحفران بأيديهما حول الهندى المدفون حتى الخصر فى أرض الدير الجرداء:

– هاتان القوادتان ستوقعاننى، ماذا تفعل أيها الحارس الدنىء ؟

صوب الحارس فى بطء:

– إنهما فى وضع لا يمكننى من التصويب.

– ضع للجبان رصاصة وقسم بين السترة الجلدية.

أطلق الحارس النار، ثم تبودلت النيران من جميع المواقع الأمامية، ظلت السيدتان على الأرض إلى جانب الهندى بين دخان الأتربة فى الصمت المرعب وهبوب الرياح وصوت القذائف.

هز الهندى ذراعيه مودعًا آخر نجمة فى السماء وهو مثقوب الرأس.

الجنرال:

– شاك ، شاك.

-٣-

هرب الجنود الباقون من المواقع الأمامية عند أول هجوم، ورأوا الطاغية فى البرج يوجه شتائمه لدون كروث:

- يا ابن العاهرة كنت أعلم جيداً أنك سوف تخرج علىّ فى الوقت الذى أكون فيه أكثر احتياجًا لك. هل ستكون نبيًا يادون كروث؟

كان الحلاق يحدث الطاغية دائمًا عن الخونة.

كل هذا ولم ينقطع صوت النيران. كان الثوار عازمين على تضييق الحصار لعرقلة أى محاولة لخروج المحاصرين، فرصّوا المدافع فى صفوف، وقبل إطلاق النيران خرج من الصفوف: إنه الكولونيل دى لاجاندرا فوق حصان قوى، مسرعًا نحو الحقول ومخاطرًا بحياته ليبلغ الطاغية فى قوة وحزم أن الوقت حان للاستسلام، بينما الطاغية يسبّه من فوق البرج:

- إنك قرصان جبان، سأعدمك رميًا بالرصاص من الخلف، أطل بانديراس على الجنود المصطفين تحت البرج وأمرهم بفتح النيران، أطاعوا الأمر ولكن صوّبوا لأعلى، فلم يصيبوا أحداً.

صاح الطاغية:

- صوبوا نحو النجوم يا أولاد العاهرة.

وسط كل هذا انطلق المايور دل ألفاى الى الأمام منضمًا إلى الثوار والطاغية يصرخ من شدة الغيظ.

– لقد ربيت غربانا.

وأصدر أوامره بحبس جميع الجنود داخل الدير، ثم ترك البرج وطلب من خادمه الحلاق كشفًا بأسماء جميع المشكوك فى أمرهم، وكلّفه بشنق خمسة عشر منهم محاولاً بتلك اللعبة إرهاب الآخرين الذين يحاولون الفرار من المعركة

وحدث نفسه قائلاً:

– أمن المعقول أن أربعة أخساء سوف يهيلون التراب على وجهى لقد كنت مخدوعًا.

تصور بانديراس أنه يستطيع الصمود طوال اليوم ثم يحاول الهرب تحت جنح الظلام.

–٤–

فى وسط النهار كان الثوار يطلقون نيران المدفعية وفى وقت قليل تمكنوا من فتح ثغرة لبدء الهجوم. حاول الطاغية سد الثغرة لكن الجنود لم يمكنوه فاضطر للعودة والبقاء داخل الثكنات.

نظر فوجد نفسه ضائعًا لا محالة فلم يجد فى صحبته غير الخادم الحلاّق، خلع حزام المسدس وسال لعابه السام الأخضر وناول خادمه المسدس:

– سيكون من المناسب أن يصحبنا عازف الموسيقى ليسنسيادو فى رحلتنا إلى جهنم، وفى خطوة الفأر المتلصص صعد إلى غرفة ابنته – التى فزعت عندما فتح الباب – وقال لها:

– بنيتى أنت لاتصلحين للزواج ولن تكونى سيدة عظيمة مثلما كان يعتقد هذا المذنب الذى يزهق روحك فى هذه اللحظة بعد عشرين عامًا ليس من العدل والإنصاف أن تبقى فى الدنيا ليستمتع بك أعداء والدك، ويعيروك بأنك ابنة الدنىء بانديراس.

توسل إليه الخدم وهم يحتضنون ابنته المجنونة فضربهم الطاغية وأبعدهم.

– أيها الأخساء إذا كنت سأترككم على قيد الحياة فهذا لأنكم فقط ستكفنونها كالملاك الطاهر.

تناول خنجره وأوثق ابنته وأغمض عينيه ...

جاء فى مذكرات الثوار أنه طعنها خمس عشرة طعنة.

خرج الطاغية إلى النافذة وخنجره فى يده، ثم سقط نتيجة إطلاق أعيرة نارية كثيرة عليه فصلت رأسه عن جسده الذى بقى ثلاثة أيام فوق المقصلة بملابس الإعدام الصفراء فى ميدان الأسلحة (Plaza de Armas) .

جاء في محضر الإعدام ضرورة تقطيع جسده أربعة أجزاء توزع على الحدود والبحار.

زمالبوه (Zamalpoa) ونويفا كارتخينا (Nueva Cartagena) وبويرتو كولورادو (Puerto Colorado) وسانتا روزا دل تيليباي (Santa Rosa del Tilipay) كانت المدن التي فازت بالجائزة وتوزع فيها جسد الطاغية

Glosario

Abarrotes: General en toda América, con anteposición de tienda de, por "casa de comercio donde se venden diversos artículos". En México se usa cada vez más sin anteposición alguna (Malaret). «Con cinco valientes pongo fuego a todos los abarrotes de gachupines» (TB, p.11).

Abarrotero: Guatemala y México, "persona que comercia en abarrotes" (Icazbalceta, Malaret, Santamaría). «Algunas voces tartufas de empeñistas y abarroteros» (TB, p.65); «... no puedo ... cubrirme de ridículo por cuatro abarroteros» (TB, p.303).

Ameritado: Colombia y México, "benemérito, lleno de méritos" (Malaret, Santamaría). «Un español ameritado no puede sustraer su actuación» (TB, p.94); «Santos Banderas guarda todos los miramientos a un repúblico tan ameritado» (TB, p. 278). Cf.: «Los Vázquez Prados tenemos... en línea materna a muchos ameritados militares» (Azuela, Tribulaciones, p.8); «Lo más probable es que... ni siquiera supiese lo que... tramaban contra este... ameritado empleado» (Magdaleno, Palabras, p. 219).

Ándele: Chile, Guatemala, México y Panamá, interjección usada para animar a alguien a hacer algo (Hills, p. 43 y n. 5; Kany, pp. 127-128; Rosenblat, p.210; Santamaría). «El Coronelito... grita con humor travieso: -¡Ándele, pendejo!» (TB, p.134); «Ándele no más, le subo en mi carruaje» (TB, p.282). Cf.: «-... está

regüena... Ándele no más, aprébela» (Azuela, Los de abajo, p.44); «¡Andele...! Vaya a pararse allí» (Muñoz, Se llevaron, p. 137).

Apendejarse: Antillas, "acobardarse, volverse pendejo" (Henríquez Ureña, P., Santo Domingo, p.197; Malaret). No lo encuentro en los diccionarios con el valor de "ponerse tonto", pero de hecho es muy usual en México. «¡No te apendejes! Te daré cinco soles por hacerte algún beneficio» (TB, p. 155).

Arrendarse: México (Querétaro, Sierras de Hidalgo, Zacatecas), "volver (se), regresar" (Malaret). Es propiamente campesino (Santamaría). «-Ustedes... no se destierren: Arriéndense para dar su fallo» (TB, p.97). Cf.: «"Arriéndate..., arranca a avisar..." Volteó su caballo y partió..." (Inclán, Astucia, 3, p. 372); «Sabrá su merced... que de allí nos arrendó el amo... "Da vuelta como viniste..."» (Azuela, Pedro Moreno, p.20).

Arrugar: Cuba y Tabasco, "amolar, fastidiar, molestar, embromar" (Malaret, Santamaría). «-¿Qué jefe militar le arrugó el tenderete...?» (TB, p.54).

Arrugarse: México, "acobardarse, tener miedo" (Icazbalceta, Santamaría). «¡Y no me arrugo ni me rajo!» (TB, p.233); «...visto que usted... había de arrugarse frente al tejado» (TB, p. 270).

Atorrante: Argentina y también Bolivia, Chile y Uruguay, "vagabundo, azotacalles, haragán, persona harapienta y sin hogar que vive en la mayor abyección (Echeverría, Malaret, Santamaría

Segovia). También se dice del individuo de prendas morales poco recomendables. «-Por veces nos llegan puros atorrantes representando a la Madre Patria» (TB, p.95); «Se ha mudado ese atorrante» (TB, p. 188). Cf.: «Nada: que este atorrante... me ha faltado...» (Lynch, Los Caranchos, p.47); «Mis tías... regañaban el día entero, poniéndose de acuerdo sólo para decirme... que era un atorrante...» (Güiraldes, Don Segundo, p. 11).

Aura: Antillas, "vultúrido diurno que en México se llama zopilote" (Henríquez Ureña, P., Indigenismos, pp. 107 y 109; Santamaría Suárez, Zayas). «... picoteaban grandes cuervos, auras en los llanos andinos...» (TB, p.145). Cf.: «... había aparecido junto al arroyo un esqueleto despojado por las auras tiñosas...» (Novas calvo, El negrero, p. 123).

Balacera: México, "tiroteo" (Malaret, Revilla, pp. 194-195). «...escapé ileso de la balasera...» (TB, p.12). Cf.: «-Dentro de dos horas puede comenzar la balacera...» (Muñoz, ¡vámonos...!, p. 102): «...merito en medio del agua se soltó la balacera» (Rulfo, El llano, p. 148); «...y de entre la balacera / sólo Julián se ha escapado» (Mendoza, El corrido, p. 110).

Balasera: véase balacera.

Banqueta: Guatemala y méxico, "acera" (Malaret, Ramos y duarte; Revilla, pp. 192-193; Santamaría). «Si dilatas en... ponerte en la banqueta, llamo a los gendarmes» (TB, p.157). Cf.: «Algunos de aquellos... se habían pasado la noche en la calle, acostados

en la banqueta...» (Ferretis, Tierra Caliente, p. 91); «...las mesnadas ocuparon... las banquetas cercanas y aun el empedrado...» (Magdaleno, El resplandor, p.170).

Bochinche: México, "pulpería o taberna de pobre aspecto" (Malaret). «...como arrastraba su vida por bochinches... era propenso a las tremilinas...» (TB, p. 110); «...la plebe cobriza... remansada frente a bochinches...» (TB, p.212). Cf.: «Lo mismo maneja la guitarra en un bochinche que el cuchillo en una encrucijada» (Azuela, El camarada pantoja, n. 86).

Bola: México, "reunión de gente numerosa y desordenada; riña tumulto; asonada, motín, revolución" (Icazbalceta, Malaret, santamaría). «...harto me favoreces para que te dispute una bola de indios» (TB, pp. 179-180); «Cuando estalló la bola revolucionaria, desertamos todos los peones de las minas...» (TB, p. 261). Cf.: «Cuando la ocupación de Matamoros... la revuelta tomó el carácter de una insurrección del país; más o menos ostensiblemente... la aplaudían los infinitos devotos de la bola...» (Sierra, Evolución, p. 437); «...si como parece, esta bola va a seguir, si la revolución no se acaba...» (Azuela, Los de abajo, pp. 173-174); «Y salimos todos en bola, echando a andar por mitad de la calle...» (Muñoz, Se llevaron, p. 136). Bolear: América meridional, "arrojar las bolas o boleadoras para apresar un animal" (Echeverría, Garzón Granada, Malaret, Santamaría, Segovia). «¿Y dónde descubres tú un guaco para bolearle?» (TB, p. 148). Cf.: «Es cosa que pasma verlos desde chiquitos... bolear avestruces, guanacos gamas...» (Mansilla, Excursión, p. 199).

Boleto: América, "boleta, cédula; billete de teatros, trenes, etc." (Echeverría, Garzón, Icazbalceta, Malaret, Segovia). «...a estos dos flautistas vea de suministrarles boleto de preferencia» (TB, p. 229). Cf.: «¡A poco quieren que les manden boleto de pulman...! (Magdaleno, El resplandor, p. 25).

Boliche: Argentina, Bolivia, Chile, Perú, Uruguay, "pequeño despacho de comestibles y bebidas inferior a la pulpería" (Battini, pp. 139-140; Echeverría, Garzón, Granada, Malaret, Román, Segovia). México, "juego de bolos ;y lugar donde se juega" (Icazbalceta). "La Plaza de armas, Monotombo, Arquillo de Madres, eran zoco de boliches y pulperías» (TB, p.107). Cf.: «decíle algo a Juan sosa... que está mamao, allí en el boliche...» (Güiraldes, Don Segundo, p.15).

Boluca: «Mi jefesito, en estas bolucas somos baqueanos» (TB, p.9). Creación de Valle por cruce de bola (cf. supra) y boruca "bulla, algazara" (Dicc. Acad.) muy usada en México. Cf.: «...el pueblo no metía boruca, así al aire libre» (Carlos Fuentes «Calavera del quince», en Cuentistas mexicanos modernos. 2, p. 236. Bibliot. Mínima Mexicana, vol. 27, Libro-Mex, México, 1956).

Botas de potro: Bolivia y Río de la Plata, "calzado característico de los gauchos y hombres de campo, hecho con el cuero crudo y sobado de las patas de un caballo o de una vaca; a veces dichas botas están abiertas en la parte correspondiente a los dedos para que el jinete pueda estribar" (Garzón, Malaret, Segovia; véase también tiscornia, Poetas gauchescos, pp. 169-170). Zacarías el Cruzado -poncho y chupalla, botas de

potro y espuelas- ...adelantaba por la puerta medio caballo» (TB, pp. 213-214). Cf.: «Su traje era el de un paisano... botas de potro cerradas en la punta» (Mansilla, Excursión, pp. 286-287); «...me hicieron mil preguntas... queriendo saber... si sabía descarnar bien las botas de potro» (Güiraldes, Don Segundo, página 376).

Briago: México, "borracho" (Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). «¡Estás *briago*! Jaláis más de la cuenta, y luego venís a faltar en los establecimientos» (TB, p. 214); «...esas son quimeras alcohólicas, pues la pasada noche se hallaba usted totalmente briago...» (TB, página 341). Cf.: «Ya se lo diremos en cuantito esté briago. Empújese otro trago más» (Guzmán, La sombra del caudillo, p. 172); «No tiene la culpa el pulque, sino el briago que lo bebe» (Rubio, 2, p. 63).

Bruja: Cuba, México y Puerto Rico, "arrancado, pobre, sin dinero" (Malaret, Santamaría). «Más bruja que un roto y huyente de la tiranía me tienes aquí...» (TB, p. 176).

Cf.: «Al bruja nadie se le arrima» (Rubio, 1, p. 80).

Bruja (andar o estar): Cuba, México y Santo domingo, "estar momentáneamente sin dinero" (Henríquez Ureña, P., Santo Domingo, p. 219; Santamaría, Suárez). «...andaba estos tiempos muy bruja, y acaso buscó remediarse de plata en la montonera revolucionaria» (TB, página 100); «De no haber estado tan bruja, hubiera guardado este día» (TB, p. 118). Cf.: «De cuelga, ahora que estamos tan brujas, te voy allevar a la feria» (Azuela, El camarada Pantoja, p. 47).

Caballeragno: México, "caballerizo, mozo de estribo" (Hills, p. 46, n. 4; Icazbalceta, Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). «...con una escolta de cuatro indios caballerangos...» (TB, p. 322). Cf.: «...y mientras el caballerango paseaba las cabalgaduras...» (Delgado, La Calandria, p. 413).

Cachimba: General en América, "pipa de fumar ordinaria" (Arona, Gagini; Henríquez Ureña, P., Santo Domingo, p. 130; Ramos y duarte, Román, Suárez). Se oye en España. «Era un viejo... que fumaba en cachimba» (TB, p. 228). Cf.: «Míster Danger sacó y encendió tranquilamente su cachimba» (Gallegos, Doña Bárbara, p. 251).

Catinga: Bolivia, Chile y Río de la Plata, "olor desagradable e intenso que despiden indios y negros y algunos animales y plantas" (Granada, Malaret). Argentina, "transpiración maloliente, especialmente la axilar" (Segovia). «Un vaho pesado, calor y catinga, anunciaba la proximidad de la manigua» (TB, p.50); «En aquellas horas, el vaho de tabaco y catinga era de una crasitud pegajosa» (TB, p. 262).

Coca: Norte de Argentina y Chile, Bolivia y Perú, "hojas secas de laErytroxylon coca que los indios mascan solas o mezcladas con tierra blanquizca u otros ingredientes" (Lenz, Lizondo Borda, p. 94). «En el Perú había hecho la guerra a los españoles, y de aquellas campañas veníale la costumbre de rumiar la coca» (TB, p. 22). Cf.: «...mascaban coca los tres y permanecían silenciosos, impasibles y mudos» (Arguedas, Raza de bronce, p. 20).

Cocol: México, "panecillo con figura de rombo" (Icazbalceta, Malaret, Santamaría). "... viejas que venían por el centavo de cominos para los cocoles" (TB, p. 203). Cf.: "... a la sombra de un grueso pirú, estaba una vieja ... y a su lado, una mesita chica con cuatro o cinco cocoles" (Inclán, Astucia, 1, p. 352).

Cocuyo: América, 'insecto que de noche despide luz' (Henríquez Ureña, p., Indigenismos, p. 103; Nykl, p. 213, n. 3; Santamaría). "Los cocuyos encendían su danza de luces" (TB, p. 102).

Cóleras (hacer): México, 'montar en cólera' (Icazbalceta, Malaret). "Taitita, no hagás una cólera" (TB, p. 161). f.: "...son causa de que se enfermen los niños, pues... no se guardan de hacer cóleras" (Lizardi, Periquillo, 1, pp. 55-56); "... cuando Gabriel sepa todo ... hará una cólera, que ya me parece que lo veo, jalándose los cabellos y pateando el suelo» (Delgado, La Calandria, p. 453).

Compadre, -ito: México, "tratamiento cariñolso y de amistad que no implica forzosamente verdadera relación de compadrazgo". Su valor se asemeja al registrado para andalucía (Dicc. Acad., s. v. compadre, 3). "Tirano Banderas... salió... Le seguían compadritos y edecanes» (TB, p. 49). Cf.: «Máteme usté, compadrito, / pa'que le pague el gobierno» (Mendoza, El corrido, p.207).

Concho: Bolivia, Colombia, Chile, Ecuador, Perú, "residuo, sedimentos, borras; poso de un líquido" (Arona, Echeverría, Lenz, Malaret, Medina, Román). «...el concho que resta, esa

vieja maulona que se lo beba... Doña Lupita... tomó el concho saludando y bebiendo» (TB, p.55). Cf.: «...se prohibió la fabricación de aguardientes que no fuesen de los conchos puros del vino» (Palma, Tradiciones, I, página 243): «Las palas de madera lanzan al aire los conchos de paja y trigo» (Barrios, Gran señor, p. 165).

Congal: 'burdel, lupanar' (Malaret, Santamaría). «En el congal, la Madrota daba voces ordenando que las pupilas se recogiesen a la perrera del sotabanco» (TB, p. 141). Cf.: «Yo trabajo por estos rumbos para llenarle el congal» (Arreola, La feria, p. 167).

Coyote: México, 'especie de lobo' (Henríquez Ureña, P., Indigenismos, página 103 y Santo Domingo, p. 129; Icazbalceta, Malaret; Revilla, p. 191; Santamaría) «Escapábamos a paso de coyote» (TB, página 259). Cf.: «...no recuerdo sino que me dormí arrullado por el ladrido de los coyotes» (Cventos mexicanos del s. XIX, p. 136).

Chamaco: Centro América, México, 'niño, chicuelo, joven, adolescente' (Malaret; Revilla, p. 193; Santamaría). «Tú cuidarás de educar a los chamacos» (TB, p. 221); «A lo que se colige, el chamaco tampoco es revolucionario» (TB, p. 236). Cf.: «¿Y los chamacos?... ¿Nacieron de la tierra?» (Azuela, Los de abajo, p. 165); «...a su hijo, el chamaco que Miguel Contreras llevaba enancado...» (Muñoz, ¡Vámonos...!, pp. 108-109).

Chamanto: Chile, 'especie de poncho o manta con abertura para pasar la cabeza; hay chamantos burdos y de lujo, pero ambos

se caracterizan por las listas y dibujos de colores" (Echeverría, Lenz, Malaret, Medina, Román, Santamaría). Cedros y palmas servían de apoyo a los tabanques de jaeces, facones y chamantos» (TB, p. 207). Cf.: «Con sus chamantos terciados sobre el pecho, los hombres agitaban sus chupallas en el aire» (Blest Gana, El loco estero, página 8); «...asistieron bien montados... con laboreados chamantos...» (Barrios, Gran señor, p.28).

Chance: En distintos países de Hispanoamérica, "oportunidad, ocasión" (Malaret, Santamaría). «...visto el chance, la cabeza me juego si no te salvo» (TB, p. 199). Cf.: «Yo sabía ya que no había chance con la muchacha» (Novas calvo, Cayo Canas, p. 136); «...el Subdirector metió a su ahijado y cuando yo le hablé de vos, ya el chance se lo había dado a ése» (Asturias, El Señor Presidente, p. 45); «Las dos chances me dejaron sin gana de tomar un completo con medias lunas» (Jorge Luis Borges, «El hijo de su amigo», Revista Mexicana de literatura, I septiembre-octubre de 1955, p. 21).

Chancho: Centro y Sud América, "puerco, cerdo" (Malaret, Sanamaría). «¡Me lo han devorado los chanchos en la ciénaga!» (TB, página 12).

Changüí (dar): América, "dar ventaja para ganar después" (Granada, Icazbalceta, Malaret, Santamaría, Segovia, Suárez). «Dale changüí a Tirano Banderas» (TB, p. 286). Cf.: «El viejo daba changüí de buen grado» (Lugones, Guerra gaucha, p. 105).

Charro: México, "tipo representativo del pueblo mexicano; diestro en el manejo del caballo". En Nuevo México, "hermoso, elegante" (Hills, p. 51, n. 2; Icazbalceta, Malaret, Santamaría). «...se fue despacio, enhebrándose por la rueda de charros y boyeros» (TB, p. 207); «¿El jinete charro... no es el ameritado don Roque Cepeda?» (TB, p. 322). Cf.: «Hasta la brillante escolta de charros..., quedó dispersa» (Azuela, Nueva burguesía, p. 18); «Gabriel no era lo que se llama un charro. Sentábase en la silla con cierta naturalidad y gentileza... para manejar el caballo era un colegial» (Delgado, La Calandria, p. 202).

Ché: Bolivia y Río de la Plata, "voz para llamar a una persona" (Echeverría, Garzón, Malaret, Santamaría, Segovia; Tiscornia, La lengua de «Martín Fierro», p. 126, n. 1; Weber, pp. 107-108). Se oye en Valencia, Andalucía y Madrid (Alonso, pp. 6-7 y n. 8; Rosenblat, p. 125). Según Zamora Vicente, el uso madrileño tiene valor de advertencia. «¿Vos conocés la obra que representó anoche Pepe Valero?... ¡Ché! Es un caso de la Historia de España» (TB, pp. 99-100). «¡Qué sonrisas! ¡Qué miradas amigo! - ¡ Ché! Una pasión» (TB, p. 329). Cf.: «¡Ché! Lo mejor que podemos hacer es marcharnos ahora mismo a La Paz» (Arguedas, Raza de bronce, p. 284); «Ché, ché... pero... pero... pero... ¿No me conocés?» (Lynch, Los Caranchos, p.62).

Chicana: Argentina, Bolivia, Costa Rica, Ecuador, México, "ardid, trampa, embrollo". Proviene del francés chicane (Echeverría, Garzón, Gagini, Icazbalceta, Malaret, Medina, Ramos y Duarte, Román, Santamaría, Segovia). «El coronelito de la Gándara...

discutía con chicanas y burlas» (TB, p. 12). Cf.: «...allí la vendería en su justo precio, sin chicanas ni inútiles bellaquerías» (Arguedas, Raza de bronce, p. 167); «Además odiaba la Facultad, el espíritu de chicana que predominaba en ella...» (Gálvez, El mal metafísico, p. 93).

Chicanero: Argentina, Colombia, Chile, Ecuador, México, "que usa de chicanas o malos procederes" (Echeverría, Garzón, Icazbalceta, Malaret, Medina, Santamaría, Segovia). «El Honorable Cuerpo Diplomático... nos combate de flanco con notas chicaneras que divulga el cable» (TB, pp.323-324).

Chicote: América, "látigo" (Battini, p. 137); Colombia, México, Venezuela, "colilla de cigarro" (Icazbalceta, Malaret, santamaría). Con el segundo valor se usa en Andalucía (Alcalá Venceslada). «...dio principio al castigo del chicote, clásico en los cuarteles» (TB, p.24); «Tras del trago, batió la yesca y encendió el chicote apagado» (TB, p. 17) Cf.: «A la lumbre del chicote... columbró el cura la cara del sacristán» (Caballero calderón, El Cristo de espaldas, p. 13).

Chicotear: América, "dar chicotazos, zurrar" (Malaret, Santamaría). "Para rendirle justicia debidamente, se precisa chicotear a un Jefe del Ejército» (TB, p. 96). Cf.: «Ayer chicotearon a Ismael porque raspó un maguey» (Magdaleno, El resplandor, p. 68).

Chicha: América, "tipo de bebida alcohólica" (Henríquez Ureña, Indigenismos, p. 113 y santo Domingo, p. 128; Malaret, Santamaría). «...puesta la vianda en el plato, levantó el caneco de la chicha» (TB, p. 176).

China: América meridional, "esposa o amante criolla de clase humilde; calificativo cariñoso" (Malaret). También en México (Icazbalceta, Ramos y Duarte). Véase Tiscornia, Martín Fierro, pp. 347-348. «...chinitas y soldaderas haldeaban corretonas» (TB, p. 2); «Se queda la chinita al canto del marido» (TB, p. 147).

Chingada (hijo de la): Guatemala y méxico, "expresión de insulto". Según Kany, p. 430, se oye en lenguaje vulgar y se ve pocas veces por escrito, donde se omite la última palabra que se reempllaza con suspensivos. «¡A las estellas tiráis, hijos de la chingada!» (TB, p. 360). Cf.: «¡Ay, hijo de la chingada! ¡Cómo no te llevó la chingada de una vez!» (Ricardo Pozas A., Juan Pérez Jolote, Fondo de Cultura Económica, México, Letras Mexicanas, núm. 6, 1952, p. 51).

Chingado: México, "expresión de insulto usada por el bajo pueblo" (Ramos y Duarte). «¡Chingado Banderitas, hemos de poner tus tajadas por los caminos de la República!» (TB, p. 192). Cf.: «¡Parece mentira, chingado, que ustedes den el mal ejemplo¡» (Magdaleno, El resplandor, p. 185).

Chingar: México, "ofender, agraviar, molestar, herir; causar daño o perjuicio; deshonrar, fornicar" (Santamaría). «¡No me chingues! Harto sabes que nunca me rajé para servir a un amigo» (TB, p. 199).

Chivato: Ecuador y méxico, "travieso, pendenciero" (Santamaría). «...no seas chivatón y te pongas a saltar el tajo cuando te faltan las zancas» (TB, p. 12).

Cholo: México, "indio medio civilizado" (Santamaría); Bolivia y Perú, "mestizo" (Malaret). «A mi sala de audiencia puede llegar el último cholo de la República» (TB, p. 53); «¡Vaya el viajecito que me pintó la chola fregada!| (TB, p. 169).

Chotear: Antillas, Guatemala, México y Perú "mofarse de alguien, poner en ridículo" (Malaret, Santamaría). En Aragón, "retozar, dar muestras de travesura o alegría" (Borao). «El Generalito me daba un hueso que roer y se divertía choteándome» (TB, p. 238). Cf.: «... les pido a ustedes que protesten contra el Excelsior que no más nos está choteando» (Azuela, El camarada Pantoja, p.217).

Choteo: "Broma, burla" (Santamaría). Suárez lo señala para Cuba. «Llegaba« el choteo de los compadritos, que... se divertían con befas y chuelas al licenciado Veguillas» (TB, pp. 326-327).

Chucho: Hipocorístico de Jesús (Icazbalceta, Santamaría). «Chucho el Roto, tiraba la carta» (TB, p. 251).

Chuela: México, "broma, choteo" (Malaret). «¡Filomeno, deja la chuela!... mi dignidad no me permite... esa capitulación denigrante» (TB, página 195).

Chuela (ver): México, "tomar el pelo, dar broma, hacer burla, mofarse" (Malaret, Ramos y Duarte, santamaría). Según Icazbalceta, "calificar de bobo a alguien, menospreciar". «...abusas de tus preeminencias y me estás viendo chuela» (TB, p. 179); «...asombre a estos amigos que le ven chuela» (TB, p. 328).

Chulo-a: "Bonito, gracioso, elegante" (Ramos y Duarte, Santamaría, Segovia). Ni el Dicc. Aut ni el Dicc. Acad. recogen este sentido

que, según zamora vicente es común en España. «Es una tumbaga muy chulita» (TB, p.153); «...Deseábamos rogarle que esperase a la segunda quincena. - ¡Imposible, chulita!» (TB, p. 159). CF.: «...cada día está más chula el diantre de la muchacha» (Lizardi, Periquillo, 1, p. 233); «Pues ahora verá usted mi caballo qué chulo» (Inclán, Astucia, 1, p.36); «¡Verás no más qué chulos vestidos...» (Magdaleno, El resplandor, p. 128).

Chupalla: Chile, "sombrero tosco de paja usado en el campo y por la gente pobre" (Lenz, medina, Román). «...el indio de sabanil y chupalla... saludaba con religiosas cruces» (TB, p. 276). Cf.: «Por sobre la tapia asoma la cabeza de Bartolo, con la chupalla ladeada» (Brunet, Humo, p. 77); «Las mocetonas campesinas lucen... la chupalla...» (Ibid., p. 183).

Danzón: Cuba, "variedad de la contradanza habanera, baile nacional" (Malaret, Suárez). «Algunas parejas bailaban en el azoguejo, mecidas por el ritmo del danzón» (TB, p. 112).

Dilatarse: Muy usado por "tardar, demorarse" (Gagini; Henríquez Ureña, P., Santo Domingo, pp. 57 y 61; Icazbalceta, Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría, Segovia). «Recuerda, si te dilatas, que no me dejas un centavo» (TB, p. 149). Cf.: «Ya van muy colgadas las cabritas... no dilata en amanecer» (Azuela, Los de abajo, p. 140; «...no te dilates / con la charola / de los cacahuates» (Canción mexicana de Navidad; «¿Te dilataste mucho vistiéndote?» (Gallegos, La trepadora, p.97).

Empeño: México, "casa de préstamos, tienda en que se presta sobre prendas (Icazbalceta, Malaret, Santamaría). «La chinita le muestra la mano, jugando las luces de la tumbaga: -¡Buenos brillos tiene! puedo llegarme a un empeñito para tener cercioro» (TB, p. 150); «Iluminaba la calle un farol con el rótulo de la tienda en los vidrios: "Empeñitos de Don Quintín» (TB, p. 213). Cf.: «...me despachó muy envueltita en un periódico a un miserable empeño» (Cuentos mexicanos del s. XIX, p. 722).

Encuerado: Cuba México, "desnudo o poco menos" (Icazbalceta, Santamaría, Suárez). «...atendía, apagando un cuchicheo, la pareja encuerada del pecado» (TB, p. 117). Cf.: «Estaba... sentada... entre perros flacos... muchachos encuerados...» (Azuela, Nueva burguesía, p.40).

Enchilada: Guatemala, México, "tortilla de maíz, empapada en chile y rellena" ªIcazbalceta, Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). «¿De qué año son las enchiladas?» (TB, p. 52). Cf.: «Ni enchiladas in citantes... despertaron su apetito» (Delgado, La Calandria, p. 284). Esquitero: Méxic, "estallido" (Malaret). Véanse los ejemplos correspondientes en «Las fuentes...», II, p. 99.

Estero: Argentina, Bolivia, Colombia, Ecuador, uruguay y venezuela, "bañado, aguazal, terreno bajo y pantanoso" (Garzón, Granada, Malaret, Santamaría, Segovia). «...las glebas de indios... avanzaban por los esteros de Ticomaipu» (TB, p. 9). Cf.: «El suelo de esta comarca era un cañamazo donde los esteros... bordaban mil figuras» (Gálvez, Humaitá, p. 7).

Facón: Argentina, Bolivia y uruguay, "cuchillo grande, arma del gaucho" (Castro, p. 150; Garzón Granada, Malaret, Santamaría, Segovia; tiscornia, Martín Fierro, p. 354). «El criollaje ranchero -poncho, facón, jarano- se estacionaba al ruedo de las mesas» (TB, p. 107). Cf.: «...vestía a la usanza gaucha y llevaba a la cintura un facón, con cabo y puntera de plata» (Güiraldes, Don Segundo, pp. 276-277).

Farra: Argentina, Bolivia, Colombia, Chile, Ecuador, Perú, Uruguay "parranda, juerga, jarana" (Echeverría, Garzón, Malaret, Santamaría, Segovia). «Usted es un briago que se pasa las noches de farra en los lenocinios» (TB, p.340). Cf.: «¡Vieran qué lindas farras! ...el beberaje y el fandango duraban desde la mañana hasta ya anochecido..." (Payró, El casamiento, p. 41); «...las farras... le retornaron a los antiguos pasos de tarambana» (Barrios, Gran señor, p. 327); «Casi siempre se armaba la farra con la primera botella que... apostaban a la baraja» (Icaza, Huasipungo, p. 49); «En las noches de sábado se armaban farras en los cuartos del callejón» (Alegría, Mundo, p. 428). Fiador: Chile, Ecuador, "barboquejo" (Echeverría, Román, Santamaría, Tobar). «El retinto garabato del bigote, dábale fiero resalte al arregaño lobatón de los dientes que sujetan el fiador del pavero» (TB, p. 3). çg.: «Lleva... sombrero de pita con fiador de cordón» (Barrios, Gran señor, p. 49); «...de pronto se le veía... fijar bajo la nariz el fiador del sombrero» (ibid., p. 333).

Fistol: México, "alfiler de corbata" (Hills, p. 54 y n.; Icazbalceta, Malaret Ramos y Duarte, Santamaría). «La chinita se detuvo

ante el escaparate, luciente de arracadas, fistoles y mancuernas...» (TB, p.153). Cf.: «...anudó a la garganta la corbata..., prendió en medio de ella donairosamente un fistol de plata» (Portillo y rojas, La parcela, p. 83).

Fregado: Colombia, Guatemala, M´´xico, Panamá, Perú, "bellaco, perverso" (Malaret, Ramos y Duarte, Santamaria). En México, es expresión de insulto. «Ya la pagó el fregado gachupín» (TB, p. 22). Cf.: «Desde que Larrañaga se asoció con los Aranas, y los Pérez y otros de Ingaraparaná van cediendo a la presión de esos hombres fregados» (Uribe piedrahita, Toá, p. 23).

Gachupín: América Central y México, "español radicado en esos lugares, especialmente el rústico, ordinario y cruel con los indios; generalmente despectivo" (Icazbalceta, Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). «...¡El Señor Peredita también tendrá corazón! -¡Es gachupín!» (TB, p.205).

Gallo: México, "hombre fuerte, valiente" (Santamaría). «Usted se busca que venga con reclamaciones mi gallo» (TB, p. 162). Cf.: «...Fue el primero que corrió, / no dio pruebas de buen gallo» (Mendoza, El corrido, p. 113); «...murió don Demetrio Jáuregui / que era un gallo muy valiente» (ibid., p. 181); «...me han agarrao preso, ? siendo un gallo tan jugado» (ibid., p. 223).

Gallo (Pelearle a alguien el): «Mi viejo, vamos a pelearle juntos el gallo a Generalito Banderas» (TB, p. 178). Probable invención de Valle por "desafiar, pelear" calcada sobre otras expresiones de uso americano: «Matarle a uno el gallo en la mano»

(México, Puerto Rico, Santo Domingo, venezuela), "taparle la boca a uno con una respuesta" (Malaret), «ya nos comeremos el gallo» (México), "expresión de amenaza" (Santamaria). Lo más semejante en cuanto a forma, aunque no en cuanto a sentido, es pelar gallo (México), "irse" (Santamaría), "huir". Cf.: «Los que pudieron pelar gallo lo combaten en México» (Magdaleno, Palabras, p. 149). Quizá con esta expresión haya cruzado Valle el nombre del juego de correr un gallo, que sí implica la idea de disputa. Hay una buena descripción de él en Alegría, Mundo, pp.156-158.

Garantir: Argentina, Chile, «garantizar, asegurar, proteger, es el portugués garantir, que los argentinos usan como verbo español en la lengua hablada y escrita» (Garzón). De ahí el usual «yo le garanto» (Castro, p. 150). «Yo le garanto a usted un tanto por ciento»(Tb, p. 114). Cf.: «...y les garanto que otra Dolada como ésta no se les presentará jamás» (Seanchez, En familia, p. 91).

Gauchaje: Argentina, Chile, Uruguay, "conjunto de gauchos; suele tener valor despectivo" (Echeverrí, Garzón Granada, Malaret, Román, Santamaría, Segovia; Tiscomia, La lengua de «Martín fierro», pp.97-98). «-¿Qué otra cosa tiene en la mesilla?- Coquitos de agua..., aguardiente para el gauchaje» (TB, p. 52). Cf.: «...como langosta, / el gauchaje se largó...» (Tiscomia, poetas gauchescos, p. 54); «Estos focos de reunión del gauchaje... estaban diseminados a millares en la campaña (D.F. Sarmiento, Facundo, cap. 3).

Caucho malo: Río de la Plata, "gaucho solitario, particularmente ladrón de caballos, perseguido por la justicia". La mejor definición y descripción de este tipo se encuentra en el Facundo deSarmiento, cap.2. «Roto, no me traigas un pleito de gaucho malo» (TB, página 215). Cf.: «Durante dos años Rufino, el gaucho malo, el bandido famoso, temido por todos, acusado de todo linaje de iniquidades, sólo cometió un desliz» (Mansilla, Excursión, p. 209). «No era militar, pero, hombre de campo, tuvo a raya a más de un gaucho malo» (Gálvez, Humaitá, p. 18).

Gringo: Honuras y México, "yanqui" (Icazbalceta, Ramos y Duarte, Santamaría). En la parte sur de Hispanoamérica, "cualquier extranjero de habla no española". «El yanqui entornaba un ojo... Y la pelazón de indios seguía gritando...: ¡Muera el Tío Sam!... ¡Muera el gringo chingado!» (TB, pp. 69-70).

Guagua (de): América (Malaret), Cuba (Suárez), México (Icazbalceta, Santamaría), "gratis, de balde" (Véase también Henríquez Ureña, P., Santo Domingo, p. 238; Román Segovia). Según Zamora Vicente, se usa en España, pero con sentido de su exotismo. «Trae la palangana... Vamos a ponerle una sangría a este doctorcito de guagua» (TB, página 130).

Gualna: Argentina, Bolivia, Chile, "mozo, jovencito" (Echeverría, Lenz, Malaret, Medina, Santamaría). Román agrega que el vulgo lo aplica como adjetivo a las mujeres. Segovia dice que significa "jovencita" en la provincia de Corrientes (Argentina).«Tiene mucha letra la guaina» (TB, p. 53). Cf.: «-Yo no tengo na qui

hacer con la cata. -fue de vos y cuando un hombre es hombre no se deja arrebatar así a su guaina» (Marta Brunet, Montaña adentro, Nascimento, Santiago de Chile, 1933, p.9)

Guajolote: México, "pavo común" (Icazbalceta, Ramos y Duarte, Santamaría). «Zacarías pidió un guiso de guajolote» (TB, p. 203). Cf.: «...en la roja salsa nadaban los restos del mísero guajolote» (Delgado, La Calandria, p. 250).

Guanaco: América central y Meridional, "tonto, torpe, simple" (Echeverría, Garzón Malaret, Segovia). Según santamaría se usa también en México. «Y en el atolondro, yo metí detrás las orejas como un guanaco» (TB, p. 339). Cf.: Manejen bien, guanacos..., -regañaba Chumpi...» (Alegría, Perros, pp. 129-130).

Guarache: México, "sandalia tosca de cuero" (Icazbalceta, Malaret, Ramos y Duarte, santamaría). «...no más dejó que unos guaraches para que los herede el chamaco» (TB, p. 188). Cf.: «...vestía camisa y calzón de manta, ancho sombrero de soyate y guaraches» (Azuela, Los de abajo, p.6).

Guarango: Argentina, Chile, Uruguay, "mal educado, grosero, torpe" (Granada, Garzón Lenz, Malaret, Román, Santamaría, Segovia). «Una tropa de gachupines... gritaba... -¡guarango!» (TB, p. 83); «Se le ha dado luneta de sombra al guarango andaluz» (TB, pp. 87-88). Cf.: «...¿por qué no hacés servir unas copas en osequio e la visita? No seas guarango» (Lynch, Los caranchos, p.141).

Guaso: Chile, "hombre del pueblo, campesino" (Malaret). Cf.: «La evolución», p. 122.

Guayabera: Cuba, México, Santo Domingo, "blusa o camisa masculina, con bolsillos en la pechera o los costados, que se usa con la falda por encima del pantalón y a veces con las puntas amarradas" (Malaret, Santamaría, Suárez). «Era negrote... vestido con sudada guayabera» (T, p. 110); «El Licenciadito, recogía la guayabera en el talle» (TB, p. 281). Cf.: «Del interior de la isla llegaban guajiros... estrellas por espuelas, guayabera impecable» Novas calvo, El negrero, p. 92); «Un bulto con espuelas... y chaqueta guayabera salió del cuarto» (Asturias, Hombres de maíz, p. 42).

Güeja: México, "vasija semejante a la jícara, hecha de calabaza" (Santamaría). "...decoraba con prolijas pinturas jícaras y güejas» (TB, P. 146).

Hipil: México, "camisa femenina, de algodón, descotada, sin mangas, ancha, con adornos y bordados". La voz hipil no parece muy corriente, salvo en Yucatán donde se la oye con frecuencia. Malaret remite a huipil. Santamaría no la registra, pero da huipil, y como variante güipil. «La chinita, en el fondo del jacal, se mete la teta en el hipil» (TB, p. 146). Cf.: «Sobre ese blanco, el rojo encendido de las chaquiras nuevas en el huipil» (López y Fuentes, El *indio*, p. 132).

Horita: México, "ahora, en este momento' (Ramos y Duarte; Rosenblat, pp. 163-164; Santamaría). "... no me divierte horita

esa bufonada" (TB, p. 281). CF.: "... el diablo nos ha de llevar horita, horita" (Lizardi, Periquillo, 2, p. 83); "Yo voy a darle una bañada al que va horita por el filo de la vereda" (Azuela, Los de abajo, página 20).

Horitita: Bidiminutivo de hora (ahora) (Santamaría). "... no hace un bostezo que dijo: ¡ Me voy ! ... ¡ Horitita !" (TB, p. 135).

Huisache: México,'acacia espinosa de la altiplanicie; variante: huizache' (Revilla, p. 192; Santamaría). "... tiraban al resguardo de los huisaches ..." (TB, p.259). Cf.: "Se cogen de las ramas de los manzanillos y a veces de los mismos huizaches" (Azuela, Pedro Moreno, p. 117); "En los planteles ... medraban espesuras de ... huizaches" (Magdaleno, La Tierra Grande, p. 127).

Jacal: guatemala, México, Venezuela, 'casa humilde, choza' (Malaret, Ramos y Duarte; Revilla, p. 191; Santamaría). "... arriendan los caballos en la puerta de un jacal" (TB, p.191). Cf.: "... entre las casas se entreveran numerosos jacales ... habitados por una pobrería " (Azuela, Pedro Moreno, p. 46).

Jaguar: América, 'tigre americano' (Henríquez Ureña, p., Santo Domingo, p. 129; Santamaría). "... el crepúsculo enciende, con las estrellas, los ojos de los jaguares" (TB, p. 50).

Jalar: Cf. "Las fuentes y su aprovechamiento", II, n. 37.

Jalarse : América Central, Colombia, Cuba, Ecuador, México, perú, Puerto Rico, Venezuela, 'emborracharse' (Malaret, Ramos Duarte, Santamaría, Suárez). En murcia significa 'comer'

(Sevilla). "Jaláte no más. La cabrona vida sólo así se sobrelleva" (TB, p. 207); "Estás briago. Jaláis más de la cuenta" (TB, p. 214).

Jarano: México, 'sombrero de paja o pelo, de copa alta y ala ancha' (Malaret). Santamaría no precisa lugar. "... tiró en el jinocal zarape y jarano" (TB, p. 195). CF.: "Pero nada tan propio como el jarano galoneado, de alta copa y gruesa toquilla ..." (Delgado, La Calandria, p. 374).

Jarocho: México, 'campesino de la costa de Veracruz, por lo general buen jinete' (Malaret, Santamaría); 'ranchero, hombre de campo' (ramos y Duarte). Es también, simplemente, el veracruzano. "...el ruano que corría un viejo jarocho" (TB, p. 208). Cf.: "...lleva frenos, estribos, sillas ... y todo lo vende muy bien a los jarochos que van a las fiestas" (Delgado, La Calandria, p. 219).

Jefe, jefecito: Cuba, México, "fórmula respetuosa de tratamiento usada por la gente del pueblo" (Santamaría). «Mi jefecito, paciencia se gana» (TB, p. 51); «pues a no dilatarlo, mi jefe» (TB, p. 148). Cf.: «...ponle una silla al jefecito» (Inclán, Astucia, 3, p. 157).

Jícara: América Central, Antillas, México, "vasija de guaje, barnizada y pintada generalmente de colores chillones" (Malaret, Santamaría). «...decoraba con prolijas pinturas jícaras y güejas» (TB, p. 146).

Jinocal: México, "asiento de bejuco y palma" (Malaret). «Hablaba... tendido a la bartola en el jinocal» (TB, p.180).

Jipi: Cuba, México, "forma truncada de jipijapa" (Henríquez Ureña, P., «Datos», p. 314; Malaret, Santamaría, suárez). Ha sido muy usada en España. «El Barón de Benicarlés... dejó sobre la consola el jipi» (TB, p.301). Cf.: «...jipi en la chola, camisa fresa...» (Guillén, El son entero, p. 39).

Leperada: México, "término bajo, expresión obscena, dicho propio del lépero" (Ramos y Duarte, Santamaría). «... salvaban con disculpas las leperadas» (TB, p. 192). Cf.: «...salen las escamillas armando gran algarabía y diciendo una que otra leperada o insolencia» (Azuela, Nueva burguesía, p. 58).

Lépero: América Central y México, "individuo soez, ordinario, poco decente" (Malaret); adj, "malicioso, procaz, desvergonzado"; dícese del individuo de la plebe de méxico (Santamaría). «...platica leperón con las manflotas» (TB, p. 110); «...un rosario de léperos textos...» (TB, p. 136). Cf.: «El auditor... respondía... en tono familiar de burla cruel y lépera» (Asturias, El Señor Presidente, página 105); «...se iba desatando en improperios, sin bajarme un punto de... lépero» (Inclán, Astucia, 2, p. 421); «Reía de satisfacción, como si contara un chascarrillo lépero» (Magdaleno, El resplandor, p. 202).

Loco de verano: Argentina, "extravagante, chiflado, excéntrico, loco de atar" (Malaret, Segovia). «La junta de notables debía de concretarse a fijar la actuación de ese loco de verano» (TB, p. 168) Cf.: «...todos ustedes, aunque no lo quieran, son una punta de locos de verano» (Laferrère, Locos de verano, p. 120); «-¿Quién es esa loca de verano, ché?» (Gálvez, El mal metafísico, p.172).

Loco lindo: No lo encuentro registrado, pero es común en la Argentina con valor semejante a loco de verano, aunque suele tener matiz afectuoso, Cf.: también «El lenguaje americanista», n. 33. «¿Ha visto usted ese loco lindo?» (TB, p. 71). Cf.: «¿Qué loco lindo, no?» (Alvarez, Cuentos de Fray Mocho, p. 53); "«¡Loca linda!...» pensó Andrés viéndola alejarse» (Cambaceres, Sin rumbo, p. 66).

Luego, luego: Con el valor de "en seguida, al punto" proporciona un matiz particular al habla de méxico. Parece que también se usa en Perú («A ver, me juntan cuantas reses puedan ... Luego, luego», Alegría, Perros, p.133). Se encuentra en los clásicos españoles (Rosenblat, pp. 171-172). «Luego, luego ponlo todo de manifiesto» (TB, p. 130). Cf.: «...anda y mátalos luego luego» (Altamirano, El Zarco, p. 155); «Vaya usted a ver a mi padre, luego, luego» (Delgado, La Calandria, p. 277).

Lupe: Hipocorístico de Guadalupe. Santamaría no indica lugar; Ramos y Duarte lo señala para México. "Lupita la Romántica ... suspiraba caída en el sueño magnético" (TB, p. 108).

Llama: América meridional, 'camélido característico del cual se aprovechan la leche, la carne, el cuero y el pelo; también se emplea como bestia de carga' (Dicc. Acad., Santamaría, Segovia). "Los indios... entraban en la ciudad guiando recuas de llamas" (B, p. 140). Cf.: "Era domingo y numerosas tropas de orricos y llamas desfilaban calle arriba, conducidas por indios rotosos" (Arguedas, Vida criolla, pp. 52-53).

Macana: Argentina, Bolivia, Chile, Panamá, Uruguay, 'disparate, dislate, tontería, despropósito' (Echeverría, Garzón, Lenz, Malaret, Santamaría, Segovia). Cf. "El lenguaje americanista", n. 30. "... no se distraigan del juego con macanas" (TB, p. 50); "Redención del indio. Comunismo precolombiano. Marsellesa del Mar Pacífico. Fraternidad de las razas amarillas. ¡ Macanas !" (TB, p.86). Cf.: "... Y siempre que ha podido reventarme no ha dejado de hacerlo.- Ésas son macanas -replica Eduardito- Ésas son macanas" (Lynch, Los Caranchos, p.150).

Macaneador: Río de la Plata, 'disparatador, que macanea, que hace o dice macanas' (Garzón, Malaret, Santamaría, Segovia). "Tú me leíste el pensamiento cuando alborotaba en el baile aquel macaneador de Domiciano" (TB, p. 346).

Macanear: Argentina, Bolivia, Chile, Uruguay, 'decir disparates o macanas' (Garzón, Malaret, Segovia). "- ¿y tú te juzgas un predestinado para Napoleón? - ¡ Acaso ! - ¡ Filomeno, no macanees !" (TB, p. 13). Cf.: "... usted macanea, no sabe lo que dice" (Gálvez, El mal metafísico, p. 15); "No macanee, hombre; papá dice que a mí me trajieron de Buenos Aires en una canasta" (Lynch, Los Caranchos, p. 32).

Maceta: México, fig. y fam., 'cabeza' (Malaret, Santamaría). "Hasta que le dieron un diablazo en la maceta ..." (TB, p. 260). Cf.: "... aunque sea muy valiente, Ir rajo la maceta (Muñoz, ¡ Vámonos ... !, p. 57); "... por más que les desbarate la maceta todavía se me pelan" (Arreola, Varia invención, p. 135).

Madrota: México, 'dueña de mancebía' (Malaret). "Gritaba en el corredor la Madrota: - Lupita, que te solicitan" (TB, p.115). Cf.: "... una mujer decente que vivía de sus abejitas, y ahora nadie la baja de madrota..." (Arreola, La feria, p. 76).

Maguey: 'ágave mexicano' (Henríquez Uewña, p., Indigenismos, p. 103 y Santo Domingo, pp. 123 y 124; Ramos y Duarte, Santamaría). "Husmea el perro en torno del maguey culebrón" (TB, p. 148). Cf.: "... a la derecha, la montaña ... con algunos grupos ... de magueyes montaraces" (Delgado, La Calandria, p. 349).

Mamacita: México, predomina absolutamente (mamita y mamaíta suenan remilgados). Se encuentra en textos chilenos; se oye en Perú y Colombia. "La denuncia cabrona le puso a la mamasita en la galera" (TB, p. 217). Cf.: "No, mamacita. Llegué a tiempo" (Delgado, La Calandria, p. 426); "¡Mamacita, yo te lo quisiera decir todo a ti ...!"(Barrios, El niño, p. 50).

Mamasita: véase mamacita.

Mambí: Antillas, 'dícese de todo lo referente a los insurrectos antillanos que lucharon por la independencia contra España' (Malaret, Santamaría). "... se toca con un jaranilo mambís.." (TB, p. 110). Cf.: "Del campamento mambí avanzó poco después un emisario con bandera blanca" (Henríquez Ureña, M., Cuento insulares, P. 15).

Mambís: véase mambí

Mamey: 'fruto de una sapotácea' (Henríquez Ureña, p., Indigenismos, p. 103 y Santo Domingo, pp. 123-125). "... juntaba las

suspicacias de su arte y la dulzaina criolla de los mameyes" (TB, p. 155). Cf.: "¡Piña, guanábano, mango! / ¡Mamey!" (Ant. poesía negra, p. 140).

Mancuerna (s): América Central, México, 'pareja o juego de gemelos para camisa' (Hills, p. 58 y n.; Ramos y Duarte, Santamaría). "El orador sacaba los puños, lucía las mancuernas" (TB, p. 80). Cf.: "... igual cuidado con los puños, y mucho más al ponerles las mancuernas" (Cuentos mexicanos del s. XIX, p. 269).

Manglar: América, 'selva típica de las costas tropicales, formada principalmente por árboles de mangle' (Santamaría); 'ciénaga poblada por mangles' (Malaret). "El patrón ... caminó por marismas y manglares" (TB, p.17). Cf.: "... las canoas resbalaban por los manglares" (Novas Calvo, Cayo Canas, p. 51); "... a ras del agua el manglar exuberante" (Gallegos, La rebelión, p. 130).

Manigua: Antillas, México, 'selva' (Malaret, Suárez). También en Colombia. "Un vaho pesado ... anunciaba la proximidad de la manigua" (TB, p. 50). Cf.: "Seguros ya de no perderse en la manigua ... esquivaron el camino" (Urie Piedrahita, Toá, p. 140).

Manigual: Antillas y Puerto Rico, 'selva, manigua' (Malaret, Santamaría). "... había dispuesto ... armar a sus peonadas con los fusiles ocultos en el manigual" (TB, pp. 19-192).

Manís: México, 'aféresis de hermano equivale a amigo, compañero' (Malaret; Nykl, p. 221-222 y n.; Malaret Ramos y Duarte;

Rosenblat, p. 123; Santamaría). "No te dilates, manís" (TB, p. 151).

Marihuana: 'nombre vulgar mexicano del cáñamo común' (Ramos y Duarte, Santamaría). Para los ejemplos en TB, véase "El lenguaje americanista", p. 173. CF.: "Otro joven ... dipsómano y fumador de mariguana ..." (Azuela, Los de abajo, p. 40).

Mate (cebar): América Meridional, especialmente Argentina, Paraguay, Perú y Uruguay, 'preparar y servir la bebida hecha con yerba mate' (Santamaría, Segovia). "... Ordenó el patrón ... a la mucama ... que cebase el mate" (TB, p.176). Cf.: "Mandé cebar mate y obsequié a mi visitas" (Mansilla, Excursión, p. 269); La tertulia comenzaba a las siete, sirviéndose ... un mate bien cebado de hierba del Paraguay ..." (Palam, Tradiciones, 4, p. 321).

Matona: Cf. "Valle - Inclán y México", p. 66 y n.12.

Mecate: América Central, Colombia, México, Venezuela, 'cuerda de pita, cordel' (Gagini, Malaret, Ramos y Duarte; Revilla, p. 191; Santamaría). "Viernes pasado compré un mecate para me ajorcar ..."(TB, p. 51). Cf.: "Del otro lado había ... mecates en donde se colgaba la ropa" (Altamirano, El Zarco, pp. 125-126); "... todavía no se me quitan las señales del mecate con que me amarró" (Portillo y Rojas, La parcela, p. 198).

Merito: México, 'diminutivo de mero: muy pronto, en seguida' (Hills, p. 59 y n.; Malaret, Ramos y Duarte; Rosenblat, p.309; Santamaría). "El retoño tiene que venirse merito a prestar

declaración" (TB, p. 138). Cf.: "¡ Ya merito va a llover en La Brisa !" (Magdaleno, El resplandor, p. 15).

Mero, mero: semejante al anterior. "- ¿ No vos caminarés mero mero sin mojar el trato? - Mero mero, amigo. Me urge no dilatarme" (TB, p. 210).

Metate: América Central, México, 'piedra de moler a mano el maíz para las tortillas' (Malaret, Ramos y Duarte; Revilla, p. 190 y n.; Santamaría). "... tenía descubierta una salamandra bajo el metate de las tortillas" (TB, p. 146). Cf.: "Varias mujeres estuvieron toda la noche moliendo maíz tostado en sus metates" (Muñoz, Se llevaron, p. 31).

Mitote: México, 'fiesta, diversión; pendencia, bulla, riña' (Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). "... en el azoguejo, donde era el mitote de danza ..." (TB, p. 109); "Mi General, en caso de mitote, ¿ habrá que suspender el acto?" (TB, p. 57). Cf.: "... y por no armar mitote despidió a la criada sin entrar en explicaciones" (Inclán, Astucia, 3, p. 22); "Al otro día siguió el mitote en Zitácuaro ... y sucesivamente fueron veintiocho días de fiesta y regocijo" (ibid., p. 353); "Casi todos estaban borrachos y armaban un mitote terrible" (Muñoz, ¡ Vámonos...!, p. 61).

Mocho: Guatemala, México, 'conservador, católico'; Guatemala, Chile, 'religioso de órdenes menores' (Echeverría, Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). Murcia, 'persona despreciable' (García Soriano). "Tomó asiento a la vera de su colega Fray Mocho". (TB, p. 78).

Montonera: América del Sur, 'grupo o pelotón de gente a caballo que lucha contra las tropas del gobierno' (Granda, Medina, Santamaría). Malaret lo da para América Central y México. Véase también D.F. Sarmiento, Facundo, caps. 3 y 4. "... acaso buscó remediarse de plata en la montonera revolucionaria" (TB, p. 100). Cf.: "... y las montoneras encima, destruyendo las vías, sorprendiendo a la retaguardia, cortando los alambres..." (Magdaleno, El resplandor, pp. 80-81).

Morocho-a: Argentina, Chile (?), Uruguay, 'moreno, de tez bronceada, trigueño' (Garzón, Granada, Lenz, Malaret, Santamaría, Segovia). "... aquella morocha tenía un cirio bendito desvelándome los misterios" (TB, p. 341). Cf.: "...sería una morocha para dar dolor de cabeza a más de cuatro" (Mansilla, Excursión, p. 100); "... sin rasgo alguno notable, tenía, no obstante, una tez aterciopelada de morocha")Payró, Las divertidas aventuras, p. 29).

Mucama: Argenina, Chile, perú Uruguay, 'sirvienta, doncella de servicio que se osupa del arreglo interior de la casa' (Echeverría, Granada, Lenz, Malaret, Santamaría, Segovia). Con valor parecído se usa el masculino mucamo. "Abre una mucama que tiene la escoba" (TB, p. 133); "... se arrestaron la recamarera y el mucamo" (TB, página 102).

Muchachada: Antillas, Río de la Plata, Venezuela, 'muchachería' (Garzón, Malaret, Segovia; Tiscornia, La lengua de "Martín Fierro", p. 93). Parece que se usa en Chile (Román), Colombia y México. "... acude brincante la muchachada" (TB, p. 219). Cf.:

"Esto ... me puso en boga entre la muchachada de mala vida" (Güiraldes, Don Segundo, p. 17); "Y la muchachada ... se echó fuera para aclamarlo" (Gallegos, pobre negro, p. 197); "Lo que la muchachada no podía discernir ... él lo había discernido" (Magdaleno, PPalabras, p. 31).

Nacho: Hipocorístico de Narciso y de Ignacio (Santamaría). En México sólo se usa para Ignacio; Narciso da Chicho. "¡Nachito, somos espíritu y materia!" (TB, p. 118). Cf.: "Perdóname, Nacho ..., si por culpa mía se quebrantan tus órdenes" (Guzmán, La sombra del caudillo, p. 192).

Niño-a: "fórmula de tratamiento y de respeto" (Weber, p. 119). "Estamos en lo de Niño filomeno" (TB, p. 173); "Niña Laurita ... sale a buscarlos" (TB, p. 219).

Nopal: 'cactácea que produce el higo chumbo' (Henríquez Ureña, p., Indigenismos, p. 103; Malaret, Ramos y Duarte; Revilla, p. 192; Santamaría). Cf. "El lenguaje americanista", n. 15 "... rasgaba el guitarrillo al pie de los nopales" (TB, p. 37). cf.: "Ya tengo visto el nopal / de donde he'cortar la tuna" (Coplas del venadito, México)

Ñandutí: Paraguay, Río de la Plata, 'encaje hecho a mano, que imita la tela de una araña' (Granada, Malaret, Santamaría, Segovia). "La chinita se detuvo ante el escaparate ... colgado de ñandutís ..." (TB, p. 153). Cf.: "...más primorosas son sus palabras / que mis tejidos de ñandutí ... // Y coqueteaba con su abanico / lleno de estrellas de ñandutí" (Morales, Antología, p. 441).

Ñato-a: América, 'chato, de nariz corta y aplastada' (Corominas, página 15; Echeverría, Gagini, Garzón, Granada, Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría, Segovia; Tiscornia, Martín Fierro, p. 376). Que sepamos, no se oye en México. "Mi vieja, vos tendrés que amputar la nariz de Cleopatra. - Si con ello se arreglase el mundo, ñata me quedaba esta noche mesma" (TB, p. 327). Cf.: "La nariz de Larrea presentaba esa forma arquitectónica que la envidia humana ha clasificado de ñata" (Cané, Juvenilia, p. 104).

Pampa: América Meridional, 'llanura extensa sin vegetación arbórea' (Henríquez Ureña, P., Indigenismos, p. 103; Malaret, Santamaría). "En nuestras pampas, el que lucha cediendo terreno ... vence a los Aníbales y Napoleones" (TB, p. 15). Cf.: "... el urunday y el lapacho emequeñecían el ánimo de los soldados de las pampas, que añoraban la amplitud serena de los horizontes sin término" (Gálvez, Humaitá, p. 7).

Papelón: Argentina, 'mal papel, papel ridículo' (Garzón, Santamaría, Segovia; Tiscornia, Martín Fierro, p. 302). "Presentía su hora, y la trascendencia del papelón le rebosaba" (TB, p. 91). Cf.: "- Yo creo que debe evitarse a todo trance ese duelo ... - ¡ Imposible ! He ido demasiado lejos, y para evitarlo tendría que hacer un papelón" (Payró, Las divertidas aventuras, p. 140).

Pelado: México, 'individuo del pueblo bajo' (Malaret, Santmaría). Se usa también con valor parecido al del lépero (Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). "Allí el mayoral de poncho y machete, con el criollo del jarano platero, y el pelado de sabanil..." (TB, p.77);

"-¡Atorrante! -¡ Guarango ! -¡ Pelado !" (TB, p. 38). Cf.: "... con media docena de pelados..., les hizo frente a los cuicos" (Azuela, Los de abajo, p. 15); "Me importa la vida de mis soldados, no la de los pelados de México" (Usigli Corona de sombra, p. 57).

Pendejada: Colombia, Ecuador, Guatemala, Puerto Rico, Santo Domingo, 'necedad, zanganada' (Malaret); Cuba, México, 'voz baja y obscena' (Santamaría). "- ¿Qué se teme usted una pendejada? (TB, página 34). Cf.: "A usted se le ha metido en la cabeza que las zanjas hay que empezarlas desde la montaña ... ¡Pendejada! (Icaza, Huasipungo, p. 64).

Pendejo: Antilas, Chile, Ecuador, México, Nuevo México, Venezuela, 'tonto, cobarde, a través de una alusión crudamente física' (Dicc. Acad., Dicc. Aut.; Hills, p. 64, n.). "Como pendejos, se fueron a los más caros" (TB, p.166). Cf.: "En la vida no hay sino, o estar arriba o estar abajo. Y el que está arriba es el vivo, y el que está abajo es el pendejo" (Uslar-Pietri, Las lanzas, p. 69; "Cojan la veta y vayan corriendo a salvar ese indio pendejo que se ha metido enese fangal" (Icza, Huasipungo, p. 65).

Pendejo (hacer): No lo encuentro registrado. Se usa en México con el valor de 'engañar, burlar (se)'. en textos ecuatorianos el sentido parece semejante: "La primera visita fue la del mayordomo que quería convencerse de la verdad: 'a mí no me hace nadie pendejo', piensa al entrar" (Icaza, huasipungo, p. 35). "Domiciano, reconozco tu mérito y te nombraré corneta, si sabes solfeo. - ¡No me hagas pendejo, hermano!" (TB, p. 179). Cf.: "Es como tio Lolo: se hace pendejo solo" (Rubio, 1, p. 229).

Petaca: México, 'maleta de viaje' (Hills, p. 65, n.: Ramos y Duarte, Santamaría). Según Malaret, es general, aunque no en México, con el valor de 'cigarrera, pitillera, tabaquera'. Véase también Henríquez Ureña, p., Indigenismos, p. 103 "... sacó la petaca y ofreció a todos su picadura de Virginia" (TB, p. 27).; "Ayer la policía ... ha efectuado la detención de un súbdito español, y practicado un registro en sus petacas" (TB, p. 294). Cf.: "...extrae pensativo la petaca de entre las complicaciones de sus ropas" (Lynch, Los Caranchos, página 190); "Tomó un cuarto en un hotel, abrió su petaca y sacó un traje" (Azuela, Nueva burguesía, p. 93).

Petate: América, 'estera de palma sobre la cual se duerme' (Arona; Henríquez Ureña, p., Indigenismos, p. 103; Lenz, Malareet, Santamaría). "He dormido en la delega, sobre un petate" (TB, p. 284). Cf.: "La enferma se encogía y se estirabacon todo y trapos sobre el petate sudado" (Asturias, Hombres de maíz, p. 50).

Piño: Chile y regiones limítrofes; 'porción de ganado, se usa también para personas' (Corominas, p. 211; Malaret, Medina, Román, Santamaría). "Eres un irresponsable que conduce un piño de hombres al matadero" (TB, p. 15); "Piños vacunos pacían a lo lejos" (TB, página 174). Cf.: "Gauchos recios arrean piños de vacunos" (Brunet. Humo, p. 61).

Piocha: México, 'barba del extremo inferior de la quijada' (Malaret, Santamaría). "En la banca bogaba un indio de piocha canosa" (TB, págin 174). Cf.: "... no lo reconocieron ... porque la piocha

y el bigote ... le daban apariencia de un rico hacendado" (Perroblillos, Los plateados de Tierra Caliente, México, 1891, p. 168); "... habían sido notificados ... de que se le imponía un préstamo forzoso de dos mil pesos por piocha" (Ferretis, Tierra Caliente, p. 88); "... lo llamábamos Garibaldi, por su piocha romántica y revolucionaria" (Magdaleno, Palabras, p. 33).

Pirulo: Chile, 'acicalado' (Lenz, Román). Santamaría no indica lugar. "Y le desprecia con un gesto, tirándose el pirulo chivón de la barba" (TB, p. 98).

Plagio: Cuba, México, Perú, 'apoderarse de una persona para obtener rescate' (Santamaría). "Era un bigardo famoso por muchos robos cuatreros, plagios de ricos hacendados..." (TB, p. 251). CF. "...las de siempre ...plagios, asaltos, crímenes..., no hay otra cosa" (Altamirano, El Zarco, p. 30).

Plateado: México, 'miembro de una banda de forajidos que se hizo famosa y que infestó el interior del país, principalmente en la región tamaría). "Es uno de los plateados que se acogieron a indulto tiempo atrás" (TB, p. 185). Cf.: "Es el jefe de los plateados de Tierra Caliente y siempre andamos evitando encontrarlo" (Inclán, Astucia, 1, página 377).

Poncho: América Meridional, 'especie de manta con un agujero en el centro por el cual pasa la cabeza la persona que la viste' (Malaret, Santamaría; Tiscornia, Martín Fierro, pp. 382-383). También se usa en México. "El criollaje ranchero - poncho, facón, jarano - se estacionaba al ruedo de las mesas" (TB, p. 107).

Prieto-a: México, 'trigueño, moreno' (Henríquez Ureña, p., Santo Domingo, pp. 65-66; Santamaría). Se oye en Colombia. Se usa en Asturias y menos en León (Lamano). "Con tintín de plata y cristales en las manos prietas" (TB, p. 28). Cf.: "Rostros prietos y húmedos se juntaban con otros empastelados de colorete" (Azuela, Nueva burguesía, p. 49).

Propositar: México, 'tener el propósito' (Malaret). "... no esperaa de su parte esa fineza. De la mía propositaba ofrecerle una leal amistad" (TB, p. 280).

Pues quién sabe: expresión de duda o de ignorancia muy usada en México, aunque no es exclusiva de este país. Se oye también en Bolivia, Ecuador y Perú. Común entre los indios, ha alcanzado a otros grupos sociales. Véase Kany, p. 332. En México se usa también la forma pues y quién sabe, menos general. (Rústico: Pos quién sabe). "¡ ... qué será de nosotros! - ¡ Pues y quién sabe!" (TB, p. 230); "...¿Sueña usted con evadirse? - Pues quién sabe" (TB, p. 242). Cf.: "...¿ no quiere que le hagamos alguna lucha?... - Pos quién sabe si no les cuadre" (Azuela, Los de abajo, p.53).

Pulpería: América (no en México), 'tienda de comestibles y artículos diversos, que participa del carácter de la cantina y de la tienda de abarrotes' (Malaret, Santamaría; Tiscornia, Martín Fierro, p. 385). "Ondulaba... la plebe cobriza ... remansada frente a bochinches y pulperías" (TB, p. 212).

Punta de: América Central, Argentina, Colombia, Cuba, Chile, México, Perú, Puerto Rico, Uruguay, Venezuel, 'varios, muchos, buen

número, cantidad considerable de personas o cosas' (Echeverría, Garzón, Malaret, Santamaría, Segovia). "Conducía una punta de chamacos ..." (TB, p.165). Cf.: "... lo que había adentro era una fotografía ... con una punta de hombres" (Lynch, El inglés, p. 121); "...se iba al río a nadar, capitaneando siempre una punta de muchachos" (Inclán, Astucia, 1, p. 13); "... pensé meterme a darle a aquel hombre una punta de zoquetazos" (ibid., [. 233); "¡ Que se los acabe la peste, punta de bandidos!" (Magdaleno, La Tierra Grande, página 219).

Quitrí: véase quitrín.

Quitrín: América Meridional (no en Perú), Antillas, Guatemala, México, 'carruaje abierto, de dos ruedas, con una sola fila de asientos y cubierto de fuelle' (Malaret, Santamaría). "El quitrí del gachupín ... se detuvo ante la legación española" (TB, p. 40). CF.: "... se metieron en las amplísimas cocheras varios carruajes magníficos: un quitrín ..." (Arizpe, Engañar, p. 60).

Rabona: Bolivia, Chile, Perú, 'cantinera de raza indígena, bilingüe' (Arona, Echeverría, Malaret). "Va para el medio siglo que la conozco, de cuando fui abanderado en el Séptimo Ligero: Era nuestra rabona" (TB, p. 54). Cf.: "...oyó a su asistente que conversaba con una rabona sobre el próximo fusilamiento del teniente Romero" (Palma, Tradiciones, 3, p. 443); "... presentósele un día al mariscal una rabona con el cuerpo magullado" (ibid., 4, o. 179); "Era costumbre que a estos soldados {los cholos del ejército peruano en la guerra con Chile) los siguieran sus mujeres, las rabonas..." (Barrios, Gran señor, p. 311).

Rajarse: Cuba, Guatemala, México, 'acobardarse, arrepentirse, echarse atrás' (Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). Se oye en Andalucía por 'arrepentirse de algo que se pensaba hacer' (Alcalá Venceslada). Zamora Vicente afirma que se usa en España con matices parecidos a los americanos. "Si ahora me rajo ... será que no tengo sangre ni vergüenza" (TB, p. 182); "¡Bien sabía que al momento de mayor necesidad, habíais de rajaros¡" (TB, p. 359). Cf.: "... algunos marineros se rajaron y volvieron al puerto hablando del capitán Montoya" (Novas Calvo, El negrero,pp. 164-165); "Te me rajaste en Zacatecas, cuando estábamos en lo más duro ... - ... yo no me rajé; fue usted mismo el que me ninguneó" (Muñoz, ¡ Vámonos ...!, páginas 92-93); "Y no se raje, Vamos allá afuera los dos solos. - No me rajo; vamos" (Guzmán, La sombra del caudillo, p. 254).

Ranchero: México, 'entendido en las faenas del campo' (Malaret); Antillas, México, 'campesino, labriego, habitante de un rancho' (Santamaría); México, Nuevo México, 'granjero, agricultor, hombre de campo' (Hills, p. 66 y n.). "Filomeno Cuevas, Criollo ranchero, había dispuesto ... armar a sus peonadas" (TB, p. p). Cf.: "Se expresaba como ranchero de clase superior" (Azuela, Nueva burguesía, página 166).

Rancho: méxico, 'hacienda grande o pequeña dedicada en general a la ganadería' (Hills, p. 66 y n.; Malaret, Santamaría). "Las tierras del rancho ... se dilataban con varios matices verdes" (TB, p. 174).

Reata: México, 'soga de fibra torcida empleada en vaquería para implementos característicos del charro' (Santamaría):

'Cualquier cuerda, especialmente la de lazar' (Hills, p. 66, n). "... sentía en la tensa reata el tirón del cuerpo" (TB, p. 218). Cf.: "... desenrolló la reata, hizo una crinolina y cogió de la pura cabeza a Su Majestad" (Azuela, pedro Moreno, p. 25).

Reata (ser uno buena): México, 'expresión baja por ser buen compañero o compinche en andanzas de mal vivir' (Santamaría). Rubio (2, página 17) recoge "No crean que soy mala reata, lo que tengo es mal torcida" y dice que quien lo emplea indica que es servicial y buen amigo. Con este sentido lo emplea también Valle: "No me sea mala reata, Señor Licenciado" (TB, p. 54). "... no me sea horita malo, que siempre ha sido para mí muy buena reata" (TB, páginas 156-457).

Rebenque: América Meridional, 'látigo recio del jinete' (Granada, Medina, Román, Segovia). "Filomeno Cuevas caracolea el tordillo, avispándole el anca con la punta del rebenque" (TB, p. 194). CF.: "...apoya sus palabras chicoteando las cañas de sus botas coloradas con el rebenque" (Lynch, Los Caranchos, p. 117).

Rebozo: México, 'prenda típica de la mujer, diferente del chal por la forma y el tejido' (Hills, p. 67, n). "Cargaba el Crío sobre la cadera, suspenso del rebozo" (TB, p. 153); "Doña Rosita Pintado, caído el rebozo ... se arrojó a las plantas del Tirano" (TB, p. 271).

Recámara: Colombia, México, 'alcoba, dormitorio, aposento' (Malaret, Ramos y Duarte; Revilla, p. 192). Santamaría lo limita a México

"Y por las recámaras del Congal fulgura su charrasco el Mayor del Valle" (TB, p. 135). Cf.: "... ya tú sabes la recámara donde ella duerme con su madre" (Lizardi, Periquillo, 1, p. 161); "Entran después en sus recámaras y duermen como no lo harán ya mejor en su vida" (Azuela, Pedro Moreno, p. 91).

Recamarera: méxico, 'sirvienta encargada del arreglo interior de la casa' (Ramos y Duarte, Santamaría). "... se arrestaron la recamarera y el mucamo" (TB, p. 102) Cf.: "Te diré el reparto: la vieja es la cocinera; la que calza charol, recamarera" (Delgado, La Calandria, página 242).

Relajo: Cuba, México, puerto Rico, 'depravación de costumbres' (Santamaría, Suárez); 'choteo' (Santamaría). En México, también 'jolgorio, diversión'. "¿ Ha proseguido las averiguaciones referentes al relajo y viciosas costumbres del Honorable Cuerpo Diplomático?" Tb, p.58): "... la seguridad ciudadana es puro relajo" (TB, página 178). cf.: "... en este pueblo de trompetillas y de relajo ... habrían sido objeto de las caricaturas más sangrientas y de la risa más feroz" (Usigli, Corona de sombra, p. 158).

Rondín: 'ladrón que busca robar de noche' (Santamaría). "Apuntaban en el mismo naipe charros y doctores, guerrilleros y rondines" (TB, página 251).

Roto: Chile, 'individuo del bajo pueblo' (Echeverría, Malaret Medina, Román). Véase también "El lenguaje americanista", n. 23. "Entraba y salía la gente, rotos y chinitas, indios camperos"

(TB, p. 203). Cf.: "Todas las calles ... vaciaban sus grupos de rotos" (Blest Gana, El loco Estero, p. 75).

Sinvergüenzada: 'acción propia del sinvergüenza' (Santamaría). "Las cartas son especialmente interesantes. Un caso patológico. - Una sinvergüenzada" (TB, p. 89).

Sumirse: México, 'acobardarse, amilanarse' (Ramos y Darte, Santamaría). "Desamparar a la chola rabona ... se llama sumirse, fregarse (TB, p. 97). Cf.: "Cuando toca la campana, dando la alarma ... los hombres corren y las autoridades ... nos sumimos" (Altamirano, El Zarco, p. 86).

Taita: Cuba, Santo Domingo, Venezuela, 'padre'; Ecuador, Perú, Venezuela, 'tratamiento de respeto que puede referirse al padre pero que puede no implicar parentesco algun' (Rosenblat, pp. 125-128). "Taitita, dejá sos la bese" (TB, p. 55); "Taitita, no hagás una cólera" (TB, p.161). Cf.: "Yo estaba con taitica y mamita, y vino la tropa, y se llevó a taitica" (José Martí, El presidio político en Cuba); "¿Es, acaso, mi taita ... para que venga a regañarme? (Gallegos, Doña Bárbara, p. 93); «...se quedaba mirándome, orgulloso de su raza, como haciendo constar que él era el taita de tamaños hijos» (Alegría, Serpiente, p. 90); «Cun taita Dius nu'ay pindijadas -confirmaban los indios» (Icaza, Huasipungo, p. 79).

Tamal: América, "con ligeras variantes de país a país, bollo de harina de maíz relleno de carne o dulce que se cuece envuelto en la espata de la mazorca" (Arona; Hills, p. 69, n.; Ramos y Duarte).

«El café, la chicha y el condumio de tamales, provocaba en el coro revolucionario un humor parejo» (TB, p. 192).

Tilingo: Argentina, México, Perú,Uruguay, "bobo, ridículo, necio" (Granada, Malaret, Santamaría, Segovia; Tiscornia, La lengua de «Martín Fierro», p. 111). Cf. «El lenguaje americanista» p. 169 y n. 10. «...el fámulo tilingo le ayudaba a revestirse el levitón de clérigo» (TB, pp. 270-271); «El criado, mulato tilingo, ...arrastraba dos mecedoras» (TB, p. 333). Cf. «¡Ese tilingo que se lo pasa en la azotea mirando con anteojo!» (Laferrère, Obras, p. 131).

Tlaco: México, "octava parte del real columnario; moneda ínfima que se usó mucho" (malaret, Santamaría); "moneda de cobre que vale un centavo y medio de peso" (Ramos y Duarte). «¡Otras ferias siete pesos no suponían ni tlaco!» (TB, p. 205). Cf.: «...no me hizo fuerza: que los muebles se redujeran a un canapé destripado, a un medio petate... y a un braserito de barro en el que estaba de medio lado una ollita de a tlaco» (Lizardi, Don Catrín, p.50); «...tantos años de afán para que tu familia tuviera un descanso y dejarles cuatro tlacos» (Inclán, Astucia, 2, p. 244); «...en un santiamén compró tres haciendas y seis ranchos y, sin pagar un tlaco, se fue desde Oazaca a la hacienda» (Cuentos mexicanos del s. XIX, p. 411).

Tlaco (no valer un): México, "frase despectiva que se aplica a lo que se estima poco o tiene escasa importancia" (Santamaría). «Tú ve en la cuenta de que vale quinientos, o no vale tlaco» (TB, p. 150).

Tortilla: América central, Antillas, México, "por antonomasia, la que se hace de maíz" (Hills, p. 71, n.; Malaret, Santamaría). «...tenía descubierta una salamandra bajo el metate de las tortillas» (TB, p. 146). Cf.: «...se oye el aplaudir con que las mujeres confeccionan las tortillas» (López y Fuentes, El indio, p.23).

Trinca: Ecuador, Colombia, "conventículo, pandilla" (Malaret). «La trinca de compadritos... tenía la atención pendiente del Tirano» (TB, p. 337).

Trompeto: México, "borracho" (Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). «Te ha perdido la mala costumbre de hacer cachizas, apenas te pones trompeto» (TB, p. 130). Cf.: «Salieron de la cantina, / por supuesto, bien trompetos» (Mendoza, El corrido, p. 275).

Tronar: México, "fusilar, matar a tiros" (Malaret). También en guatemala (Ssntamaría). «...el guía lleva la orden de tronarte si le infundes la menor sospecha» (TB, p. 195). Cf.: «...al que le pongan la mano encima, lo truenan sin darle tiempo para que le tiemblen las piernas» (Muñoz, Se llevaron, p. 121); «...tienes la culpa de que nos vayan a tronar a los tres en cuanto pase el mediodía» (Muñoz, ¡Vámonos...!, p. 48).

Tunar: Chile, "entre rateros, espiar" (Román). Santamaría lo trae con el mismo sentido, pero no indica lugar. «Si Niño Filomeno está ausente, mi parecer es tunarle los caballos y salir arreando» (TB, p. 174).

Valedor: México, " amigo, camarada, compañero" (Malaret, Ramos y Duarte, Santamaría). «Pero qué flojo se ha vuelto, valedor»

(TB, p. 317); «La rueda de compadres y valedores rodeaba el catalejo» (TB, p. 337). Cf.: «...habiendo pícaro de éstos que se enredaba con una frazada en compañía de otro, a quien le llamaba su valedor» (Lizardi, Periquillo, 1, p. 524-255); «Si tan siquiera mueve la lengua, lo clavo, valedor» (Guzmán, La sombra del caudillo, p. 266).

Vemos (nos): Guatemala, México, "fórmula de despedida". No la registran los diccionarios, pero se encuentra en textos y se oye habitualmente. Cf. Azuela, Nueva burguesía, p. 119: «Nos vemos, Joll»; y Asturias, El Señor Presidente, p. 49: «-¡Hasta la vista, Don Lucho. -Don Luchito, nos vemos!» . «Amigo, nos vemos... Tengo que restituirme a mi pago... Nos vemos, amigo» (TB, p.210).

Viejo-a (mi): Argentina, Colombia, Cuba, Chile, Puerto Rico, venezuela, "padre, madre". Sólo en formas narrativas; en las vocativas el posesivo desaparece, salvo que indique otro tipo de relaciones (Weber, pp. 11-114 y 127). «Poco hay que esperar, mi viejo» (TB, p. 204).

Zarape: Guatemala, México, "especie de manta de colores generalmente muy vivos, la cual puede tener una abertura en el centro para pasar la cabeza" (Malaret, Ramos y Duarte). «...entrábase por la arcada... el zarape de un hombro colgándole» (TB, p. 194). Cf.: «...embozados en sus zarapes, iban Gabriel y su amigo Anastasio Romero» (Delgado, La Calandria, p. 190).

Zopilote: guatemala, México, "aura, especie de buitre" (Ramos y Duarte, Santamaría). «...en la azul transparencia aleteaba una bandada de zopilotes, pájaros negros» (TB, p. 230). Cf.: «El cielo se veía muy lejos, muy azul, adornado como una tumba altísima por coronas de zopilotes que volaban en círculos dormidos» (Asturias, El Señor Presidente, p. 27).

Bibliografia:

1 - Maruxa Salgues Cargilb. "Tirano Banderas", Estudio crítico Analítico. Graficas Nova. S.A. "Los Olivares" Jaen, 1973.

2 - Obras Completas de Valle-Inclán, Vol, 1, Plenitud, Madrid, 1959.

3 - Unamuno, Miguel de, Ensayos, II, Aguilar, Madrid, 1958.

4 - Campos, en Tierra caliente, "La huella americana en Valle-Inclán", cuadernos hispanoamericanos, núm. 199-200, 1966.

5 - William L.Fichter. "Publicaciones periodísticas de Don Ramón del Valle-Inclán anteriores a 1975", México. El Colegio de México. 1952.

6 - Ramón del Valle-Inclán. An Appraisal of his life and Works, editado por Anthony Zahareas. New York, 1968.

7 - John V. Falconieri. Tirano Banderas. Su estructura esperpéntica, Quaderni Ibaroamericani, 1962.

8 - David Lagmanovich. "La visión de América en Tirano Banderas", Humanitas (Tucumán), 1955.

9 - José Luis Varela. "El mundo de lo grotesco en valle - Inclán". Cuadernos de Estudios gallegos. 1967.

10- Fernando Almagro: "Vida y literatura de Valle-Inclán. Madrid, Ed. Nacional. 1943.

11- Los americanismos de Tirano Banderas, en "Filología" de Buenos Aires. II, n.3, 1950, pags 225, 291.

12- Oldrich Bélic, "La estructura narrativa de Tirano Banderas", Ed. Nacional. Ateneo, Madrid, 1968.

13- Ramón María del Valle-Inclán. "Tirano Banderas", Novela de Tierra Firme. Introducción de Antonio valencia. Selección Austral. Espasa-Calpe. Madrid, 1987.

14- Emma Susana Speratti-Piñero. "De Sonata de Otoño al Esperpento". Aspectos del arte de Vall-Inclán. tamesis Books Limited. London. 1968.

15- Gaspar gomez de la Serna. Prólogo a las obras escogidas de Valle-Inclán. Aguilar. Madrid. 1965.

16- Ramón Perez de Ayala. "Valle-Inclán dramaturgo" obras Complelas. III tomo. Aguilar. Madrid, 1966.

17- Juan Bautista Avalle-Arce, "La España de Valle-Inclán". Germán Bleiberge inman Fox, pensamientos y letras españolas en el siglo XX Nashville, 1966.

18- Risco Antonio. "La estética de Valle-Inclán". en los "esperpentos y El ruedo Ibérico". Gredos. Madrid. 1966.

19- Gomez de la Serna. Ramón "María del Valle-Inclán Austral. Buenos Aires.1959.

20- Diaz-Plaja, Guillermo, "Las dos estéticas de Valle-Inclán". Gredos, Madrid, 1965.

21- Manuel Bermejo Marcus. "Valle-Inclán. Introducción a su obra". Salamanca. 1971.

22- A. Zamora Vicente. "Variedad y unidad de la lengua en Tirano Banderas". Voz de la letra. Madrid Austral. 1958.

23- Alfonso Rey. "Apuntes sobre Valle-Inclán", en Tertulia de madrid. Madrid, Austral. 1949.

24- Zamora vicente. "La realidad esperpéntica", Madrid, Austral, 1983.

25- Gill lidefonso Manuel: Valle-Inclán, Azorin, Baroja. Madrid, 1975.

26- Dru Dougherty: "Un Valle-Inclán olvidado". Entrevistas y conferencias. Madrid, Espiral- 1983.

27- Rodolfo Cardona y Anthony N.Zahareas. "Visión del esperpento". Editorial - Castalla. Madrid. 1982

28- Donald L. Shaw. "The Genration of 1898 in Spain. London, Tonbridge. Ernest Benn Limited. Great Britain, 1975.

29- María Esther Pérez. "Valle-Inclán: Su ambigüedad moderdista". Colección Nova Scholar. Madrid, 1977.

30- Mariano Tudela. "Valle-Inclán. Vida y milagro". Vassallo de MuMbert, editor- Madrid, 1972.

31- José Luis Abellán. "Sociología del 98". Ediciones Península. Barcelona, 1973.

32- Ramón j.Sender "Examen de ingenios". Los noventayochos. Ensayos Críticos. Aguilar. México. 1971.

33- Diaz-Plaja, Guillermo. "Modernismo frente a noventa y ocho. Selecciones Austral- Espasa Calpe. Madrid, 1979.

34- Emma Susana Speratti-Piñero. "El Ocultismo en Valle-Inclán". Tamesis Books Limited. London 1969.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لوسى سميث	ت أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت خليل كلفت

٣٦ – نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ – واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ – نقد الحداثة	آلن تورين	ت . أنور مغيث
٣٩ – الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت منيرة كروان
٤٠ – قصائد حب	آن سكستون	ت محمد عيد إبراهيم
٤١ – ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ – عالم ماك	بنجامين باربر	ت أحمد محمود
٤٣ – اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت . المهدى أخريف
٤٤ – بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت · مارلين تادرس
٤٥ – التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت أحمد محمود
٤٦ – عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت محمود السيد على
٤٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (١)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ – حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت ماهر جويجاتى
٤٩ – الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت عبد الوهاب علوب
٥٠ – ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ – مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت محمد أبو العطا
٥٢ – العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج روجسيفيتز وروجر بيل	ت لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ – الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت مرسى سعد الدين
٥٤ – المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت . محسن مصيلحى
٥٥ – ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت . على يوسف على
٥٦ – الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود على مكى
٥٧ – الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ – مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت محمد أبو العطا
٥٩ – المحبرة	كارلوس مونييث	ت السيد السيد سهيم
٦٠ – التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت صبرى محمد عبد الغنى
٦١ – موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف محمد الجوهرى
٦٢ – لذّة النّص	رولان بارت	ت محمد خير البقاعى
٦٣ – تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ – برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت رمسيس عوض .
٦٥ – فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت رمسيس عوض .
٦٦ – خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ – مختارات	فرناندو بيسوا	ت المهدى أخريف
٦٨ – نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت أشرف الصباغ
٦٩ – العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت . أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ – ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ – السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

٧٢ - السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ - نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت حسن بيومى
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت . أحمد درويش
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت . عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت . مكارم الغمرى
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت محمد طارق الشرقاوى
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت . محمود السيد على
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت خالد المعالى
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت . عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقى	ت أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت ماجدة العنانى
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت . محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجل	ت نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت فوزية العشماوى
٩٥ - مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت . إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت بشير السباعى
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت . أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام توميسون	ت إبراهيم فتحى
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت . رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت عبد الغفار مكاوى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	چيرار چينيت	ت عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت أشرف على دعدور
١٠٧ - صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبـة	ت محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادي پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديڤي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيزرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت . أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جي آنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت . مي التلمساني
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ – الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت . إبراهيم فتحي
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت . حسين بيومي
١٦١ – من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت . محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت . حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت . فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت . عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت · إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	الفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	پول دى مان	ت · سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت . محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت . أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت · جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت · إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت . مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت · محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت · يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ – بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ – الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ – شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ – فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ – العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ – دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ – حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ – أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ – المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ – علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ – مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ – عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ – الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ – مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ – فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ – الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ – ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ – الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ – مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ – العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ – العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر – رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ – الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ – فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ – سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ – تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ – الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ – نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ – قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ – الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ – حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ – لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ – علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ – موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ – رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ – تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ – الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ – أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت بإشراف . محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت . إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد منتدوثا	ت . محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	ت لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت بدر الدين عروبكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت . إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت . إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت · محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت · عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت · أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت . ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت . طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت · جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان رولفو	ت · على اليمنى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	چورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت . السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالابارته	ت صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس ميتيك	ت هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر باسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى برو فنسال	ت نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليينباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٢٣٠ – كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	ت : سامى صلاح
٢٣١ – عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٢٣٢ – رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٣٣ – الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٢٣٤ – لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٢٣٥ – عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٢٣٦ – متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٢٣٧ – فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٣٨ – نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٣٩ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٢٤٠ – اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٢٤١ – قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٢٤٢ – سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٢٤٣ – العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٢٤٤ – الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٢٤٥ – الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦ – سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٢٤٧ – الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٢٤٨ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٢٤٩ – دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٢٥٠ – بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٢٥١ – مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٥٢ – قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٢٥٣ – الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٥٤ – الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٥٥ – التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٥٦ – الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٢٥٧ – متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٢٥٨ – أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٥٩ – محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٢٦٠ – أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٢٦١ – التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢ – تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٢٦٣ – حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبرى محمد حسن
٢٦٤ – حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٢٦٥ – سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٢٦٦ – نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت . حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت . خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت . محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت · شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت . إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت . ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	جون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت . محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت . عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : نخبة
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت .إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت ·إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت . باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت عماد حسن بكر

٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت . ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت . حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت . طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى.
٤٠٩ – انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامى عمارة
٤١٠– خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوى بغورة
٤١١ – همس من الماضى	جينيفر آكرمان	ت أحمد مستجير
٤١٢ – تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢	ليفى بروفنسال	ت نخبة
٤١٣ – أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت محمد البخارى
٤١٤ – الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ – صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت · أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ – مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوى
٤١٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ – سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ – العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	ت · نسيم مجلى
٤٢٠ – مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ – الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى	روى متحدة	ت . أشرف محمد كيلانى
٤٢٢ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج١	نخبة	ت . عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ – إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت · وحيد النقاش
٤٢٤ – لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامى	ت . محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ – من طاووس حتى فرح	محمود طلوعى	ت · محمود سلامة علاوى
٤٢٦ – التفتيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت · محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ – باندراس الطاغية	باى إنكلان	ت : ثريا شلبى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٠٥٠ / ٢٠٠٢

TIRANO BANDERAS

NOVELA DE TIERRA CALIENTE

VELLA-INCLAN

تعد هذه الرواية أفضل ميراث لإسبانيا فى أمريكا اللاتينية؛ إذ إنها رواية مملوءة بالنقد التاريخى والاجتماعى، وتتمتع بأسلوب زاخر بالهجاء الهزلى المرير؛ مما يجعلها على درجة كبيرة من التشاؤم. إن مظاهر ميراث إسبانيا فى أمريكا اللاتينية - والذى يُحكى فى هذا العمل - يعد الأسوأ دائمًا؛ لأنه يحكى حقيقتنا. من ناحية أخرى فإن هذا العمل يبرز جرأة باى إنكلان على مزج عناصر اللغة وأدواتها، ويتحكم فى سرد المصطلحات والأسلوب الذى تتحدث به شعوب أمريكا اللاتينية، كما يبرز تشويهًا منظمًا لمواقف مبالغ فيها؛ حيث يتحول كل شىء إلى مادة حيوانية بأسماء الشخصيات والأشياء التى تشوه الواقع اليومى الذى تعكسه الرواية فى صورة مضطربة.



